

KEVIN LEMAN

كيفن ليمان

# كيف تربّي طفلك القوى

مكتبة الطفل



PARENTING YOUR POWERFUL CHILD

خطة عملية لإعادة توجيه طفلك إلى سمات إيجابية  
من شأنها أن تعدد له حياة ناجحة وسعيدة ومتمرة

ترجمة: سراج سراج

عصير  
الكتب

KEVIN LEMAN

كيفن ليمان

كيف تربّي  
طفلك  
القوي



PARENTING YOUR POWERFUL CHILD

خطة عملية لإعادة توجيه طفلك إلى سمات إيجابية  
من شأنها أن تغدو حياة ناجحة وسعيدة ومثمرة

ترجمة: سراج سراج





**لتجارة الكتب**

**إدارة التوزيع**

✉ 00201150636428

**لمراسلة الدار:**

✉ email:P.bookjuice@yahoo.com

Web-site: [www.aseeralkotb.com](http://www.aseeralkotb.com)

● العنوان الأصلي: **Parenting Your Powerful Child**

● العنوان العربي: **كيف تُربِّي طفلك القوي**

● طبعة بواسطة:

**Revell, Baker Publishing Group**

● حقوق النشر:

**Copyright © 2013 by Kevin Leman**

● حقوق الترجمة: محفوظة لدار عصير الكتب

● ترجمة: سراج سراج

● تدقيق لغوي: أسماء أبو المجد

● تنسيق داخلي: معتز حسنين على

● الطبعة الأولى: سبتمبر / 2022 م

● رقم الإيداع: 11214 / 112022 م

● الترقيم الدولي: 978-977-6972-31-5

مكتبة الطفل

[t.me/book4kid](https://t.me/book4kid)

إهدى قنوات

مكتبة

كيف تربّي  
طفلك  
القوّي





إلى عائلة ليمان بأشرها: كلُّ منكم هو قوة جبارة للخير،  
بطريقته الفريدة



# **المحتويات**

- 9 ..... مقدمة.. هل تتعاظم قوة طفلك؟ ..... حان الوقت لتولي زمام الأمور.
- 15 ..... 1 - تحليل الطفل القوي ..... لا يأتي الأطفال الأقوية من فراغ، بل يُصنعن صنعاً.
- 29 ..... 2 - القوة تأتي في أشكال مختلفة ..... إن مصدرك الشخصي من القوة تحت عينيك .. وهو يخادعك!
- 41 ..... 3 - المخادع الصاخب، المزاجي، المباغت ..... هذا النوع من الأطفال الأقوية يسهل ملاحظته، فبإمكانك أن تسمعه من آخر الشارع، وكذلك الجيران.
- 51 ..... 4 - المخادع الحساس، الخجول، الهدائى
- 59 ..... 5 - المخادع العنيد المماطل
- 67 ..... 6 - تأثير العوامل الوراثية ..... ددق النظر في شخصيات الأطفال في الحضانة، وبإمكانك أن تتنبأ كيف سيكون كل طفل بعد خمس، أو عشر، أو خمس عشرة سنة.
- 77 ..... 7 - تأثير البيئة ..... يصنع كل طفل تصوّراً للحياة - ولكيفية تناجمه معها - بدايةً من عمر ثمانية عشر شهراً.

- 93..... لم يصنع الآباء أطفالاً أقوىاء؟ وما يمكنك فعله حيال هذا؟
- 111..... 9 - لم يسيء الأطفال التصرف؟ لا تندفع بهذه الأوجه الملائكية، فلأطفالك الأذكياء أهدافٌ ينشدونها.
- 121..... 10 - الطفل الباحث عن الاهتمام ما الذي يمكنك فعله لتخفيف الضغط على طفلك (وعليك)؟
- 133..... 11 - هل طفلك يسعى خلف القوة، أم أنه ذو عزيمة قوية؟ كيف تميز هذا من ذاك، وما الذي بإمكانك فعله للمناورة مع دفقات القوة في منزلك بنجاح؟
- 147..... 12 - أنت الراسد، وهم الأطفال ترجع طبيعة طفلك القوي إليك في المقام الأول؛ إلى خلفيتك، ووجهات نظرك التربوية.
- 159..... 13 - أي نوع من الأطفال تريده؟ اقتراحات ناجحة لك وله، لإخراجه مما أنت فيه إلى حيث تريده.
- 177..... 14 - التربية القائمة على الرحمة من أجل (الابن الضال) في حياتك.
- 187..... 15 - إعادة ضبط الشبكة في منزلك ما اعتدت قوله، وما ستقوله الآن بعد أن عرفت كل استراتيجيات طفلك.
- 207..... 16 - إعادة توجيه دفقات الطاقة كيف تشجع الأهداف الإيجابية، وتُري طفلك أن بإمكانه أن يستغل نزعته نحو القوة فيما يفيد؟
- 225..... الخاتمة.. يمكنك تحقيق هدفك لا تنسِ أهمية اللهو والمرح، فالعائلة التي تلهو معاً، تبقى متمسكةً.
- 231..... شكر وتقدير

## مقدمة

# هل تتعاظم قوة طفالك؟

حان الوقت لتولى زمام الأمور.

في كل عائلة طفل قويٌّ.

وهو هذا الطفل الذي يقف عند الباب، يسده، ويطلب مفاتيح السيارة، ثم يتجادل معك زاعماً أن رحلته إلى منزل صديقه للعب كرة السلة أكثر أهمية من رحلتك إلى محل البقالة.

كما أنها أيضاً تلك الطفلة التي وهي في الثانية من عمرها تضرب الأرض بقدميها، وتقول لك: "فلتفعله أنت بنفسك!".

هو ذلك الطفل الذي يتململ في مكانه، ولا يجد أغراضه، وأنت تحاولين أن تُخرجيه من المنزل ليذهب إلى مدرسته حتى يتسلى لكِ الذهاب إلى العمل. وهي تلك التي يتصل مدير المدرسة بشأنها، لأنهم وجدوها تكتب رسائل لا تليق.

هو ذلك الطفل الذي يقول إنه سُيخرج القمامنة، ثم لا يفعل أبداً. هي تلك الطفلة التي تتحدث معك على نحو غير لائق في محل الملابس، ثم تتوقع منك أن تشتري لها أحدث صيحات الموضة.

هو ذلك الطفل الذي يرد عليك الكلمة بالكلمة، مهما يكن ما قلته. وهي تلك الطفلة التي بسببها تتأنوه طول الليل.

هو ذلك الطفل الذي تقلق عليه عندما تحل الواحدة صباحاً، ولم يُعد إلى المنزل.

وهي تلك الفتاة بالغة الحساسية التي تسير العائلة حولها على أصابع الأقدام حتى لا تزعجها.

وهو هذا الطفل الأكثر عناداً حتى منك.

هل يبدو أيّ من هذا أمراً مألوفاً؟

إذا كان الأمر كذلك، فأنت من بين كل الناس بإمكانه أن يتفهم لم تأكل بعض الأمهات في عالم الحيوان صغارها!

قد تأتي القوة من مصادر عديدة، وقد تتجلّى في أشكال مختلفة، ولكن يبقى أثراها في الطفل، وفي عائلتك بأسرها هو هو. وإليك ما أعني...

عندما كان أطفالاً صغاراً، وهم خمسة في مراحل عمرية متباينة، كنت أحب أن أجعل من كل رحلة بالسيارة -مهما قصرت- (رحلة) ماتعة، وقد ساعدني في هذا أنهم كانوا صغاراً ساذجين، يسهل خداعهم، فمثلاً: عندما نصادف إشارة حمراء، أميل إلى الأمام قليلاً، وأنفخ نفخة صغيرة، فتحول الإشارة بفعل السحر في أعينهم إلى اللون الأخضر، ويندهش الأطفال من قدرة أبيهم الخارقة، فهم لا يعرفون أنني أرقب الإشارة على الجانب الآخر، وهي تتغير إلى اللون الأصفر، آذنة بتحول إشارتنا إلى الأخضر في تلك اللحظة عينها.

في رحلات السيارة تلك، كثيرة ما مررنا بجوار محطة كهرباء في توسيكون بأريزونا. وفي أول مرة سأّل الأطفال: “أبي، ما هذا؟”. أجبت على الفور: ”مصنع الهامبرجر“.

فقالوا في نفس واحد، وقد علّتهم جميعاً الدهشة: ”يا للروعـة!“، وظلوا يسمونه هكذا لزمن طويل. أترى قدر القوة التي يمتلكها الآباء؟

وبالمثل كان لمحطة الطاقة تلك نفس القدر من القوة. لم تكن باللغة الكبر، ولكن عجباً، انظر إلى كل تلك المنازل، والمحال، وأضواء الشارع التي تستمد قوتها من تلك الوحدة الصغيرة!

إن الأمر هو هو مع طفلك القوي، فهو -مهما يكن عمره- يؤثر بقوه في أمور أكثر مما تخيل. فهو الطفل الذي يدير إيقاع العائلة بأسراها من خلال تصرفاته الغريبة، أو خوفاً من تصرفاته تلك، أو هو تلك الطفلة التي تزعجك إزعاجاً شديداً، فتخرج غضبك على أفراد العائلة الآخرين لأنك لا تريد أن تواجه ثورتها. الأمر مجده حقاً، فهذا الطفل القوي ذو العامين، أو الخمسة، أو الثمانية، أو الأحد عشر، أو الخمسة عشر، أو التسعة عشر عاماً يتحكم بكامل عائلتك بالطبعية.

ولهذا فقد آن الأوان لتولي زمام الأمور، بأخذ دفقات القوة هذه، وتحويلها إلى دوافع إيجابية. فمظاهر القوة، على كل حال، لا تستمر إلا إذا أثمرت هدفها. ولكن ماذا إن كان بالإمكان إعادة توجيه تلك القوة الذاتية إلى تنمية مهارات طفلك الطبيعية؟ لمساعدته على أن يصمد في مواجهة ضغط الأقران في السنوات الأكثر حرجاً؟ على ألا يساهم في أعمال العائلة وهو كاره، بل والابتسامة تعلو وجهه؟ على أن يصنع فارقاً في مجتمعك؟ فكر في كل تلك القوة التي تسبب لك الألم والإحباط إذا ما استغلالتها استغلالاً طيباً، ولسوف يدهشك قدر الإنجاز الذي يمكن أن يحققه طفلك.

يوماً ما سوف تقضيان وقتاً طويلاً، وأنتما تختاران الفستان الذي ترتدينه -أيتها الأم- أو البزة التي تضعها عليك -أيها الأب- لحضور زفاف هذا الطفل، وإنني لعلى يقين أنكم ستبذلان رائعين، والأهم حقاً هو أنكمما ستقولان لأنفسكم، بربما تام: "لقد كنتُ أمّاً أو أمّاً رائعة، أليس كذلك؟".

هذا لأنكم ذكيان أيها الأبوان، وعملتما ما ينبغي، حتى عندما كنتما محبطين، أو غاضبين، أو متزعجين، وفي أصعب المواقف واللحظات، ولأنكمما صبرتما مقتنيعن تمام الاقتناع أن طفلكما جدير بكل جهد يبذل، وإن قال الآخرون خلاف ذلك.

لا يمكنك أبداً أن تعرف من عساه يكون في بيتك الآن. فهذا الطفل ذاته الذي يطلب منك كوبياً من الماء، أو أن تحكي له قصة قبل النوم، وأنت تحاول أن تقرأ هذا الكتاب الذي بين يديك، قد يكون الرئيس القادم للبلاد، المقدر له

أن يؤدي مهاماً كبيرة عديدة. هذا الطفل الذي يتعين عليك أن تلطفه حتى يخالط مع الآخرين، ويتفاعل معهم، ولكنه يفضل أن يبقى في غرفته، قد يكون بيل جيتس القادم، المقدر له أن يُحدث ثورة في عالم التقنية. هذا الطفل الذي يجادلك ليل نهار قد يصبح النائب العام في يوم من الأيام. وهذا الذي يظن أن بإمكانه الطيران من فوق سطح بيتك، حتى وإن حذرته أن كل ما يصعد في السماء لا بد أن يعود إلى الأرض؛ قد يصبح يوماً ألبرت آينشتاين. وتلك الجريئة التي لا تكُف عن تحدي القواعد، قد تصبح يوماً خليفة لروزا باركس. ولعل هذا الطفل الذي يخلط المواد الكيميائية في المرأب، حتى وإن أمرته ألا يفعل، ففجّر باب المرأب، عليه يكون هو من يخترع نوعاً جديداً تماماً من وقود صديق للبيئة. وذلك الطفل الذي يحفر في الطين، ويضع أعواد البلوط السامة في جيده (تعرفين هذا من الطفح الجلدي الذي أصابك عندما غسلتِ ملابسه)، الذي يترك آثاراً من تربة حديقة جارك التي حرثها في أنحاء مطبخك؛ هذا الطفل قد يكون هو من يكتشف دواء السرطان.

فكري كل تلك الطاقة التي حصدتها من محطة الطاقة الخاصة بك، وما قد تعنيه في يوم من الأيام.

إن كتاب "كيف تربى طفلك القوي؟"، يزكي لك الستار عن:

- من هو حقاً ابنك القوي؟ فقد لا تعرف أيهم هو.
- لم تفعل ابنتك ما تفعل؟
- منظور طفلك الشخصي للحياة، وهو مفتاح أساسي للتعامل مع تلك التصرفات التي تدفعك للجنون.
- أهداف طفلك التي لا تعرفها أنت أيها الأب.

كما أنه يعينك على:

- فهم ابنك القوي فهماً تاماً.
- الحديث مع طفلك بلغة يفهمها كلُّ منكما.

- إعادة توجيه دفقات القوة لدى طفلك، وتحويلها إلى شيء إيجابي يؤثر في كل من حوله.
  - تلبية احتياجات طفلك للانتماء، والقبول غير المشروط.
  - منحك النظرة طويلة الأمد التي تحتاجها كأب يعمل من أجل أبنائه.
- وأنا أضمن لك/لكما هذا الكتاب.



# 1

## تحليل الطفل القوي

لا يأتي الأطفال الأقوياء من فراغ،  
بل يُصنعون صنعاً.

تخيل أنك تجلس مُشاهِداً مباراة للبيسبول. تتعري ضارب الكرة حالٌّ من الهياج عندما يُطرد للمرة الثالثة، وبعد أن يضرب الأرض بمضربه عدة مرات، يقذف به فيصيب أحد زملائه.

ما هو رد فعل الجماهير؟ إنه الصمت التام.

هناك إعلان قديم لشركة (E.F Hutton & Co) للوساطة المالية، يقول: ”عندما يتحدث إي. إف. هيوتن، ينصت الجميع“. هذا هو الحال مع الأشخاص الأقوياء، فعندما يتحدثون، ينصت الجميع.

لنفترض أنك تُجري محادثة، وفجأةً بدأ الشخص الذي تتحدث معه بالصراخ. كيف سيكون رد فعلك؟ ربما تغفر فاك من الصدمة إن لم تكن معتاداً مثلَ هذا السلوك من هذا الشخص. ولكنك قد تستجيب على نحو مختلف إن كان هذا هو المعتاد منه. حينها قد تتقبل الأمر، أو ترد بالمثل، أو تتنهد وتتأمل أن ينتهي هذا الشخص من وايل كلماته سريعاً، وينصرف إلى حاله.

إن الشخص البالغ الذي يثور غضباً في المنزل أو في العمل، والمرأة التي لا بد أن يسير كل شيء على هواه طوال الوقت، وذلك الصبيَّ ذو الأعوام الثمانية الذي يقذف مضرب البيسبول، والطفل ذو الأعوام الثلاثة الذي يرفض أن يقضي حاجته على القعادة؛ ليسوا جميعاً إلا أمثلةً لأشخاص أقوباء، فمظاهر القوة متعددة؛ بعضها يسهل ملاحظته، إذ تكون باللغة الجلاء، كما في حالة ضارب الكرة الهائج، إلا أن هؤلاء الذين يستخدمون السيطرة الناعمة ليسوا أقل خداعاً ولا قوة.

### يبدأ الأمر من «الكرسي العالي»

لناخذ -على سبيل المثال- ذلك الطفل ذو السبعة عشر شهراً، الذي يرفض أن يأكل، سواء كان طعاماً للرضيع من "بيتش نات" أو بروكلي مهروسًا، أحضر في المنزل: ما الذي نفعله كآباء، في هذا الموقف؟ نتصرف بشكل إبداعي، فنقول مثلاً:

"افتح الحظيرة للطائرة، فهي على وشك الهبوط!"، نقول هذا، وبكل بلاهة نُدُور الطعام كطائرة نفاثة، ونتجه به صوب فم الطفل المفتوح. فماذا يحدث؟ إن الطفل ليس غبياً، فهو يفتح فمه، فقط ليشارك في اللعب، ولكن ماذا يصنع بمجرد أن تقترب الملعقة من فمه؟ يغلق فمه، فيتناثر الطعام فوق قرص كرسيه العالي، بل يمكنك حينئذ أن ترى في عينه قوله: "لن تجعلني أكل هذا الطعام! أبداً!".

وهكذا يخلق الآباء دون إدراكٍ صراعات قوية عند هذا الطفل، في هذه المرحلة المبكرة من العمر.

وقد تحملين ابنتك ذات الخمسة عشر شهراً لتضعي عليها الحفاضة، ثم تدركين أنك نسيت مسحوق الرضيع ذو الرائحة الرائعة، فتصدررين لها أمراً بأن تبقى دون حراك حتى تحضريه، فأين تجدينها بعد أن تعودي إلى الغرفة بعد دقيقة واحدة؟ اختفت! تبحثين، فإذا بها مختبئة خلف الأريكة، تمسكين بها، وتعيدينها إلى موقع تغيير الحفاضات في غرفة نومها.

تضليلي الخامس دقائق التالية في معاناة، وأنت تصارعينها وهي تتلوى، في محاولة منك لإحكام إغلاق أشرطة الحفاظة. فماذا تقول طفلتك بتصرفها هذا؟ “لن تخبريني بما يتعين عليّ فعله، فأنا من يقرر هذا!!”.

يمكن أن يبدأ الأطفال في تكوين نزعة نحو الكمال في مراحل مبكرة للغاية من أعمارهم، فلا يجلسون إلا على نفس الكرسي على طاولة الطعام، ولا ينبغي أن تكون دمائم الحيوانات إلا مصفوفة على النحو المعتاد، وإلا فلن تنام هذه الدمى، كما يجب عليك أن تُعدى المعكرونة والجبن بالطريقة ذاتها، كل مرة، إذ إن أي تغيير، مهما يكن ضئيلاً، قد يسبب لهم إزعاجاً كبيراً. تخيلي معي هذا السيناريو: بوفورد، ذو العشرين شهراً، جالس في كرسيه العالي، مستعداً لتناول الغداء.

”تفضل“، تقولينها له، وتعطينه شطيرته في طبقه الميلامين الأثير، ومعه بعض من بسكوته المفضل. وما إن تبتعدى قدر خطوة واحدة، لتستعدى لإعداد غدائك، إذ إن طفك يأتي أولاً بالطبع، حتى يبدأ الانهيار. يشرع الطفل في البكاء، ثم الصراخ. يضرب رأسه في صينية الكرسي العالي، ويتناثر الطعام فوق مشمع أرضية الغرفة، فماذا يجري؟

تجمعين الطعام من الأرض، وتعيدينه إلى طبقه المفضل، وتعطينه له وعلى وجهك ابتسامة، تقولين لنفسك إنه قد يكون متعباً، وفي حاجة إلى أن ينام قليلاً، رغم أنه لم يبُد عليه أي علامة من علامات التعب قبل تلك اللحظة. ينظر إلى الطعام نظرة واحدة، ويُرَبِّ عينيه، ويطيح بالطعام للمرة الثانية، ثم يشرع في الصراخ، مرة أخرى. وفي تلك اللحظة، تتذكري، فأنت عادة ما تزيلين الحواف الصلبة من خبزه، وتقطعين شطيرته إلى أربعة مثلثات صغيرة، ولكنك كنتِ في عجلة من أمرك اليوم، فنسبيت.

ترفعين الشطيرة عن الأرض سريعاً، فأنتم في منزلك تتبعون ”قاعدة الثنائيتين“، فالطعام صالح للأكل ما دام لم يتجاوز الثنائيتين على الأرض في كل مرة. تحضرين السكين، وتزيلين الحواف الصلبة، وتقطعين الشطيرة إلى مثلثات صغيرة جميلة، ثم تضعينها كالمعتاد في طبقه.

وهذه المرة، عندما تحضرينه إلى بوفورد الصغير، إذا به يبتسم ابتسامة عريضة؛ لقد تم الأمر على ما يرام.

ما الذي حدث هنا؟ إنكِ بتعطيه شطيرة الطفل إلى أشكال مثالية كل مرة، تقولين لطفلك: ”يمكنك أن تحظى بالحياة على النحو الذي تريده تماماً“.

لكن هل يمكنك أن تتمنى بحال أيامك كلها؟ هل تمنحك الحياة ما تريدينه بالضبط، وفي الوقت الذي تريدينه فيه؟ فلمَ إذن ترسمين تلك الصورة في مخيلة طفلكِ؟

## إنها تعرف تمام المعرفة كيف تتغلب عليك تخيلي هذا السيناريو:

تُصر ابنتك ذات السنوات الست على أن تحصل على لعبة معينة، لأن كل الأطفال في حضانتها لديهم هذه اللعبة.

”لا، لن أشتري لكِ هذه اللعبة!“، هكذا تقولين لها.

وبعد عشرين دقيقة من إلحاحها، تكتشفين أن الوجبة التي كنتِ بصدّ إعدادها لزوجك الجائع، أملأة في إسعاده، ينقصها صلصة الشواء التي يفضلها، رغم أنك اشتريت بديلاً لها عندما كنتِ في محل البقالة بالأمس، ولكنك تعرفين كم يكون انتقائياً أحياناً. ولذا تضعين طفلك في السيارة، وتقددين إلى المتجر لتجليبي الصلصة الخاصة.

فما الذي يحدث في أثناء الرحلة؟ ينهار عزمك، وتستسلمين: ”حسناً، سندذهب إلى ممر اللعب وننظر“. وبعد ثلاث دقائق تكون اللعبة في عربة التسوق، ترمقها ابنتك الصغيرة بعينيها، سعيدةً بها.

”هذه آخر لعبة أشتريها لك في حياتك كلها“، هكذا تقولين لها وأنتِ في طريقك لتدعفي ثمنها.

لاحظي ما حدث هنا:

قبل عشرين دقيقة، قلتِ للطفلة: ”لن أشتري لك أي شيء“.

والآن، إذا ما نظرتِ إلى الفاتورة تجدين بها: ”لعبة... 19.99 دولاراً“.

لقد اشتريتِ فعلًا ذلك الشيء الغبي الذي تعرفين جيداً أنها ستتسأله في أقل من أسبوع!

فأي درس علمتِ طفلتك القوية؟

إن فهمتِ على نحو صحيح، فستعرف متى تكونين في أضعف حالاتك العاطفية. وسيكون هذا خير وقت تضرب فيه ضربتها مرة أخرى، ولن تكتف عن استغلال تلك الحالة متى ظهرت عليك، فهي قد تعلمت أنها متى بذلت شيئاً من الجهد، نالت ما تريده.

ما الذي يدور في رأس ابنتك؟ "هم! لقد أفلح الأمر، ومعنى هذا أنني إن ظللتُ أطلب، ولم أستسلم؛ حصلتُ على ما أريد".

على هذا النحو تنجز الطفلة القوية عملها، فتستغل المواقف اليومية لتتلاعب بك بطريقة تجعلك تستسلمين، وهو ما تفعلينه، لأن الاستسلام يكون الخيار الأسهل، أحياناً.

يخبرني الآباء طيلة الوقت بهذا: "أعرف أنني ما ينبغي أن أفعل هذا الأمر، ولكنني أحياناًأشعر بالتعب إلى حد كبير، مما يجعلني أستسلم. إن الإلحاح الدائم هو ما يرهقني، و يجعلني أنهار. كل ما يجول برأسي حينها هو: "من فضلك، أغلق فمك".

إن الأطفال الأقوية يعرفون كيف يهزمونك، فلا تحسب أنهم غير قادرين عليك. نعم، قد يكون من الأسهل على المدى القصير أن تستسلم، إذ يجعلهم استسلامك هذا يغلقون أفواههم، مؤقتاً (إلى أن يريدوا شيئاً آخر)، ولكن هذه الاستراتيجية ليست -في صميمها- سوى خسارة لكِ منكما. لا شك أنك قد تحصل على قسط من الراحة لساعة أو ساعتين حتى تبدأ المطالب ثانية، لكنك توقع بنفسك في شراك الموقف التالي، فقد أعطيت لطفلك مزيداً من القوة؛ نزعة قوة تخبرها أن عليها أن تفوز، ومزيد ثقة في أنها ستفوز إن اتبعت خطتها.

أما على المدى الطويل، فمن الأفضل أن تضعي طفلك المُلحة في غرفة، وتتركيها تبكي طيلة الليل عندما لا تحصل على ما تريده. وصبيحة اليوم التالي، عندما تطلب تلك اللعبة مرة أخرى، وهي تبدو في حالة يرثى لها، وقد احمرت عينها، تفعلين أنتِ الشيء الصائب، قائلةً لها: "لا، لن أحضر لكِ تلك اللعبة"، ثم تمضين إلى المطبخ لإعداد الإفطار لأفراد أسرتك كلهم.

أترين كيف يفلح الأمر؟

فلتلقي نظرة على حال طفلك القويّ، فأي خمسة أو ستة مواقف يمكنك ملاحظتها من الماضي القريب قد حصل فيها طفلك، من خلال التصرف القويّ، على ما يريد لأنك انهرت واستسلمت؟

كيف أثر هذا في أساليب طفلك القوية؟ هل خفض من حدتها، أم زادها؟  
الآن بدأت تدركين الأمر.

## لن يكون لتصرفك هذا من مردود سوى زيادة قوة طفلك

لا تُعلم دروس الحياة بسهولة، وإليك درساً يحسن بطفلك أن يتعلمه في مرحلة مبكرة من عمره: «إنك لن تحصل على ما تريد وقتما تريده. فلست مركزاً للعالم!».

وإذا لم يتعلم الأطفال هذا الدرس قبل ذهابهم إلى المدرسة، فسيصبحون أطفالاً أقوىاء في مرحلة المدرسة الابتدائية.

حال صامويل، الذي اعتاد التسلط على كل زملاء فصله في الصف الثالث، إلى أن سئم هذا الحال طفل قوي آخر، فقال له: «لا، لن أفعل هذا، فلست خادماً لك. ما هذا الغرور! إن الجميع يكرهونك!». في تلك اللحظة، انهار عالم الطفل، فلم يسبق أن رفض أحد له طلبًا، وقد كان يتوقع من الجميع أن يلبى له ما يشاء، متى شاء. ولم لا، وأبواه وأخته الكبرى قد دللوه، ومنحوه كل ما يريد، وهو السيد في المنزل!

وإذا كان الطفل ممن يسعون إلى فرض قوتهم في المرحلة الابتدائية، فسوف يكبر ليصبح أكثر تسلطاً في أوائل المرحلة الثانوية (الصفان؛ التاسع والعشر). وتلك المرحلة قد تكون بالغة القسوة، حين يتنافس الأولاد في المجال العضلي لتحديد الأقوى، وتنافس الفتيات في المجال العاطفي ليكُن جزءاً من إحدى المجموعات. وعندما كنتُ في عيادي الخاصة، كان العديد من يترددون على أبياء، وأبناءهم المراهقين، بهذه السنوات الحرجة قد تكون عصبية لكلِّ من الأب والطفل، على حد سواء.

فجابريللا -مثلاً- كانت دائمًا ما تبحث عن الاهتمام (تحاول لفت الأنظار)، وبحلول الصف الثامن، كانت قد أصبحت على رأس مجموعتها الخاصة. عُرفت جابريللا بأنها تلفت الأنظار بشتى السبل الخاطئة، ولكنها كانت

تفلت من العقاب بطريقة أو بأخرى... إلى أن استخدمت شكلاً من أشكال التسلط بإفراط، فعندما أرسلت تعليقات غير لائقة، تسخر من الفتاة من خارج مجموعتها، وشهرت بالفتاة في المدرسة، حصلت على أكثر مما سعت إليه، إذ تلقت أمها بعد أسبوع مكالمة صادمة من أحد المحامين، يخبرها فيها أن عائلة الفتاة تتهم جابريللا رسمياً بمضايقة الفتاة.

تقول والدة جابريللا، والمدعو تملأ عينيها: "في البداية لم أصدق الأمر، فأنا أعرف أن ابنتي لا يمكن أن ترسل رسائل بهذه أبداً، لكنني رأيت الرسائل بعيني، فانفتحت عيناي، وعرفت إلى أي حال صارت ابنتي!".

والأطفال الأقوياء في أوائل المرحلة الثانوية يصبحون أكثر استقواء في أواخر تلك المرحلة.

كانت جانيت متسلطة، وممن يسعون لجذب الانتباه، وكان الأمر يستلزم أن تكون هي أول من يجرب أي شيء جديد في مجموعتها. وذات ليلة، في مقصورة أبيها البعيدة، أعدت هي وأصدقاؤها حفلًا، وتعاطوا المشروبات الكحولية والمخدرات. ثملت جانيت وتعثرت، فسقطت في الممر الجبلي الواقع خلف المقصورة، وعندما أفاقت في المشفى، لم تستطع حتى أن تتذكر كيف أصبت.

وأحياناً، كما اكتشفت في عيادي الخاصة، قد يكون الأطفال الهدئون هم الأكثر قوة. فمثلاً: كان (شين)، وهو في الثامنة من عمره؛ طفلاً هادئاً، ولكنني عرفت أنه هو، وليس أيُّ من أبويه، المتحكم في المنزل. فقد كان لصمه وقع عميق وكبير على العائلة بأسرها، فعندما يصمت، ويأوي إلى غرفته، كانت أمه تحضر له كل ما من شأنه أن يدخل عليه السرور. وكم قلت لها إنه يتلاعب بها، فلم تأبه، أو تُعرِّف كلامي أي اهتمام، فراحـت سنةً بعد سنة، لا تهتم سوى بإسعاد ابنها الخجول، "الحساس"!

ولقد كافأها على مجدها يوم تخرج في المدرسة الثانوية بأن ترك لها ملحوظة قصيرة: «إلى أمي التي حاولت، وفشلت: إني راحل». كان الأثر العاطفيُّ الذي خلّفته الرسالة في أمه مدمرًا، على أقل تقدير، ولن تتعافي أبداً ما لم يلطف الله القدير بها.

لم أذكر المثالين السابقين لأخيفكم، وإنما لأؤكد أهمية إحداث تغييرات في أساليب التعامل مع أطفالكم على وجه السرعة. لا تنتظروا، فالكثير على المحك. الأطفال الصغار الأقوياء يقولون بهم الحال إلى أن يصبحوا أطفالاً أقوىاء في أوائل المرحلة الثانوية، ثم يصبحون أكثر قوّة في أواخرها، إلى أن ينتهي بهم الحال، وقد أصبحوا راشدين متسلطين. وكلما زادت هذه القوة، زادت عواقبها وخامةً. والطفل الذي تحركه النزعة للقوة (الاستقواء)، وهو بين الستة عشر والثمانية عشر عاماً أكثر عرضةً للخطر، فهو يميل إلى التسلط، والبقاء متسلطاً في كل موقف.

والمرآفة التي تشعر بأن لا سلطة لها، لأن حياتها قد خُطّلت لها، فليس لها فيها أي كلمة؛ أحياناً ما تفقد شهيتها لتناول الطعام، أو تميل إلى النهم. كما أنها قد تؤذى نفسها، فتصيب نفسها بجروح بالشفرة في أماكن من جسدها يسهل تغطيتها بالثياب، كمعدتها، أو ذراعيها، أو ساقيها. فقدان الشهية، والنهم وإيذاء النفس، كلها أمور تساعدها في أن تشعر بأن لها سلطة على شيء ما عندما تكون المواقف في منزلها، أو علاقاتها مع عائلتها أو قريئاتها خارج سيطرتها. ولا يخفى عليك -أيها الأب- أن هذه التصرفات مدمرة عاطفياً وجسدياً.

وفي حالة الصبي المرافق التواق للقوة، يمكن أن تؤدي تلك النزعة إلى أن يقود السيارة بتهور، فقد يحاول أن يُظهر جرأته وشجاعته بتجاوز سيارة فوق تل، غير آبه بما قد يلقاه على الناحية الأخرى، وهو ليس في الواقع إلا تصرفاً غبياً. كما قد يسعى عامداً لافتعال شجار مع أحد الأشخاص بدلاً من أن يجد سبيلاً لتجنب العراك أو المواجهة الجسدية.

سُلْ أي صبي أو شاب إذا ما سبق له أن انخرط في عراك بالأيدي، وسترى لمعة في عينيه، فمعظم الشباب يخوضون الشجارات في مرحلة ما، ففي عالم الذكور لا يكُف الأولاد عن المنافسة من أجل فرض السيطرة. ورغم ذلك فقد تغير الزمان، فلم يعد كما كان أيام كنت في المدرسة الثانوية، عندما تحدى أحدهم شخصاً آخر أن يُفقدني وعيي بقبحيته، وقد كان. فأطفال اليوم مسلحون بالسكاكين والمسدسات، ولا تزيد أن ينخرط ابنك في أيّ من تلك الأمور. إن كبح جماح السلوك السلطوي الساعي خلف جذب الانتباه مهمٌ في كل مرحلة من مراحل العمر.

دعوني أذكركم أن المراهقين طالما كانوا غربيي الأطوار، لقرون طويلة، وسيظلون على هذا النحو؛ سيظلون يتبعون، ويصفعون الأبواب خلفهم، ويتحدثون بلغة كلها: «أبداً» و«دائماً»، نعم، بهذا التطرف. فكل الأطفال عُرضة لأن يلقوا بالتعليق الذي يقول: «إنك لا تدعني أفعل أي شيء»، على الأقل مرة أو مرتين... في اليوم!

والآباء الذين يستغلون مثل هذه العبارات لإثبات وجهة نظرهم والفوز، لن يفزوا أبداً. وإن حاولوا، فلن ينجحوا إلا في زيادة تسلط أبنائهم، بتعليمهم أن الأطفالهم أن يصبحوا أكثر تسلطاً... أن يستغلوا نقاط الضعف.

«يا لك من تافه وناكر للجميل! ألم أرسلك إلى معسكر كلفني 750 دولاراً في أسبوع. كيف تجرؤ على مثل هذا القول؟!».

هذه -مثلاً- ضربة تحت الحزام، قد تُشعرك لحظياً بشيء من الرضا، فنحن بشر على كل حال، ولكنها تغير طريقة تفاعلك مع طفلك.

فيبدأ من التعامل بشكل خاطئ (رد فعل) مع ما تفعله طفلك تحت تأثير التغيير في هرموناتها، عليك أن تتفهم أن هذه الهرمونات تتسبب في غرابة أطوارها، فعندما تصل إلى مرحلة البلوغ والمراهقة، تتتساقط الهرمونات في جسدها. ولأنها لا تعرف كيف تتصرف مع هذه التغيرات الغريبة والجديدة عليها، فإنها تصرُّفها في أقرب الناس إليها.

ولذلك عندما يتبعج طفلك القوي مرة أخرى، فلا تأخذ الأمر على محمل شخصيٍّ، وبدلًا من ذلك قل له: «رائع! افعل هذا ثانيةً، ولكن بالحركة البطيئة هذه المرة. وإذا ما كان في إمكانك أن تشيح بيديك أيضاً، فسأقدر هذا أكثر وأكثر».

اهدأ، وتعامل مع الأمر بترؤُّ. يجب عليك أن تعرف مع ماذا ومع من تتعامل. إن كان ما تراه يسير كما تسير البطة، ويصبح كما تصبح (يبطّط)، فلدي لك خبر حسن: إنه بطة، وليس راكوناً، حتى وإن كان طفلك في تلك اللحظة يتصرف تصرفات الراكون.

## تسرب بطيء... أم انفجار؟

كانت إطارات سيارتي تصاب بتسرب بطيء بين الحين والآخر على مر الأعوام. وفي معظم الأوقات لم أكن أدرى أن هناك تسرباً قبل أن يخبرني به الميكانيكي، أو أن تقول لي زوجتي: «يا ليمي، تبدو سيارتك مائلة، هل أنت متأكد أن الإطارات على الناحية اليمنى على ما يرام؟»، نعم، فهي ميكانيكي الأسرة.

التسربات البطيئة خادعة. ولأنها باللغة البساطة، فقد لا تلحظها. تذهب إلى المتجر لإحضار اللبن للعشاء، وتخرج فإذا بالإطار يفتح كثعبان، ثم يفرغ تماماً. كما أن ما يبدو كمطب صغير على الطريق قد يزيد الثقب الخفي اتساعاً، وتجد نفسك عاجزاً في مكان مهجور.

ليست الانفجارات شيئاً حسناً، ولكن معالجتها تتم على نحو سريع؛ تُصدر إطارات سيارتك صوتاً عالياً، فلا يتطلب الأمر منك سوى أن تقود سيارتك إلى جانب الطريق، ثم إن كنت مثلي وتفعل الشيء الصائب، فإنك تتصل بنجدة الطريق، وتستمتع بالشمس حتى تصل المساعدة.

عندما يتعلق الأمر ب التربية الأطفال الأقوياء، يختار معظم الآباء طريقة التسرب البطيء، فيعالجون كل موقف يطرأ بخوف حذر، محاولين إبقاء الإطار في حالة جيدة تسمح بمواصلة السير.

لكن نظرية التسرب البطيء محكوم عليها بالفشل. يختارها معظم الآباء بسبب نقص الثقة، فهم غير واثقين مما ينبغي لهم فعله، ويخشون أن يرتكبوا خطأ.

لكن الخطأ الحقيقي هو عدم (المبادرة بـ) التصرف، فأنت لا تتعامل مع الطفل القوي قطعة بقطعة. عليك أن تمتلك صندوقاً كاملاً من الأدوات تحت تصرفك. وهذا ما كتب لأجله «كيف تربي طفلك القوي؟». إن هذا الكتاب هو صندوق الأدوات الذي ستتحتاجه لإصلاح، ومن ثم إعادة توجيه هذا الطفل القوي الذي لا شك أنك تحبه حباً جماً.

إن الانفجارات المفتعلة مع طفلك لن تكون سهلة، ولكن إن كنت حازماً وتخطط من أجله، فسوف تحرز تقدماً كبيراً مع هذا الطفل. هذا لأنك -أيها

الأب الذكي - تمعن التفكير بشكل سابق في الاستراتيجيات التي ستستخدمها، وفي الطريقة التي سترسم بها متغيرات السلوك الجديد في منزلك.

وبعض الأطفال بالغوا القوة، وستعاني معهم معاناة كبيرة، حتى وأنت تفعل الأمر الصائب، فهم لا يحبون فكرة أنك على الطريق الصحيحة. وهذا ما أدعوه أنا «متلازمة السمك خارج الماء». فعندما تصطاد سمكة، ويعلق بها الخطاف، فإنها تفعل شيئاً غير طبيعيًّا؛ تغادر الماء، الذي هو بيئتها الآمنة، وتقفز في الهواء، محاولةً أن تهز الخطاف. سي فعل طفلك نفس الشيء، فلتتوقع المعركة، ولكن لا تتخال عن استراتيجية، ولا ترد له الضربة. العراق عمل ثنائيٌّ، فلا تُعنِّه عليه، فهو بارع في جرّك إلى مشاحناته ومعاركه.

وسيقول لك بعض الأطفال: «هيا، فلتخرمني من (امتياز) استخدام السيارة، فأنا لا أبالي!»، وهذه علامة على قدر قوة هؤلاء الأطفال. والحقيقة هي أنهم يبالون، بل يبالون جداً، ففكرة أن لا يحظوا بامتياز استخدام السيارة تخيفهم أشد الخوف، إذ ستغير أسلوب حياتهم تغييرًا جذريًّا، إلا أنهم لا يريدون أن تعرف أنك على الطريق الصحيحة، فيتظاهرون بعدم المبالاة.

ولذا فمتي بدأ طفلك في استخدام عبارة «لا يهمني»، فيمكنك أن تبتسم، فقد بدأت حقاً في الفوز باللعبة، ولكن لا يمكنك أن تفوز باللعبة إلا إذا... إلا إذا لعبت!

ل لكن صادقين؛ بعض الأطفال يسهل التعامل معهم، فهم مطيعون؛ يفعلون ما يقال لهم، ويسهل التنبؤ بأفعالهم، ويمكنك الاعتماد عليهم، فمعهم ليس هناك نوبات غضب الأطفال، ولا تقلبات المراهقين التي يواجهها الآباء. والحياة مع هؤلاء الأطفال بمنزلة نزهة في شارع هادئ.

وهناكأطفال ينزعون نحو القوة. وأنا أعرف ذلك تمام المعرفة، فقد كنت واحداً منهم، رغم أنه ما كان من طبيب نفسيًّا في ذلك الوقت ليسميني بهذا الاسم، لكن أمي -رحمها الله- كانت قدِيسة. فهي من بين كل الناس، كان يحق لها أن تفقد الأمل في ابنها الذي يتصرف بشكل طفوليٍّ، إلا أنها لم تفعل. أَحمد الله أنها عاشت ما يكفي لتراني أجعل من حياتي حياة ذات قيمة، لأنها هي وإحدى مدرساتي في المرحلة الثانوية، وزوجتي المستقبلية، جميعهن آمنَّ أن بقدوري أن أستغل مهارات القدرة الذاتية لدى لمساعدة الآخرين على

تكوين عائلات شديدة التماسك. هل ما زلت أتصرف بطفولية؟ أتعرف أنني وصديقي "مونهيد" كنا نتصارع، رغم استنكار زوجتنا، ونحن ننتظر أن تفرغ إحدى المأoid في مطعمنا المحلي.

لم يتوقع أحد، بخلاف هؤلاء السيدات الثلاثة، أن تكون لحياتي قيمة معتبة، ولكنها أنا ذا! إنك أيها الأب، أفضل بطل لطفلك. إن الأطفال الأقواء لا يأتون من فراغ، بل يُصنعون صنعاً، وأنت من يصنعهم. الخبر السار هو أن بإمكانك إصلاح الأخطاء التي ارتكبتها بالإصرار، والمثابرة، وقوة العزيمة.

### بعض نقاط القوة المفيدة:

"لقد عانيت مع ابني الصغرى أشد المعاناة منذ لحظة ميلادها، ففي مهدها كانت هي الطفلة التي تحدق إلى عيني، وتطير بطعمها على الأرض. وأقسم إنها ما أرادت إلا أن ترى رد فعلـي. وعندما كانت في الخامسة، أخبرتها أن تبقى في الساحة، وألا تخرج إلى الشارع، وبعد دقيقتين سمعت أبواب السيارات، فإذا بها تقف في منتصف الطريق.

إنها الآن في الحادية عشرة، ولا يمكنني أن أحصي عدد المرات التي كاد قلبي يتوقف فيها بسبب هذه الطفلة. منذ ثلاثة أشهر، وبينما أنا في أشد الحيرة، ولا أدرى كيف أتصرف معها، سمعتـك تتحدثـيـ في أحد برامج المذيعـ، وأعطـانيـ حـديثـ فـكرةـ. وعـندـ أولـ حـركةـ منـ حـركـاتهاـ السـاعـيةـ لـجـذـبـ الـانتـباـهـ كـنـتـ عـلـىـ أـهـبةـ الـاسـتـعـادـ. كـانـ التـوقـيـتـ رـائـعاـ، فـقـدـ كانـ زـوـجيـ قدـ خـطـطـ لـاصـطـحـابـ الفتـيـاتـ الـثـلـاثـةـ لـلـخـارـجـ لـقـضـاءـ عـطـلـةـ نـهـاـيـةـ الـأـسـبـوعـ فـيـ مـعـسـكـرـ خـاصـ، وـكـانـواـ سـيـغـادـرـونـ صـبـيـحةـ الـيـوـمـ التـالـيـ. وـكـانـتـ (ـجـوليـ)ـ فـيـ قـمـةـ الغـضـبـ، لـأـنـهـ لـنـ تـذـهـبـ مـعـهـمـ، فـصـفـعـتـ الـبـابـ مـرـةـ أوـ مـرـتـينـ، وـلـكـنـيـ لـمـ أـعـرـهـاـ أيـ اـهـتمـامـ، فـراـحتـ تـبـكـيـ وـتـصـيـحـ:ـ (ـإـنـكـ ظـالـمـونـ!)ـ، وـقـضـتـ الـيـوـمـ التـالـيـ كـلـهـ فـيـ غـرـفـتهاـ، رـافـضـةـ أـنـ تـتـنـاـولـ أـيـ طـعـامـ. كـانـتـ تـحـسـبـ أـنـهـ تـعـاقـبـنـيـ، وـالـحـقـيقـةـ أـنـيـ حـظـيـتـ بـيـوـمـ هـادـئـ، كـنـتـ فـيـ أـشـدـ الـاحـتـياـجـ إـلـيـهـ، وـنـمـتـ نـوـمـاـ هـنـيـئـاـ وـأـنـاـ أـعـرـفـ أـنـاـ قـدـ فـعـلـنـاـ الصـوـابـ.

وفي اليوم التالي، راحت تجرب مزيداً من ألعاب القوة، ولكنني حافظت على هدوئي. أدرت لها ظهري، وجلست في الشمس، ورحت أقرأ أحد الكتب. وبحلول اليوم الثالث، قالت لي بأدب باللغ: "أمـيـ، هلـ يـمـكـنـنـاـ أـنـ نـحـضـرـ

الغداء معًا؟ أريد أن أساعدك”， كم كانت صدمتي في تلك اللحظة! بل إنها أعانتني في غسل الأطباق كذلك. وعندما عادت أخواتها في تلك الليلة، عاملتهن بلطف بالغ، وراحـت تسألهـن عن الرحلة، وعـانقت زوجـي أيضـاً. ثم استدارت إلـيـ، وقـالت: ”شكـراً أمـي لـتناولـكـ الغـداءـ مـعيـ“، ولـأنـيـ تـمسـكتـ بـمـوقـفيـ، وـلمـ أـسـتـسـلـمـ، وـاتـبـعـتـ نـصـيـحـتـكـ، فـلـدـيـ الآـنـ مـرـاهـقـةـ لـأـحـبـهـاـ فـقـطـ، بلـ تعـجـبـنـيـ“.

جيسيكا، أوهابيو

### نقاط القوة:

- الأطفال الأقوياء لا يولدون أقوىاء، بل يُصنعون.
- استسلم، ولن تفوز.
- رتب انفجاراً، وحافظ على هدوئك.



## 2

# القوة تأتي في أشكال مختلفة

إن مصدرك الشخصي من القوة تحت عينيك ..  
وهو يخادعك !

أعيش في صحراء أريزونا، ولدينا تلك المخلوقات الصغيرة التي يسمونها فتئران الصحراء، وبها كل ما تعرفه عن الفتئران، فلديها ذيول طويلة، وتأكل كل شيء، وحقاً أعني كل شيء.

لدي سيارة "أودي" مكشوفة. ولدى الفتئران صحراء شاسعة، إلا أنها تركت كل شيء، وقررت أن تتخذ من محرك سيارتي عشا، وفي إحدى الليالي، التهمت تلك الفتئران بعض أسلاك جهاز ناقل الحركة، على نحو أجبر عمال الصيانة في وكالة سيارات "أودي" على إخراج كامل جهاز النقل من مكانه من أجل إصلاحه.

لست ميكانيكيًا، فلم أفهم كل ما فعله عمال الصيانة المهرة هؤلاء، ولكنني فهمت الفاتورة.. فهمتها حقاً، فقد كان بها "ثلاثة"، و"واحد" و"صفر"، و"صفر" آخر، وبعض الفكرة. لو أنك ما زلت تحسب معى، فقد كلفني هذا الفأر الصغير 3,100 دولار. حتى لو لم أكن عدواً للفتئران قبل تلك اللحظة، فإني الآن أبغضها أشد البغض، فقد ضربتني في المنطقة الأشد إيلاماً؛ في

الجيب! كما سبب فأر صغير مشكلة كبيرة أخرى، إذ سبب قصوراً في الدائرة  
في جهاز ناقل الحركة.

لست كهربائياً أيضاً، ولكنني أعرف أن الأislak المتلامسة تسبب قصوراً في الدائرة، وأن الأislak الحمراء والسوداء مختلفة، ويجب أن تظل بمعزل عن بعضها بعضاً، فقصور بسيط يمكن أن يطير بمبني بأكمله، وأن يعطى الكهرباء في حي كامل.

هكذا هو الحال مع ابنك القوي، طفل قوي واحد كفيل بأن يتسبب في مشكلة ضخمة، لأن مثل هذا الطفل يصنع قصوراً يؤثر في جهاز ناقل الحركة في العائلة كلها.

تعرفون ما أعني، فعندما تكون مستلقياً على الأريكة ذات مساء، تُمني نفسك بالاستمتاع ببعض السكينة والهدوء، إذا بطفلك هذا يحول غرفة المعيشة إلى منطقة حرب بنظرة واحدة أو تعليق واحد.

إذا فكرت أن أي طفل في عائلتك لديه القدرة على فعل هذا، يمكنك أن تتعزز على الطفل القوي (الذي تحركه القوة)، ففي كل عائلة طفل كهذا، وليس هو دائمًا من تظنه ذلك الطفل.

تأتي القوة (السعي وراء القوة) في أشكال مختلفة، ولكن تؤدي كلها إلى نفس الشيء؛ خداعك والتحكم بك. وهؤلاء الأطفال بارعون في هذا الأمر.

## المخادع العدواني، مرتفع الصوت

كان (رایان) طفلاً قوياً منذ التقم ثدي أمه. كان يبكي بصوت عالٍ وهو رضيع، وفي الثالثة من عمره كان يتعامل بعدائية مع أخيه الأصغر الذي لم يعجبه قدومه إلى منزله، فزاد من حدة تصرفاته القوية. وعندما كان في التاسعة، أمسكت به إحدى المدراس، وهو يفر من أمام بيتهما بعد أن ألقى

بحجر على نافذة البيت، واقتادته إلى منزله. وعندما سأله عن سبب ما فعله، لم يكن من راياني إلا أن قال: « فعلته، لأنني أردت أن أفعله! ».

## المخادع المزاجي

لقد رأينا جميعاً هذا النوع، كذلك الصغير ذي العامين الذي لا يكُف عن الصراخ في عربة الأطفال، لأن أباً لا يريد أن يتوقف عند المنطقة المخصصة للعب، وهذا الآخر ذو الأعوام الثلاثة الذي ينتابه الغضب في محل البقالة عندما لا تشتري له أمه الحلوى التي يريدها، أو ذلك الطفل ذو الأعوام الخمسة الذي لا يريد أن يغادر النادي، فيلقي بنفسه على الأرض إلى جوار المسبح، أمام كل من بالمكان.

إذا كان طفلك يزعجك بنبوات الغضب تلك وهو في الثانية، أو الثالثة أو الخامسة من عمره، فلن يكُف عن هذا التصرف وهو في الثامنة، ما لم تفعل شيئاً حيال هذا الأمر. وسيظل يفعل تلك التصرفات حتى وهو في السابعة عشرة من عمره، وإن بدت على نحو مختلف. سينعتك بصفات وكلمات لم تكن تدرك أنه يعرفها أصلًا، وسيسرق مالك، ويستعيض سيارتك دون إذنك.

في الأسبوع الماضي، أرسلت لي إحدى الأمهات رسالة تعبر فيها عن قلقها الشديد وحيرتها، تقول فيها: « لا أفهم ما الذي حدث. لطالما أعطيت ساندرا كل ما تريده. كنت أحسب أنها ستُظهر بعض التقدير والامتنان، ولكن كلما أعطيتها شيئاً أرادت الحصول على شيء آخر! ».

إنكَ، أيتها الأمهات خاصة، تتسمن بالعاطفة والطيبة، وتزدن أن يشعر الجميع بالسعادة. ولذا فأنتِ تريدين أن تسعدى طفلتك، وأن تجعلى دربها في الحياة دربًا سهلاً، ولكنك بفعلك هذا، في حقيقة الأمر تؤذينها بمحببها عن الواقع، عن طبيعة الحياة، وعن عواقب اختياراتها. كم صديقة ستظل محفظة بها إذا ما نظرت إليها صاحباتها على أنها الساحرة ذات المزاج المتقلب؟ إذا كانت شخصاً مزاجياً، قد تنقلب على أي شخص في أي لحظة، وتطلب أن يفعل لها الناس ما تشاء!

يصبح الأطفال أقوياء في مرحلة مبكرة من أعمارهم، وسيصبح من العسير معالجة هذا الأمر إذا ما سمح لهم أن يتمادوا في سلوكهم هذا. لهذا فالآن هو أفضل وقت لتغيير استراتيجيتك.

## المخادع المباغت

هو ذلك الطفل الذي يتبرعم متأخراً، ويبدو كما لو أنه يتحول من حمل وديع إلى ذئب بين عشية وضحاها. فطفلك كانت دوماً رقيقة، لينة العريكة، متعاونة، وتتبع البرنامج الذي يضعه الآباء على نحو جيد، ثم تندفع الهرمونات في جسدها لتفاجأً بشخصية لم يكن الآباء على دراية بوجودها، ولكن إياكما أن تتخليا عن الزمام في تلك المرحلة؛ هذا أمر ضروري لصالحكما ولصالحها. لا بد من التعامل معها بشكل فوريٍّ. وأنتم في تلك الحالة في حاجة إلى خطة للعب<sup>(1)</sup>.

إن المراهقة (وأنا أراها تلك المرحلة بين الحادية عشرة والتاسعة عشرة من عمر الطفل)، ومرحلة ما قبل المراهقة (عندما لا يكون لدى ابنته ما تجربه، ولكنها تريد حمالة صدر تجربها، وعندما يبدأ ابنك في البحث عن شعيرات في مناطقه الخاصة "عورته") شر لا بد أن يمر به كل طفل. فكل طفل يتاثر بالمراقة على نحو مختلف، بسبب التغيرات الجسدية والنفسية والهرمونية التي يمر بها. فقد تصبح الهرمونات هي الشرارة التي تشعل الحريق، ثم تنفجر، فإذا بالطفل الذي لم تظن قط أنك ستواجهه أي مشكلات معه يتحول إلى متمرد، جريء يُعييك التعامل معه أيماء إعفاء.

كانت (آن) طفلاً لينة العريكة، تحب الغناء وتأليف المسرحيات لعائلتها، وكانت لديها روح بريئة مبهجة ترسم البسمة على وجوه كل من حولها. وفي العاشرة من عمرها جاءتها دورتها الشهرية الأولى. وعندما وصلت إلى الحادية عشرة أصبحت مجاذلة يصعب التعامل معها. كانت تبكي كل يوم عند ذهابها إلى المدرسة، وعندما تُكْفُ عن البكاء تصرخ في وجه أبيها اللذين صدمهما هذا التغير المفاجئ، ولم يدرريا كيف يتعاملان معه. فاستمر سلوك

(1) (للمزيد من المساعدة، ارجعوا إلى كتابي "Have A New Teenager by Friday").

(آن) هذا لعامين كاملين، إلى أن اضطر أبوها إلى البحث عن مساعدة طبية ونفسية.

أما (جاريد) فتحول من طفل متفوق في سن الثالثة عشرة إلى طفل مهمل؛ غير منظم، نادراً ما يتم أداء واجباته، وهو في الرابعة عشرة. قد لا يكون التحول من الحمل إلى الذئب في حالة طفلك مبالغة، كما في حالة (آن) و(جاريد)، ولكنني أكاد أجزم أنك -إن كان لديك طفل كهذا- تدعوا الله ليل نهار أن يبلغ الخامسة والعشرين من عمره قبل أن تُنهي دعاءك.

إن المخادع المبالغة هو ذلك النوع من الأطفال الذي يحرم والديه من النوم تفكيراً في شأنه، وهو صعب الملاحظة، لأنه يتارجح بين حال وحال مغاير تماماً، وقد يستقر بين الحالين أحياناً، ففي يوم من الأيام قد يكون كائناً بشرياً عادياً، وفي صبيحة اليوم التالي لا يفلح معه شيء، فهو يرى الحياة ظالمة، ويراك كذلك. يصعب التعامل معه بشكل كبير، ويرهق من يتعامل معه أياً إرهاقاً. ولو وضع رسم لسلوكه على مخطط الزلازل لبدا كصورة لجنوب كاليفورنيا... في يوم عصيب.

## المخادع الخجول، الهدائي

غالباً ما لا يُنظر إلى هؤلاء الأطفال على أنهمأطفال أقوى، ولكن لعلهم أشد هؤلاء الأطفال قوةً، فكل أوراق اللعبة بحوزتهم، إذ بضمتهم يجبرونك على ألا تحصل على أي معلومات منهم إلا بشق الأنفس، فلا تعرف أبداً في أي شيء يفكرون.

«إن ابني بالغُ الخجل»، هكذا أخبرتني إحدى النساء ذات يوم في عيادي الخاصة، واعتذررت لي قائلة إن ابنتها ذا السادسة سنوات لن يخرج من خلفها مقابلتي. كان الطفل يقف خلفها ممسكاً ببنطالها الجينز بقبضة من حديد. أنت المرأة لاستشارتي بعدما اعترافها القلق، لأن طفلها لا يريد أحداً سواها، ولا يريد أن يتفاعل مع أترابه، حتى إنها اضطرت إلى تأجيل التحاقه بالمدرسة مدة عام كامل، ولم تدرك ماذا ستصنع في العام المقبل!

وبينما كنت أتكلّم مع المرأة، راحت أراقب سلوك الطفل. لقد كان الطفل مخادعاً بارعاً، وهو لم يذهب إلى الحضانة بعد. كان يتحكم في أمّه كما

يتحكم الأطفال في الدُّمْي، وعندما قرر أنه قد حان الوقت للرحيل، زاد من شدة قبضته على بنطال أمه، فإذا بها، وبشكل آليٌّ تقول: «إنه يريد أن نغادر». أوقفتها، وقلت لها: «ولكن هل هذا ما تريدينه أنتِ؟ ألم تأتي إلى هنا لتجدي حلًا لمشكلته؟»، فبدا عليها الارتباك، لأنها لم تفكر قط في احتياجاتها هي، ثم قالت: «الحقيقة هي أنه ينفد صبره عندما أطيل الكلام!».

نظرت إليها بغضب، وقلت: «لم أكن أسأل عنه، إنما أسأل عنك أنتِ. إنك تقولين إنه خجول، ولكن الحقيقة هي أنه يستخدم ذلك الخجل للتحكم بك، ويجدول مواعيدهك وسلوكيك!». فغرت المرأة فاها من الصدمة.

كما ترون، لقد استطاع هذا الطفل، ابن السنوات الست، أن يفهم شخصية أمه فهماً دقيقاً، وأوقعها في حبالة، وأحكم حولها الخناق. بالطبع لم يُرد هذا الطفل أن يتفاعل مع أي أحد آخر، فأمه تصنع له ما يشاء، ويسهل التنبؤ بسلوكها بشكل يجعل التحكم بها في غاية السهولة.

لذا عندما قلت لها أن تبقى، بخلاف ما يريد؛ راح يبكي، وعندما لم يفلح هذا السيناريو، اهتاج اهتاجًا شديداً، حتى إني اضطررت إلى أن أخرج الأم، لكي أتعامل معه.

إن الأطفال الذين يتعلمون أن يصبحوا أقوىاء هادئين وخجولين في صغرهم، يكبرون ليصبحوا بالغين مسيطرین، وفي نفس الوقت هادئين وخجولين.

وذلك كما في حالة (جانيل)، بنت الأربع عشرين عاماً، التي تعذب أمها بصمتها كل يوم في طريق عودتها من المدرسة، ثم تثرثر لخمس ساعات مع أصدقائها على الهاتف، ولكنها تصبح في غاية الرقة والسحر عندما تريد شيئاً من أبيها أو من أمها.

أو كما في حالة (ريتشارد) ذي الواحد والعشرين عاماً، الذي لم يزل عاطلاً، لأنه ليس لديه الشجاعة لإجراء مقابلة عمل، ويقضي يومه في غرفة نومه يلعب على الكمبيوتر ألعاباً حربية. وما الذي تفعله أمه حال هذا الأمر؟ تغسل له ملابسه، وتقدم له العشاء في غرفته ليواصل اللعب دون إزعاج!

هل تعتقد أن هؤلاء الأطفال ليس لديهم اليد العليا؟ إنهم يُسيّرون آباءهم  
كما يريدون... تماماً!

## المخادع الحساس

هل تتلوّحى الحذر، لأنك تخشى أن تزعج طفلك "الحساس"، وإلا تحول  
الأمر إلى مأساة؟

يقع الآباء ضحية لخداع الطفل الحساس، ويحسبونها سمة طيبة، ويقولون  
لي: "لو قلت له أي شيء لأصحح سلوكه، يشرع ابني على الفور في البكاء،  
ويقول: إني فاشل". ولا غرابة في هذا السلوك من قبل الطفل، فهو مخادع  
بارع.

فما الذي يريد الطفل من أمه أن تقول؟ يريدتها أن تقول: "الآن.. الآن يا  
حبيبي، فأمرك لم تُرد أن تقول هذا، فسامحني"، الحقيقة أنه يريدتها أن تعذر  
عن أداء دورها كأم؛ عن محاولتها أن تحاسبه على تصرفاته.

لا يريد كثير من الآباء في هذه الأيام سوى إسعاد أبنائهم، ولكن هل أنت  
أيها الأب - سعيد دائمًا؟ هل شعور المرء بالسعادة هو ما يسدد الفوatir،  
ويُسّير أمور الحياة؟!

إن هؤلاء الأطفال الحساسين ليسوا في واقع الأمر سوى طغاة مسيطرین،  
وهكذا سيكونون عندما يكبرون. تدبر مسألة الزواج، عندما تسيل الدموع  
أنهاراً من عيني الزوجة لتجبر الزوج على الموافقة على أمر تريده، حتى ولو  
رأى هو أن هذا الأمر خالٍ من كل حكمة، لأنه لا يتحمل أن يرى زوجته تبكي.  
إنه لا يفكر أبداً في أن يعبر لها عن رأيه، لأنه يتلوّحى كاملاً بالحذر وهو يتعامل  
معها، مع زوجته "الحساسة"! وكذلك الحال مع زوجة الرجل "الحساس" ،  
الذي يجب أن يُقدم له الطعام في وقت معين، وإلا عانت الأمرين من تقلبات  
مزاجه!

في رأيك... من أين اكتسب هؤلاء الكبار تلك التصرفات المتسلطة؟ في  
منزلهم، وفي صغرهم.

ما الذي ي قوله حقاً الطفل الحساس؟ ”سأجعلكم تتصاعون لرغباتي. لن تتعاملوا معي إلا بالطريقة التي أريدها، وإنما ستلتقون مني ما تندمون عليه أشد الندم!“.

وينخدع الآباء بهذا!!

أذكر حديثي مع طفلة في الخامسة في عيادتي الخاصة، كانت تتحدث بصوت خفيض للغاية، أجبرني على أن أجلس على حافة كرسيٍّ لأقترب منها ما استطعت حتى أسمع ما تقول، وأخيراً قلت لها: ”إنك تحاولين أن تجعليني الدكتور ليمان يفترش الأرض، أليس كذلك؟“، فابتسمت ابتسامة شريرة، وقالت: ”أجل!“.

الأطفال مخادعون، وهم يعرفون أن بإمكانهم أن يجبروك على أن تتملقهم، فيجعلونك تفعل. فإن رفعت صوتك أو قلت شيئاً لا تريد ابنتك أن تسمعه، فماذا يحدث؟ تبكي، وتغضب، ثم تصرخ قائلةً: ”إنك تكرهيني!“، وبحركة مماثلة بارعة ترتمي على الفراش، وتتوحّ: ”إنك لا تحببنني!“.

لكن إياكِ أن تخدعك تلك اللوغة المتسلطة الصغيرة التي تستغل ”حساسيتها“، وتلك النظرة البائسة لتحصل على ما تريده. إنها تخدعك، فانتبهي!

### المخادع المماطل العنيد

هذا هو الطفل الذي يأبى صراحةً أن يفعل ما تطلبه منه، أو الذي لا يستجيب، أو يؤجل المهام الموكلة إليه قدر ما يستطيع، لعلك تنسى ما طلبته منه. إنه طفل مزعج ومحيط، إذ لا يمكنك الاعتماد عليه، ويصعب التعامل معه، لأنك يضطرك إلى الإلحاح كلما طلبت منه شيئاً.

”هل أديت واجبك؟“.

”هل أخرجت القمامات؟“.

لا تكُف عن سؤاله، لأنك لا تعرف أبداً إذا كان قد فعل ما طلبته منه أم لا. ورغم كل شيء، فلا مفر من أداء واجبه، أليس كذلك؟ والقمامات، إن لم تُخرجها مرة، فقد تصبح رائحة مرأبك كريهة.

ولكن إن لم ينجز هذه المهام، فما الذي سيحدث حقاً؟

عليه حينئذ أن يأتي باعتذار مناسب لفشله في أداء واجبه (والمدرسون ليسوا أغبياء، بخلاف ما يراه تلاميذهم).

إن عدم إخراج القمامنة مرة ليست نهاية العالم. والأجمل من هذا أن عدم إخراجها مرة أو مرتين سيمثل إضافة لطيفة لغرفة طفلك في الأسبوع التالي؛ إضافة لن تجعله ينسى إخراجها ثانية.

يقول الطفل العنيف: «لن يجعلوني أفعل ما تريده، فزمام الأمور بيدي!».

ويقول المخادع المماطل: «سأفعل هذا الأمر عندما أريد، فالزمام بيدي».

ومهمتك أيها الأب هي التأكد من أن تكون عاقبة سلوك طفلك موجعة له.

## القوة التي تخدم هدفا

من المرجح ألا تكون قد قلت كلمة «هادف» اليوم. ولعلك لم تقلها هذا الأسبوع، أو هذا الشهر، بل وهذا العام. فهي كلمة لا يستخدمها الناس كثيراً، إلا أنها كلمة مهمة عليك أن تعرف ما تعني.

إن السلوك القوي، والسلوك الساعي لجذب الانتباه سلوك «هادف»، بمعنى أنه يخدم هدفاً.

يسعى كل الأطفال وراء جذب الانتباه، فقد فُطروا على البحث عن التواصل والاهتمام. بعضهم يحقق هذا من خلال الحصول على درجات طيبة في المدرسة، أو بإرضاء آبائهم، أو بالمساعدة في شؤون المنزل. وهناك آخرون يحققونه بإزعاجك بتصرفاتهم حتى تتنبه إليهم.

والأطفال الذين يبدؤون حياتهم بالسعى خلف جذب الانتباه، ثم لا يحصلون عليه بطريقة إيجابية سيصيّبون تركيزهم على الحصول عليه بطريقة سلبية. وأنا خير مثال على هذا، فقد كان لدي اخت كبرى مثالية، وأخ أكبر أقرب ما يكون إلى المثالية، فكان من العسير أن أجاري أيّاً منها في مثاليته، وبידلاً من أن أتميز في المدرسة مثلهما، أصبحت مهرج الفصل. لا شك أن هذا جلب لي الانتباه الذي كنت أبحث عنه، بل جلب لي الكثير منه، ولكنه كان اهتماماً سلبياً، يهز فيه الناس رؤوسهم ويتمتمون: «ما أتعس آل ليمان بابن كهذا!!».

لاحظ أن الاهتمام/الانتباه، إيجابياً كان أم سلبياً، هو اهتمام في نهاية الأمر، لكن إن استمر الطفل يعاني من قلة الاهتمام، ويرى أن الأمور لا تسير

أبداً على النحو الذي يرغبه، فسيصبح أشد بحثاً عن القوة. وكلما كبر طفلك زادت قدرته على إجبارك على أن تُغيره اهتمامك.

والأطفال حادّو الإدراك، حتى في المراحل المبكرة من حياتهم. فهم يقيسون البيئة الاجتماعية التي ينشئون فيها، فلو كانت الأم -مثلاً- قليلة الصبر، وحملت طفلها بمجرد أن يبدأ في التذمر، فما الذي سيفعله هذا الطفل؟ ضع نفسك مكان هذا الطفل لدقيقة واحدة: هل تفضل أن تنام وحدك أم أن تحملك الأم وتهددهك؟ أن تنام إلى جوار هذه الملاءات المعقمة السخيفة في مهدك، أم محاطاً بهذه الوسائل الدافئة المريةحة، قريباً من قلب أمك؟

ومن خلال التجربة والخطأ، لو كافأت سلوكاً ما لفترة طويلة، فإنه يتأصل ويترسخ، ويسمى علماء النفس هذا الأمر "التشريع الفاعلي".

يتعلم الأطفال كيف يصبحون أقوياء. لماذا؟ لأن هذه القوة تخدم هدفاً، وتعين الطفل على المضي في حياته، لأنها تبني قضية، فحواها: "أنا أكثر أهمية من أي فرد في هذه العائلة"، وهي تعزز مصفوفة القوة لدى الطفل، فهي تضعه في موضع الهجوم، وتوضح له -حسب تفكيره- أن أفضل وسيلة للدفاع هي الهجوم، فيظل الطفل في موضع الهجوم. إن السلوك الهدف يجعل طفلك يشعر كما لو كان في موضع السيطرة، فهو السيد، والكل طوع بنانه. عندما يسيء طفل القويُّ التصرف، سواء كان هذا بشكل هادئ أم على نحو صاخب، فإن لديه هدفاً، وترى من الذي علمه هذا؟ إنه أنت. نعم.. أنت، وهذا الطفل القويُّ يراقبك طيلة الوقت.

### انظر إلى نفسك على أنك قاطع الدائرة (الكهربائية)

هل تذكرون فأر الصحراء الصغير الذي كلفني ما كلفني لإصلاح سيارتي، لمجرد تسبُّبه في إحداث تقصير في أسلاك جهاز ناقل الحركة؟

لنسمى الأشياء بأسمائها، فإن لديكم فأركم الصغير الذي يجب عليكم أن تتعاملوا معه، وأنتم في حاجة إلى أن تكونوا ذلك الميكانيكي الذي لا يصلح التقصير في الأسلاك فحسب، بل يؤدي دور قاطع الدائرة الكهربائية كذلك. لن يواصل طفلك تدفقات القوة ما لم يكن لديه سبيل ممهد للوصول إلى مصدر الطاقة.

وأنتم -أيها الآباء- مصدر الطاقة هذا، وطفلكم يعرف كيف يضغط أزراركم ليحصل على اهتمامكم، وعلى قدر من التحكم في حياته، وإن قلّ. ذات مرة قالت لي إحدى الأمهات: «لا يُكُفُّ ابني وابنتي عن الصراع معِي مهما يكن ما أطلبه منها. وفي كل مرة يتَعَيَّنُ أن يكون لهما الكلمة الأخيرة. إن الأمر مرهق للغاية!».

ربما تكون لهما الكلمة الأخيرة، لأنك دائمًا صاحب الكلمة الأولى، فهل فكرت في الأمر على هذا النحو من قبل؟ إن النظر إلى المسألة من هذه الزاوية ليضع تلك المعارك اليومية مع طفلك في منظور جديد تماماً، أليس كذلك؟ لم يلْجأ طفل وهو في العاشرة من العمر إلى البكاء والنحيب؟ ولم تصبِّه نوبة الغضب تلك وهو في الثالثة عشرة؟ الإجابة بسيطة: لأن هذه التصرفات سبق لها أن ثُمرت، فتحققت له ما يريد.

تأتي القوة في أشكال مختلفة، ولكن هناك عاملاً مشتركاً بين كل هذه الأشكال. إن الأطفال يتصرفون بالطريقة التي يتصرفون بها، لأنها تفلح، لكننا سنغير كل هذا. كل ما عليك هو أن تنتظر، وترى ...

### أفكار قوية ناجعة:

سالي طفلة صالحة صادقة، دائمًا ما تؤدي مهامها على خير وجه، أو هذا ما كنت أحسبه طيلة الوقت إلى أن حدث ما حدث بعد أسبوع من عيد ميلادها السادس عشر، إذ جاءتني مكالمة هاتفية من الشرطة تخبرني فيها أن سالي قد ضُبطت، وهي تقترب أحد المنازل. رحت ألم نفسِي، وأقول: «لا بد أنني أم سيئة، ولا بد أنني فعلت شيئاً ما على نحو خاطئ، وإلا لما أصبحت ابنتي على تلك الحال!». فعزمت على أن أتعامل مع الأمر بحزم... ثم لا ألين، ففعلت ما أمرت أنت بالتوصية به، فاتفقنا مع الشرطة أن تُبقيها في الحجز بضع ساعات حتى آتي إلى قسم الشرطة لأدفع الغرامة، كما سحبت منها امتياز قيادة السيارة متعللة بأنها أساءت استخدام هذا الامتياز. أقللتُها إلى المحكمة، ولكنني لم أجلس معها، بل جلست في أقصى الغرفة، وتركتها تجيب بما يوجهه لها القاضي من أسئلة. وقد كان مثولها أمام القاضي، ومواجهتها

عواقب تصرفاتها، وما قد يحل بها جراء أفعالها؛ بمنزلة تحذير شديد اللهجة  
كانت حُقًا في حاجة ماسّة إليه.

كارا، تكساس

### نقاط القوة:

- يسعى كل الأطفال إلى لفت النظر، وإن لم يحصلوا عليه بطريقة إيجابية، فسيحصلون عليه بطريقة سلبية.
- كل التصرفات القوية تخدم هدفًا.
- لو كانت لك الكلمة الأولى، فسيكون لطفلك الكلمة الأخيرة.

### 3

## المخادع الصاخب، المزاجي، المباغت

هذا النوع من الأطفال الأقوياء يسهل ملاحظته،  
فيما كانك أن تسمعه من آخر الشارع، وكذلك الجيران.

كان ”برنت“ أبغض طفل في الصف الخامس في مدرسته كلها، كما كان أبغض طفل في الصف الثاني، والثالث، والرابع. ويمكنكنا أن نقول إن برنت لم يتغير كثيراً على مر السنين. وهو الأخ الأصغر لأربعة أولاد، ولا شك أنه لا يتلقى أي اهتمام في منزله، ولذا فهو يبحث عن الاهتمام بكل سبيل في مدرسته، فعندما يدق جرس انتهاء الحصة يكون أول من يصل إلى باب الفصل بعد أن يدفع كل من أمامه. كما أنه يلقي بتعليقات عنصرية بغيضة تسببت له في الفصل المؤقت ثلاث مرات، وإن لم يعجبه شيء قاله أحد الأطفال، تهجم على هذا الطفل، وأعلن رأيه بكل وقاحة. وفي أثناء حصة الرياضيات، يقاطع التلاميذ الآخرين، ويشرع في الجدال معهم، وعندما تقول له المعلمة إن عليه إلا يقاطع زملاءه، وتوضح له أن برهانه غير صحيح، يقاطع معلمته، ويقول لها إنه يعرف أكثر منها.

فهل نعجب إذا علمنا أن زملاء برنت ينظرون إليه شرراً بمجرد أن يفتح فمه، أو أن معلميته يستشيطون منه غضباً، أو أنهم يناقشون ما قد يصدر عنه من سلوك، وهم يتناولون غدائهم في وقت الراحة، أم نستغرب إذا ما علمنا أن مدرسة الرياضيات للعام القادم قد قررت أن تستقيل مبكراً حتى لا تضطر

إلى التدريس لفصل به برنت؟ ورغم كل هذا، تذهب أمه إلى مدير المدرسة، وتتشكّو له قائلة: "ليس لابني من أصدقاء، وهو يشعر بحزن شديد". حقاً؟ فمن هذا الذي يتخد من هذا النوع من الأطفال صديقاً؟ ها هي الدُّبَّة الأم تدافع عن جرائهما في الوقت الذي تحتاج فيه إلى إنذار ل تستفيق مما هي فيه، في الوقت الذي تحتاج فيه إلى جرعة من الحقيقة بشأن سلوكه تجاه الآخرين. ما تحتاجه تلك الأم حقاً هو أن تقضي بعض الوقت مع جرائهما في عرينه.

وهناك (سادي)، وهي خير تعريف للمزاجية، فمشاعرها دائمًا مجروبة، أو على وشك أن تُجرح، ويمكن سماع نحيبها من على بُعد ثلاث طاولات في غرفة الطعام، وليس أسهل عليها من ذرف الدموع جلياً للتعاطف. ولا يدور حديثها إلا عن نفسها، ولا تكُف عن الحديث عن أختها الكبرى، وعن أن أخاها الأصغر شوكة في حلقاتها. كما أن لغتها باللغة الطفولية بالنسبة إلى فتاة في الثانية عشرة من عمرها، فلا غرابة إذن في أنها تغير دائرة أصدقائها بين الحين والآخر، فسائر الأطفال لا يطيقون التعامل معها إلا لفترة قصيرة.

وهناك كذلك (كاسي)؛ الطفل الصالح الذي أصابه الفساد، كما تصفه عمته على الأقل. فقد تحول من تلميذ يحل في المرتبة الأولى أو الثانية، ويساعد جدته بعد عودته من المدرسة بينما في هو الثالثة عشرة من عمره، إلى فتى مدخن يشرب الكحوليات، ويُضيّط وهو يضرم النار في متجر خلف المدرسة، وهو في سن الخامسة عشرة. وهذا هو الآن بصحبة رفقة مختلفة تماماً، لا تُعجب أبيه بأي حال، وهو ما غير قادرین على معرفة ما صدر منهما، بسبب كل هذا، يشعران بالعجز حيال إعادة ابنهما إلى جادة الصواب. لم يخطر ببالهما أنه لا يمكنه القيادة بمفرده في ولایتهم بعد، ولا أن لديهما السلطة الأبوية للسماح له بقيادة السيارة أو حرمانه منها؛ ذلك الحرمان الذي من شأنه أن يؤدي إلى منعه من الوقوع في كثير مما يقع فيه.

إن المخادع الصاخب، العدواني، المزاجي، المبالغت أسهل أنواع الأطفال الأقوباء ملاحظة، وهذا يرجع لكونه صاخباً، وعدوانياً، ومزاجياً، ومباغتاً، إلا أنه أكثر هؤلاء الأطفال المدفوعين بالقوة شعوراً بعدم الأمان، وللهذا فهو يحاول بكل ما أوتي من قوة، إذ يخشى أن يتوه في زحام المدرسة، أو في

المنزل، ما لم يلفت الأنظار إليه طيلة الوقت، فهو طفل يبحث عن الاهتمام، بكل شراهة، على سبيل التبسيط.

وهذا كحالة ”نوح“، ذي السنوات التسع، الذي يحب دوماً أن يكون قائداً مجموعته، فإذا ما اقترح أحد أفراد مجموعته أن يلعبوا لعبة غير ما اعتادوها، يحاول أولاً أن يثنى الطفل الآخر عن رأيه بطريقة عنيفة، وإن لم يفلح هذا، فإنه يرسم العبوس على وجهه، وينجد الأجواء، وإن لم يفلح هذا أيضاً، فإنه يفتعل شجاراً حتى يقحم مراقب الملعب في المسألة، فيفسد على الجميع متعته. عندما لا يحصل الأطفال الأقوياء على ما يريدون، فإنهم يأخذون ثورتهم إلى مستوى أعلى، وهم في كل هذا لا يفعلون شيئاً إلا خداعكم أيها الآباء.

## الطفل الصاحب العدواني

”لا يمكنك أن تجبرني على فعل هذا!“.

”لقد استحق ما جرى له، فرددت له الضربة!“.

”(تعاملني) كأنك شخص مثالٍ!“.

كل هذه عبارات مكررة يمكن أن يقولها الطفل القوي، العدواني، الذي يبحث عن الاهتمام. غالباً ما يتبع هذه العبارات بعض وضعيات الجسم، وإيماءات اليدين التي قد تراها مسيئة وغير ملائمة.

يحب هؤلاء الأطفال المجادلة، ويبحثون عن الشجار، فإياك أن تمنهم ما يريدون، فإنك متى جاريتهم وتشاجرت معهم أعطيتهم ما يريدون، تماماً؛ المبارزة. ولضمان حصولهم على مبارزة أخرى، فسوف يصعدون الأمور.

ولا يغير هؤلاء الأطفال أي اهتمام لمن حولهم ويرى سلوكهم، فهم لا يشعرون بأي خجل إذا ما كانت العمة (ميلي) تراهم في أثناء جدالهم معك، ولا إذا ما كانت تلك السيدة التي تعبر الطريق تراهم في أثناء جدالهم. فهم يخوضون المعركة في تلك اللحظة، ولا يهمهم سوى إحراز النصر. فالزمام بأيديهم، لأنهم يقولون: ”انظروا إلينا، إننا نقلب عالم أمنا رأساً على عقب في هذه اللحظة. هذه هي القوة.“.

كيف تعرف أن لديك طفلاً قوياً؟ راقب رد فعلك تجاه سلوكه: "لا يمكنك أن تفعل هذا بي!"، يقولها فتنزعج، وتستفيض في الحديث: "إني أبوك، و...."، ثم تندفع أحماض معدتك، فتشعر بحرقة، وتتفتش عن علبة دواء الحموضة.

إذا كان سلوك طفلك يستثير هذا النوع من الاستجابة العاطفية، وهي ليست استجابة جميلة، فهذا مؤشر قوي على أن طفلك قد اكتسب بعض القوة. وإذا صدقت استجابتك، فإن طفلك سينظر إلى الأمر على أنه تحدّ، ويحاول أن يتفوق عليك فيه. وهنا يبدأ صراع القوة، الذي لن يربح فيه أيٌ منكم، والذي ستتضرر بسببه العلاقة بينكم.

والاحتمال الأرجح هو أن تخرج أنت من أي معركة من تلك المعارك خاسراً، لأن لديك مما تخسره أكثر بكثير مما لديك، فأنت تهم كثيراً بما تقوله العمة "ميلي"، وهو لا يأبه لرأيها بأي درجة، كل ما يعرفه هو أنها في كل عام جديد تُهدىء وشاحاً سخيفاً طرزته بآيديها.

كما أنه، لأنه طفل، فسوف يعذر الناس على كل حال. لا شك أنهم سيستهجنون سلوكه، ويرمقونه بنظرات ساخطة لثانية أو ثانيةتين، قائلين: "ما خطب هذا الغلام؟!"، ولكن ثق بي عندما أقول لك إنهم سيلومونك أنت -أيها الأب- أكثر مما يلومونه، وسيقولون: "ما خطب هذا الأب؟ كيف يُنْتَج عن تربيته طفل بغيض كهذا؟!..

فهاك إذن ما يمكنك فعله: لا تُعِر هؤلاء الناس أي اهتمام، وتغاض عن نوبة الغضب الذي يلقinya ابنك في وجهك، وارحل عن ذلك المراهق في أثناء صراغه. فالطفل الصالب العدواني سيفعل أي شيء ليُرِيك كم هو قوي. ولهذا فأنت في حاجة إلى تجاهله، وإلى ألا تدعه يوقعك في شراكه. وإن راح طفلك يصبح بعبارات غير ملائمة، فلتهدأ ولتقل: "لا شك عندي أنك ترى الأمر على هذا النحو، إلا أنني لا أراه كما تراه على أي حال"، قل هذا، وأنه المحادثة. إن الأطفال الذين يُظهرون نوبات الغضب (سواء كانت جسدية أو لفظية) عادةً ما يكونون غاضبين أو محبطين، وهذا لأن كثيراً من هؤلاء الأطفال باحثون عن الكمال، وعندما لا تسير الحياة على نحو جيد، أو على النحو الذي يريدونه، أو عندما يرتكبون خطأً، أو لا يفعل الشخص ما يتوقعونه بحذافيره، فإنهم ينهارون. فهم -في ظنهم- يرون أن ارتكاب أي خطأ شيءٌ فظيع.

لقد ترعرع كثير من هؤلاء الأطفال في بيوت يرى أصحابها انسكاب مشروب أو انكسار كوب خطباً عظيماً، في بيوت طالما كان بها كثير من التعنيف اللفظي، أو التوبيخ بسبب إفساد أي شيء يكلف مالاً. ففي حالة الطفل المهووس بالكمال، عادةً ما يكون أحد الأبوين مهوساً بالكمال.

ولهذا فيإمكانك أيها الأب، أن تصنف فارقاً كبيراً، فالامور لا تسير دائمًا على النحو الذي خطط له، فالاكواب ستنكسر، والمشروبات ستتسكب، وليس هذه نهاية للعالم. كل ما عليك حينها هو أن تُحضر خرقه، ومكنسة، وتصلح الأمر، فتستمر الحياة. لا حاجة إلى التوبيخ، فاستجابتكم ورد فعلكم في مثل هذه المواقف، مهما بدت تافهة، ترتبط ارتباطاً شديداً باستجابة طفلكم ورد فعله.

ما يمكنك فعله:

- قاوم بشدة رغبتك في الرد على طفلك.
- تجاوز عن الطفل نفسيًا، وواصل طريقك.

### الطفل المزاجي

لا تظل طفلاً في العاشرة متمسكةً بالنحيب إلا لأنه يخدم غرضها، أليس كذلك؟ إن الطفل المزاجي يصعب التنبؤ بسلوكه، فأي شيء قد يزعجه. وهي من ذلك النوع المحبط الذي يرى أن الدنيا كلها تحاربه، ولا تعود تقبلات مزاجها إلى هرمونات البلوغ أو المراهقة، بل إلى ما تعلمته من سلوك. والأطفال الذين لا يحاسبون على سلوكهم المزاجي يصبحون بالغين يخادعون الآخرين، ويتحكمون بهم من خلال نوبات مزاجهم، وهم أناس غير ناضجين سيبدون في عين غيرهم من البالغين في غاية الحماقة. وهم منكئون على ذواتهم؛ لا يهمهم غير الحصول على متعهم، لأن والديهم دللوهم كثيراً ليسهلوا لهم رحلتهم في الحياة.

إن قال طفلك: ”إني فاشل“، أو ”لم أؤدي عملي على ما يرام“، فأنت تقول: ”لم يا حبيبي؟ هذا غير صحيح، لقد أحسنت“، أو إن رماك بعبارة: ”إنك لا تحبني!“، فإنكم خاصة الأمهات، تبذلن كل جهدكن لتحسين الأمور، فتقولين مثلاً: ”بالطبع أحبك، فما الذي يجعلك تعتقد أنني لا أحبك؟“، ثم ترتعش يداك!

لكن ليس لهذه الردود من ثمرة سوى تعزيز شخصية ابنك القوية الباحثة عن الاهتمام، وبدلًا من هذا قولي: ”عجبًا، كم يؤسفني أن تشعر على هذا النحو! لا أعتقد أن ما تقوله صحيح، لكن إذا كنت ت يريد أن تصدق هذا، فهو حقك“، أضمن لك أن يجعله ربك هذا حائراً، وأن تبدو علامات الارتباك جلية على وجهه، فطفلك حينها سيحاول أن يفهم ما تقولين، وهذا لأنك لم تتععي في فخ محاولة تدليله، وإخراجه من تلك النوبة من تقلب المزاج.

عندما تقول ابنتك: ”لا أريد الذهاب“، قولي لها بحزن: ”في بعض الأحيان لا أريد الذهاب معك إلى حيث تريدين، ولكني أذهب معك على كل حال!“، وعندما يشكوا ابنك قائلاً: ”إن ذلك المدرس يدفعني إلى الجنون، ويكلفكني بقدر هائل من الواجبات، لا يمكنني أن أفعله كله“، ثم يرسم ملامح اليأس على وجهه آملًا أن تساعدته في أداء واجباته، فما الذي ينبغي لك أن تقوله في هذا الموقف؟

”لن تحب كل مدرسيك طيلة الوقت، ولكنهم موجودون معنا على هذه الأرض، لكي يساعدوك على التعلم، ولست الوحيدة في فصلك الذي يُكلف بهذا الواجب، أليس كذلك؟“، ثم أدر له ظهرك، وامض إلى حال سبائكك، فهو واجبه، شاء أم أبي.

ينزعج الطفل المزاجيُّ بسبب أتفه الأشياء، وعندما يزعجه شيءٌ ما لكونه غير مثالٍ (على غير النحو الذي يريده)، فإن أفضل طريقة لمعالجة الأمر هو أن تقول: ”أعرف أن هذا شيءٌ بالغ الأهمية بالنسبة إليك، ولكن عليَّ أن أتعرف لك بأنه لا يمثل لي مثل تلك الأهمية. أعتقد أنه أمر رائع، ولكنني أعرف أنك لا تراه على هذا النحو. يمكنك أن تحفظ برأيك إذا شئت، ولكنني أرى أن الأمر على ما يرام“. إن تصرفك على هذا النحو يقلل من احتمالية أن ينتقل طفال المزاجيُّ إلى مرحلة أكثر حدة.

لكن إن كانت استجابتك تقليدية، ورحت تكيل المديح لهذا الشيء قائلاً: ”لم تقول هذا؟ إنه مثلاً: نموذج طائرة رائعة“، فلن تحصل على سوى ذلك الرد: ”لا، إنه ليس كذلك!“، ثم باب يُصفع، وسيل من الدموع. يرجع هذا، لأن الطفل يعرف أنك لا تفهم، وسيجلد نفسه جلدًا شديداً. لو كان طفلك يحسب أن هذا الأمر أمر سيء، فإن إخبارك إيه أنه أمر جيد لن يحقق أي نتيجة تُرجى.

- لا تنكر مشاعر طفلك، ولكن قدم له منظوراً مغايراً، متوازناً.
- لا تدلله؛ على طفلك أن يشعر بعواقب سلوكه.
- لا تساعده، فهو المسؤول عن واجبه ومهامه.
- تحدث معه حديثاً واقعياً مباشراً، لكلا يزداد استثارة.

إن إحدى أكبر مسؤوليات الوالد هو أن يعمل بمنزلة قاطع للدائرة الذي يتحكم في كل تدفقات القوة في العائلة، فإذا ما بالغت في رد فعلك (خاصة في حالة المولود الأول)، فسوف يبالغ طفلك في ردة فعله، وسوف تحول الأمور التافهة إلى أمور كبيرة.

وعليكم -آباء الأطفال الصغار- أن تعرفوا ظاهرة طبيعية، وهي أنه عندما يبلغ التعب بالطفل مبلغاً كبيراً، فإنه يصبح أكثر عرضة للانهيار، وهو ما أسميه "نقطة اللاعودة". وما إن تصل إلى هذه النقطة، حتى وإن كنت سيجموند فرويد وألفرد آدلر مجتمعين، وإن أتفقنا كل ما كتبه كيفن ليمان من كتب، فلن يهدأ طفلك ما لم يبكي حتى ينام.

إذا ما اتفقت على تناول العشاء في بيتك أحد الأصدقاء في ساعة بعد موعد ذهاب ابنك إلى فراشه، فإنك تبحث عن المتابع، ولن تتحمل تبعات هذا الأمر من تذمر طفلك وشكواه في تلك الليلة فحسب، بل وفي اليوم التالي أيضاً، ولكن هناك حل رائع، هو جلسة الأطفال.

أما من لديهم أبناء مراهقون، فإني أقدم لهم نصيحة مفيدة. إذا كنت تعرف ما قد يزعج ابنك أو ابنته، ورأيت أنه على وشك الحدوث، وتعرف طريقة لمنعه من الحدوث دون علم طفلك، فافعل هذا. لنفرض -مثلاً- أن لديك ابنة مراهقة مهووسة بالدقة؛ تحب دوماً أن ترتب زيها المدرسي، وتضعه فوق الكرسي لليوم التالي، ولاحظت أن القطة قد تسللت إلى غرفتها، وهي تتمرن لأداء مسرحية مدرسية، وكانت تعرف أنها لن تعود إلى المنزل إلا بعد العاشرة والنصف مساء، وحين عودة الفتاة سترى شعر القطة على ملابسها، فتعتريها الثورة. عليك حينئذ -أيها الأب الذكي- أن تخرج فرشاة تنظيف الملابس من الدرج، ولن يتطلب الأمر منك سوى عشرين ثانية للتخلص من شعر القطة، ثم تتأكد أن القطة لن تتمكن من التسلل إلى الغرفة مرة ثانية.

هل يعد هذا تدليلاً لطفلك؟ لا، بل هي حصافة وإطفاء للنيران قبل اشتعالها، لكن لا تفعل هذا كل مرة، فالجميع في حاجة إلى بعض العقبات في حياته ليضبط شخصيته، ولكي يتمكن من التعاطف مع الآخرين.

## الطفل القوي المباغت:

لا يكُف هذا الطفل عن مفاجأتك ومباغتك، ففي لحظة يكون في غاية الرضا، وفي اللحظة التي تليها تكاد لا تعرف عليه. لا يوجد طريقة للتنبؤ بتصرفاته، فهو دائمًا ما يباغتك على حين غرة. ومن ألغاز الحياة، التي تقض مضاجع الآباء على وجه الخصوص، ذلك الطفل الذي يواكب البرنامج الأبوّي بابتسامة على وجهه وكأنه على وفاق مع الجميع، ثم بين ليلة وضحاها، تظهر علامات تدل على أن الطفل ليس كما يحسب أبواه.

بإمكان الأطفال المباغتين أن يصنعوا دوامات تتجه إلى الأسفل بسرعة. ولهذا أحث الآباء على أن يعيروا انتباهم لعدة أمور؛ أولاً: التغيرات المفاجئة، كانخفاض الدرجات المدرسية، أو تغير كبير في الشخصية، غالباً ما تنتج عن تعاطي المخدرات أو الكحوليات. إذا صادفكم هذا، فلتصرروا على إجراء اختبار مخدرات، فمن الأفضل على كل حال معرفة مثل هذه الأمور في وقت مبكر، وإن لم يكن يفعل هذا، ف مجرد جعله يذهب للخضوع لمثل هذا الاختبار، وأنت برفقته، سيعمل كإنذار له يعرف من خلاله أنك تلاحظ تصرفاته. ثانياً: استخدم زر "التاريخ" في حاسوب طفلك لترى الواقع التي زارها مؤخرًا. ثالثاً: تحفص بريده الإلكتروني ورسائله النصية. قد تجد طفلك يصرخ قائلاً إن هذا التصرف تعدى على خصوصيته، ولكن لا تننس أنه يعيش تحت سقف بيتك، وأن دورك كأب هو أن تكون على دراية بكل ما يجري.

وما تواجهه مع الطفل المباغت في تلك اللحظة لن يكون سوى نزد يسير مما ستواجهه إن لم تضع حدًا لسلوكه الخاطئ على وجه السرعة، فنقطة العودة للعديد من الأطفال المباغتين هي كيفية استجابة الآباء عندما تصلكم مكالمة هاتفية من مدير المدرسة، أو قسم الشرطة، أو أي جهاز سلطة آخر. وعندما تصلك تلك المكالمة فعلًا (وليس هناك من شك في هذا مع هذا النوع من الأطفال)، فإن أفضل ما يمكنك فعله هو أن تحافظ على هدوئك. تحدث مع طفلك حديثاً صريحاً، وحمله مسؤولية تصرفه، قل له: "لَكَ

يحزنني هذا الأمر! أما سبب وكيفية فعلك إياه، فسيكون حديثاً بينك وبين قاضي الأحداث. لست في حاجة إلى معرفة كل التفاصيل، ولكن لا أخفيك أنني أشعر بخيبة الأمل، لأنك ورطت نفسك في مثل هذا الموقف. لو كان بإمكانني مساعدتك بأي شكل من الأشكال، فلن أتأخر عنك، لكنني حقاً لا أعرف كيف أساعدك، فلست أنا صاحب هذا المخدر، ولم أكن من بسيط وهو يتعاطاه!“.

إنه علاج واقعٌ بسيط يتعين عليك أن تستخدمه مع ابنك. فأنت بتصرفك هذا تفعل أمرين: من ناحية تُشعره بأنك تشفق عليه، ومن ناحية أخرى بأنك ترجو حقاً أن يجد له مخرجاً من هذا الموقف.

وعليك أن تواصل حديثك الصريح معه: ”سيجب عليك أن تمثل أمام القاضي في السادس عشر من فبراير، وليس لدى أدني فكرة عما ستقوله له. لو كنت في الرابعة عشرة من عمرى مثلك، فأحسب أنني لم أكن لأجد ما أقوله، ولكنني واثق من أنك ستجد شيئاً. لگم يحزنني حقاً أن ت quam نفسك في موقف كهذا!“.

ثم أنه الحديث، مبقياً المسؤولية على عاتق طفلك.

لو كان هناك لحظة يتعلم فيها ابنك درساً مهماً، فهي لحظة مثوله أمام القاضي وحيداً. إلا أن الكثير من الآباء لا يدعون الأمور تصل إلى هذا الحد، فينفقون الآلاف، يدفعونها لمحام يُسقط التهم أو يخفيها، فالآباء لا يحبون الوقع في المشكلات، ويخشون أن تسوء سمعتهم، ويتجنبون كل ما يوقعهم في موقف محرج.

إن أفضل خياراتك هو أن تستخدم حكم القاضي بمنزلة التأديب الحقيقى، فسيشرح ما هو السلوك غير المقبول، وسيطلب كونه غير مقبول، وسيوبخه على فعله، ولن يكون حكمه موضحاً لتبعات تصرفه هذا فحسب، بل تبعات أي حادث مماثل في المستقبل. لا أحسب أن مخطئاً يمثل أمام قاضٍ لأول مرة في حياته إلا مرتعد الفرائص.

### ما يمكنك عمله:

- تنبه لما يسبب تغيراً مفاجئاً لدى طفلك.
- حافظ على هدوئك، ومنظفيتك.
- حمل طفلك مسؤولية تصرفه الخاطئ.
- لا تساعد طفلك، ودع الحياة الحقيقية تقول كلمتها.

## أفكار قوية ناجعة:

عندما بدأت “شيلي” سنتها الأولى في المرحلة الثانوية، تعرفت على مجموعة مختلفة، وفجأة تغيرت تماماً، فأصبحت ملابسها أكثر إثارة، وصارت أكثر جرأة ووقاحة. وفي يوم من الأيام دخلت في عراك بالأيدي مع فتاة أخرى، وجاءت إلى المنزل بصحبة الشرطة.

في تلك الليلة، لجأت إلى الإنترنت، وقرأت بعضًا من مدوناتك عن الانضباط والتأديب، وقررت أن أعاملها وفق ما تسميه أنت “المعالجة بالخبز والماء”， فمنحتها المنزل (سقفاً فوق رأسها) والطعام، ولكنني حرمتها من المال، ومن كل نشاط سوى المدرسة. رحت أقلّها إلى المدرسة كل يوم، وبعد انتهاء المدرسة بخمس دقائق أعيدها إلى المنزل.

لا أنكر أن الأمر تتطلب معاناة ثلاثة أشهر حتى تعود إلى صوابها. خسرت بعض العملاء بسبب جدول مواعيدهي الجديد، وتعسرت الأمور ماديًّا بعض الشيء، ولكن الأمر كان يستحق كل العناء، ويكتفي أن عادت ابنتي إلى طبيعتها.

### ملاحظة:

اختفى كل أصدقاء “شيلي” عندما ظهرت الشرطة، وتعلمت “شيلي” درساً لن تنساه طوال حياتها.

ماريلين، نيويورك

### نقاط القوة:

- لا يفوز في الشجار الأب، ولا الطفل.
- المبالغة في رد الفعل تخلق طفلًا قويًّا.
- تدليل الطفل وإنقاذه كل مرة مما يورط فيه نفسه يخلق أطفالًا أقوىاء، مزاجيين، غير ناضجين.
- ليكن رد فعلك دومًا منطقياً، وهادئاً.

## 4

# المخادع الحساس، الخجول، الهدائى

قد لا تحسب أن هذا الطفل بطل قويٌّ، لكن الحقيقة هي أنه يمسك بكل أوراق اللعبة في يده بهدوء تام.. إلى أن تقرر أن تتعامل معه بطريقة مختلفة. لطالما كانت ابنتي الوسطى، كريسي حساسة جداً. لديها أنف ككل الصيد، حتى إنها لتشم أشياء لا يشمها أحد سواها. كما أن لديها حساسية تجاه الضوء والأيام الغائمة، لكن عندما يخبرني الآباء أن طفلهم حساس، فهم لا يقصدون ارتفاع حدة حواسهم الطبيعية، بل يتحدثون عن شيء آخر، وعلى الفور أترجم كلمة "حساس" إلى "قوي". يخبرونني أنهم يتعاملون مع طفلهم بحذر شديد، لأنه هادئ، خجول، وحساس.

ما لا يعرفونه هو أن طفلهم -في أغلب الأحوال- طفل قويٌّ باحث عن الاهتمام، يحصل من الكبار على ما يريد بحذافيره من خلال تصرفاته التي تقول "انظروا إليّ، كم أنا خجول وحساس!". ولو كان أحد الوالدين يتسم بالشفقة واللين، فستكتفي مجرد لمحه من مثل هذا التصرف لوقوعه في خداعه بكل سهولة. والأجداد؟ أما هؤلاء فلقطمة سائفة لمثل هذا الطفل.

لأن المخادعين الهدائين، الخجولين، الحساسين يشترون في كثير من الأمور، فسأتحدث عنهم جميعاً في هذا الفصل.

## هل طفلك هادئ ومحجول بطبعته، أم هو سلوك اكتسبه؟

بعض الأطفال يتسمون بالهدوء طبيعة، فالهدوء هو مزاجهم الأساسي، وهم يعيشون قضاء الوقت بمفردهم، بعيداً عن صخب العالم. أعرف واحدة من هؤلاء، وهي ابنة ثلاثة عشر عاماً، وبإمكانها أن تعزف على سبع آلات موسيقية ببراعة، بل وترسم كرسام محترف، حتى إن أحد الناشرين عرض عليها أن ينشر أول رواية خيالية لها. ورغم هذا فأصدقاؤها المفضلون ليسوا من البشر، بل هم الكتب والخيول، ولكنها فتاة مراهقة متزنة رصينة تشارك في كل الأعمال، وتساعد في المنزل دون أن يطلب منها أحد ذلك، وهي ترسل الخطابات إلى جديها، وتراسل صديقاً في إفريقيا، ثم تنزوبي إلى غرفتها بحثاً عن الهدوء الذي تحتاج إليه.

ليس هذا هو النوع الذي سأتحدث عنه في هذا الفصل من الكتاب. إنما أتحدث عن الأطفال الأقواء الذين يجبرونك على بذل كل ما في طاقتكم لاستخراج أي شيء منهم، لأنك تتزعزع إحدى أسنانك. يحصل الطفل الهدائى الخجول الحساس على متعه النفسية من مراقبة الأم أو الأب، وهو يجربان شتى الحيل ليحصلوا منه على أي معلومة؛ عن يومه الدراسي، وما أعجبه في المسرحية المدرسية، أو الفيلم الذي شاهدوه معًا منذ قليل... إلخ.

ذلك الطفل الذي يضطر والده إلى أن يقف فوق رأسه كمحقق خاص؛ يطرح الأسئلة عليه يحصل على أي معلومة. يجلس الطفل، ويُسند ظهره إلى كرسيه، دون أن يتفوّه بكلمة، وهو مستمتع أيمًا استمتع بالجهود المرهقة المبذولة لحمله على الكلام.

ليس لدى الأب ما يساوم به، فالطفل يمسك بكل الأوراق الرابحة في يده، وليس هناك من سبيل لحمل طفل على الكلام. لا يمكنك أن تجبره على أن يشاركك أمور حياته، فلا يتبقى لك سوى الانتظار.

### أسئلة، وأسئلة فقط:

لو أن لديك طفلاً هادئاً بطبعته لا يحب الكلام، فهل هناك من مغزى لإمطاره بالأسئلة؟ لن تحصل حينها إلا على الصمت المنزعج، أو رده قائلاً: «لا أعرف». ما تعنيه عبارة «لا أعرف» هذه في الحقيقة هو: «لن أخبرك». هذه هي القوة.

ألا تعتقد أن لطفلك رأياً في يومه المدرسيّ، أو في المسرحية، أو الفيلم الذي شاهده؟

ربما يصطحب جارُك ابنك ذا العشر سنوات إلى مباراة للكرة، وبعد أن يعود تمطره بوابل من الأسئلة. تعرف من جارك أنهما قد حظيا بوقت رائع، ولكنك تريد التفاصيل من طفلك. لو كان ابنك طفلاً قوياً، فلن يقول لك شيئاً. ولم يفعل؟ فهو يزداد قوة بمجرد هدوئه، والتزامه الصمت.

فهو غير معرض للوقوع في المتاعب لعدم الكلام. لا يمكن أن ينتقده أحد، ولا أن يقال له إن ما ي قوله خاطئ إن لزم الصمت. لذا يصبح الطفل قليل الكلام. وعندما يصل هذا الطفل نفسه إلى سن الرابعة والعشرين سيتزوج، وسيظل هو ذاك الطفل قليل الكلام الذي يحكم السيطرة على منزله بصمته، ما لم يتغير شيء في منزله بشكل يوميٍّ يحول مجرى حياته. لماذا أقول هذا؟ إن هؤلاء الأطفال أبناء الآباء لا يكفون عن قولهم لأطفالهم: ”عليك أن تفعل هذا“، و”عليك أن تفعل ذاك“.

وإذا ما كنت أنت الذي يُخبر طيلة الوقت بما يجب عليه أن يفعله، فهل ستكون طيلة الوقت مستعداً للرد؟ بل هل ستريد أن ترد (أصلاً)؟

نجتهد -نحن الآباء- متى واجهنا صمت الأبناء، من أجل الحصول على إجابات لأسئلتنا. نتملقهم أحياناً بقولنا: ”هلا تخبرني عما كان في يومك هذا؟“، ونسأل المزيد من الأسئلة محاولين أن نُخرج الطفل من صمته. نعتقد حينئذ أننا نساعد، ولكن كل ما نفعله حقاً هو دفع الطفل نحو مزيد من الانعزال، ولكي يبقى الطفل متحكماً في زمام الأمور كل ما عليه هو ألا يقول شيئاً.

ما يمكنكم عمله:

- كف عن طرح الأسئلة، ودع الصمت يسود. لا ضرر من الهدوء، خاصة عندما تصحبه من المدرسة أو إليها.
- قرر ألا تُجري أنت كل الحديث على مائدة الطعام، فإنك إن لم تملأ الصمت بكلماتك، فسيبدأ طفلك في الكلام عاجلاً أم آجلاً.

- عندما يشرع طفلك في الكلام فعلًا، قل له بنبرة هادئة: ”أخبرني بال المزيد عن ذلك“، قد يبدو كأمر، ولكن تعليقاً كهذا لا يجعله متحفراً للدفاع، وكل مغزاً هو: ”أود أن أعرف المزيد، فأخبرني عن عالمنك“.
- عليك أن تدرك أن الأوقات التي يريد طفلك الحديث في أثناءها قد لا تناسبك. لدى طفلة لا تتكلم كثيراً إلا إذا أرادت أن تتكلم، ومتى تكلمت قد لا تكُف عن الكلام حتى تصيبك بالصداع. وغالباً ما يكون هذا في أوقات غير مناسبة، كأن تكون مرهقاً، وعلى وشك الارتماء على الفراش من التعب.

لو كان طفلك من هؤلاء الأطفال الذين يحبون أن يتسللوا أسفل صخرة، ثم لا يودون أن يخرجوا من تحتها، ألا يمكن أن يكون سبب ذلك أنه تحاصر هذه الصخرة وفي يدك مذراة؟ على الأقل من وجهة نظره؟

يمكن لطفلك أن يتفوق عليك كل مرة، لكن إن لم تمطره بالأسئلة، فسوف يخرج من صمته عاجلاً أم آجلاً... ليتناول طعامه على أقل تقدير. هناك أمور معينة يفعلها كل الأطفال، ولا شك أن الأكل واحد منها.

## الطفل الحساس

جائني ”هارون“، وهو أب لطفلة في الثامنة من عمرها، ليتحدث معي عما يعانيه مع ابنته. فقد اتصل به مدير مدرستها للمرة الثانية في ذلك الشهر، إذ ذُعرت الطفلة عندما دلفت إلى الفصل لتجد مدرسة غير مدرستها المعتادة، فراحـت تركض عبر الممر. كان هذا بداية سلسلة من المواقف يواجهها هارون وزوجته مع طفلتهما ”الحساسة“. من الجلي أنها كانت تحكم في حياتهما، مسببة الكثير من التوتر في عائلتها. كل من في حياة تلك الطفلة يسير على أطراف أصابعه لكي لا تتفجر المشكلات بسبب حساسيتها المفرطة.

اصطحب هارون طفلته بعد المدرسة إلى أحد المطاعم، ثم إلى أحد المنتزهات، حيث راح يتحدث معها قائلاً: ”لا يمكنك أن تتصرفي على هذا النحو في المدرسة يا لوسي. لا يمكنك أن تحكمي بكل شيء في الحياة.

سيكون هناك مدرسون احتياطيون في أوقات كثيرة، كما ستحدث بعض الأمور التي لا تحيينها. عليك أن تتعلمـي التعامل مع مثل تلك الأمور“.

لقد تعامل هارون مع الموقف بهدوء وبحكمة بالغة. لعلك تحسب أن الطفلة قد هدأت بعد هذا الحديث. لا، فقد كانت طفلة قوية، لديها خططها الخاصة لجعل كل الكبار الذين يتعاملون معها يدركون أن عليهم أن يمثلوا لما تريـد، وإلا فلن يكون هناك إلا المتاعب. ما حدث هو أن الطفلة حدقت إلى أبيها، ثم شرعت في الصراخ. والحقيقة أن صراخها كان صاحباً للغاية حتى إن أحد رجال الشرطة ظن أن ثمة جريمة تُرتكـب، وتوقف ليدقق في الأمر، مما جعل هارون يشعر بإحراج بالغ.

ولكن.. لو كان لي أن أمنح جائزة في الأبوة والتربية، لمنحتها لهارون الذي فعل الصواب، فاحتفظ بهدوئه في وقت العاصفة، وقال ما يجب أن يقال. فعلـى المدى الطويل يكون النصر من نصيب الثبات على المبدأ والتعامل الـهادئ. إن توجيه الأطفال كما تعرفـون جيداً أيـها الآباء، هو عملية مستمرة.

### ما يمكنـك عملـه:

- عليك أن تدرك أن حساسية طفلك، وما يبدو أنه عجزٌ عن مواكبة الحياة وتغيراتها، وقلة حيلته ليست جميـعاً سوى حيلة من حيل القوة. ثـق بي، فهو ليس قليلـاً الحيلة ولا عاجزاً، كل ما في الأمر هو أن لديه خطة، وخططـه هي أن يجعلـك في خدمـته. إنه مستـبد، وسيظل مستـبدـاً ما سمـحت له بذلك. وليسـ في صالحـك، ولا صالحـه أن تلعبـا هذه اللـعبة.
- لا تدعـ الدـمـوع تـخدـعـك، وفي المـرـة القادـمة عندـما تـذـرفـ ابـنتـكـ آنهـارـاً من الدـمـوع، لأنـها لا تـريدـ أن تـفعـلـ شيئاً ما، أحـكمـ قـبـضـتكـ عـلـيـهاـ، وـقـلـ لـهـاـ: “أـعـرـفـ أـنـ هـذـاـ شـيـءـ لـاـ تـرـيـدـيـنـ أـنـ تـفعـلـهـ، وـلـكـنـاـ سـنـفـعـلـهـ”.
- أحـكمـ سـيـطـرـتـكـ عـلـىـ المـخـادـعـ الـبـارـعـ.

- إذاـ كـنـتـ متـزـوجـاـ، فـتـأـكـدـ مـنـ اـتـفـاقـكـ أـنـتـ وـزـوـجـتـكـ عـلـىـ الطـرـيقـةـ التـيـ تعـاملـانـ بـهـاـ طـفـلـكـاـمـاـ الحـسـاسـ. يـمـيلـ الـأـطـفـالـ إـلـىـ تـفـضـيـلـ أحـدـ الـوـالـدـيـنـ،ـ ثـمـ يـحاـولـونـ طـيـلـةـ الـوقـتـ أـنـ يـوـقـعـوهـ فـيـ حـبـالـهـمـ،ـ وـنـتـيـجـةـ لـذـكـ يـخـتـافـ

الزوجان، وتتهدد وحدة البيت. إياكم أن يصبح الطفل الحساس عقبة تعرّض حياتكم الأسرية الصحية.

• أعلمًا الجد والجدة بمجهوداتكم، واطلبا مساعدتهم، والجدات خصوصاً، قد تنطلي عليهن خدعة الطفل الحساس، أما الأجداد فيفعلون كل ما يُطلب منهم على كل حال. وإخبار الجد والجدة بما يجري منصف للجميع.

ذات مرة، قال إيفان -الذي أعده أباً حكيمًا بحق- لابنته المراهقة الخجولة: ”إن الخجل في حقيقته عكس ما يحسبه الناس، فالخجل في الحقيقة يقول: إني من طراز خاص لدرجة أن الناس جميعاً حيّثما أكون لا يرتفعون أعينهم عنِّي!“.

أحدثت هذه الكلمات القليلة ثورة في عالم الفتاة، فبدأت الطفلة التي اعتادت استخدام الخجل لعزلها عن التفاعل مع الناس بالبحث عن هؤلاء الأطفال الذين يفضلون أن ينكفئوا في الزوايا على أنفسهم، وتحول اهتمامها من الاقتصر على نفسها، إليهم وإلى اهتماماتهم. وبعد سنوات عشرة، أصبحت تلك الفتاة ذاتها تعمل بدوام كامل مع وكالة دولية تساعد لاجئي الحروب والکوارث الطبيعية. لقد أصبح أبوها يفخر بها، وبما آلت إليه من حال كل الفخر. بدلاً من أن تدع طفلك الهادئ، الخجل، الحساس يتلاعب بك، جد سبيلاً لتوسيع عالمه، واسمح له أن يكون عوناً للأخرين، وسيسرك ما تراه من أثر فعلك بهذا.

### أفكار قوّة ناجعة:

ابنتنا خجولة وحساسة، وهي جيدة في الفن والموسيقى، ولكنها لا تشعر بكثير راحة في وجودها وسط الناس. ومنذ شهر مضى، تحتم على زوجتي أن تذهب في رحلة عمل في بلد أجنبي لثلاثة أسابيع. سارة في الصف الثاني، فكانت تقضي معظم وقتها في المدرسة، ولكنني كنت أرافقها إلى دروس الموسيقى. في الأسبوع الأول، بدأت سارة بالتململ في أثناء الدرس. أخرجتها، وهدأتها، وعرضت عليها قليلاً من الطعام كان معي في السيارة، وانقضى الوقت المقرر للدرس. ثم حدث نفس الشيء في الأسبوع التالي. ظل المدرس هادئاً، ولكنه حدق إلّي، وهو يقول: ”أعتقد أنك تواجه مشكلة

من مشكلات القوة!؛ شعرت بصدمة، فسارة كانت تتصرف على نحو طيب عندما كانت زوجتي معنا، ولكنني اكتشفت فيما بعد أن زوجتي كانت ترشوها بالحلوى، وتفعل الأشياء بنظام معين. لم تستطع سارة التعامل مع أي تغيير. وحينها تحدثت مع زوجتي عبر الهاتف، واتفقنا على خطة، أشركت مدرس الموسيقى بها.

وفي الأسبوع التالي، مضينا إلى الدرس كما هو معنا. وعندما بدأت سارة في التململ مرة أخرى، كان كل ما فعلته هو أن خرجت من الفصل، وأغلقت الباب خلفي. صرخت سارة، ولكن المدرس واصل الدرس كأن شيئاً لم يكن. وبعد خمس دقائق (وكنت أتابع المشهد من مكان لا تراني منه سارة) توقف البكاء، وأتم المدرس الدرس في هدوء. عندما انتهت الدرس، فتحت سارة الباب، على وجهها ابتسامة، وقالت: "لقد حظينا بدرس رائع اليوم". حقاً فعلنا! وأفضل من هذا أني وزوجتي قد تمسكنا بهذه الخطة، ولم تعد مثل تلك المشكلات تواجهنا.

بوب، إيلينوي

### نقاط القوة:

- خجول وحساس = مدفوع بالقوة.
- لا تطرح أسئلة، وبدلًا من ذلك قل: "أخبرني بالمزيد عن هذا الأمر".
- إن طفلك "قليل الحيلة" ليس بقليل الحيلة، وإنما هو طفل لديه خطة.



5

المخادع العنيف المماطل

”إيفان“ ذو الأحد عشر عاماً مماطل نمطيٌّ، فعندما يطلب منه أبوه أن ينلُّف المرأة، يرفع عينيه عن حاسوبه، ويقول: ”سأفعل يا أبي“، لكنه لا ينلُّفه أبداً.

وعندما تقول له أمه: “أخرج لي كل ملابسك المتسخة، فسأغسلها اليوم”，  
يقول: ”حاضر“، لكنه لا يفعل.

أما "شارون" ذات الستة عشر عاماً، فتحب أن تكون محققة طيلة الوقت، حتى لو كانت لا تعرف أي شيء مما يدور الحديث حوله، فهي تتمسك برأيها بكل عناد، وبكل ما تعتقد أنه من حقها، وترفض تماماً أن تفعل إلا ما تريد. هذان نموذجان لطفلين لديهما دوافع عمل قوية، وهما الآن متحكمان في زمام الأمور.

الطفل العنيف

عندما يكون لديك في عائلتك طفل عنيد، فإن لديك بالغاً عنيداً. الأطفال الأقواء عادةً ما يكونون نتاجاً لأب عنيد أو أم عنيدة. والعنيد لا يولد إلا العنيد. فمثلاً: في عائلتنا، زوجتي ساندي، هي الشخص العنيد. لا تبدو عنيدة، ولكنها عنيدة. وهي أيضاً تعترف بهذا. اكتسبت ابنتنا "هانا" سماتها العنيدة من أمها. كلتاهم أكثر رقة مما تخيل، ولكن لا يمكنك أن تنتصر في أي مناقشة منطقية تُحررها مع أيٍّ منهما... أبداً. إياك أن تخوض معركة مع طفل عنيد.

إياك أن تحاول أن تثبت له خطأه. إياك أن تحاول أن تنتصر عليه. إذا استغللت ورقة الأب الذي له مطلق السلطة لتحاول أن تثبت أنه من حقك كأب أن تكون لك الكلمة الأخيرة، في اتخاذ قرار ما مثلاً، فلست إلا باحثاً عن المتعاب، فالأطفال العنيدون يحتاجون بشدة إلى أن يكونوا على صواب، وستجد منهم كل مقاومة متى أردت أن تقول لهم أي شيء، مهما يكن. ستجد منهم تلك المقاومة التي تقول بلسان الحال: ”رويدك، فأنا أعرف أكثر منك“.

### ما لا يصلح في تلك الحالة:

- أن تكون استجابتكم عاطفية.
- أن تأخذ الأمور على محمل شخصيٍّ.
- أن تغضب.
- مجابهة حجة طفلك بحقائق من عندك.
- تضخيم العبارات البسيطة.
- أن تقول لطفلك: ”أنا أبوك/أمك، وأعرف أكثر مما تعرف“.

### ما يمكنكم عمله:

- حاول أن تجد سبيلاً لخفض حدة دفاعيته قبل أن تتحدث معه.
- ادنُ منه ويداك في جيبيك، أو على أي وضعية جسمانية لا تبدو فيها كمصدر تهديد له.
- قل له، فور نشوء المشكلة: ”قد لا يكون لدى دراية بالأمر، وقد أكون مخطئاً تماماً في هذا الشأن، ولكن...“، ثم ادس له ما ت يريد أن تقوله مباشرةً.

كيف تفعلين هذا الأمر على نحو صحيح؟ لنفترض أنكِ رأيت تقرير الأحوال الجوية، وعرفت أن الطقس سيكون قارص البرودة بحلول العاشرة مساءً، وابنتكِ التي في أول سنة من المرحلة الثانوية لا تحب ارتداء المعاطف، فهي ترى أن المعاطف لا تبدو جميلة. إنك تعرفي أنك إن قلت لها أي شيء، فستنظر إليك ساخطة، وتقول: ”ستكون الأمور على ما يرام يا أمي“، ثم

تخرج دون المعطف. طلبك منها أن ترتدي معطفها لمجرد أن الجو سيكون بارداً لن يكون له من استجابة عندها سوى الخروج دونه.

ولذلك يجب عليك أن تخفضي من حدة دفاعيتها أولاً، فعندما تهبط الدرج لتأخذ خبزها المحمص، وهي في طريقها إلى خارج المنزل، قولي لها شيئاً بسيطاً مثلاً: «أندريا، قد أكون مخطئة، لكنني أعتقد أنني سمعتهم يقولون في النشرة الجوية إن الطقس سيكون بارداً للغاية بحلول العاشرة مساءً»، فبدلاً أن تكون كلماتك سبباً في استحضار العناد لديها، تلقين بالكرة في ملعبها. وإذا لم تمارسي عليها الضغوط، فستزداد احتمالية أن تلتقط معطفها، وتضعه عليها وهي في طريقها إلى الخارج. ولا تنسي رغم كل شيء أنك رببت فتاة ذكية عاقلة، وهي لا تتغافل عن هذا إلا عندما لا تريدها أن تنتصر لها. لا تبحثي عن المشكلات، فإن مقابلة العناد بالعناد لا تؤدي إلا إلى الفوضى. وحتى إن تفوه طفلك بشيء أحمق، إياك أن تثيري شجاراً بمحاولتك أن تلعببي ببطاقة الأبوة النافذة. كل ما عليك أن تقوليه هو: «لعلك تعرف خيراً مني يا حبيبي»، وإن كان على خطأ، فسرعان ما سيتبين له الأمر. ليس عليك أن توضحى له كل الاحتمالات الواردة جراء تصرفه. يتصرف معظم الآباء كدون كيخوتى، فيحاربون طواحين الهواء، ولا يحصلون إلا على النتيجة ذاتها.

عليك أن تتخلى عن حاجتك إلى أن تكون محقاً لتحصل على علاقة تدوم طيلة الحياة مع طفلك.

## المماطل

بعض الأطفال يتصرفون بأنناة وتأدة، فيرتدون ثيابهم على مهل، ويستحمون في أكثر من عشرين دقيقة، ويستغرقون أربع ساعات لأداء واجب مدرسيٍّ لا يتطلب سوى ساعتين، وهم عادةً آخر من يغادر طاولة العشاء. إنهم ببساطةأطفال متوانون.

والبعض الآخر يتصرفون بسرعة وبشيء من التوتر، فيؤدون واجبهم قبل مغادرة المدرسة، أو بمجرد أن يضعوا أقدامهم في المنزل، يستيقون بالأحداث، ويقلقون حيال الشيء الذي يتغير عليهم فعله بعد أن يفرغوا مما في أيديهم، بغض النظر عن طبيعة هذا الشيء.

الأطفال مختلفون، ولا شك أن هذا أمر بديهيٌّ، ولكنه يتوه، فتنساه في صخب العملية التربوية. لا يشترط بالضرورة أن يكون أحد الأطفال أفضل من الآخر، وإنما مختلف فقط. وللهذا يجب أن يكون مدخلك مختلفاً مع كل طفل. لا يوجد مساواة في طريقة أداء الأمور مع أطفالك، إنما المساواة الوحيدة هي فيما يمنحون من الحب.

فهل طفلك متأن بطبعته، أم لديه خطة الخاصة؟ إن كان لديك طفل مماطل، فلا شك أن أحد أبويه على الأقل لديه عين ناقدة. ولعل الوالد ذا العين الناقدة أكثر المتغيرات التي تؤثر في شخصية الطفل خطورة. إذا أردت أن يكُف طفلك عن المماطلة، فانظر إلى نفسك وإلى زوجتك نظرة متفحصة.

من فيكما يكثر انتقاده؟ من الذي (يحسب أنه) يعرف تمام المعرفة كيف ينبغي أن تكون الحياة؟ من الذي يمكنه أن ينظر إلى زمرة من الأرقام، فيعرف على الفور أيها خاطئ؟ من الذي قد يلاحظ أن صورة مؤطرة لا تتدلى على الحائط على نحو مستقيم؟

أنت تعرف نفسك أيها الوالد. إن توقعاتك لطفلك عالية للغاية، تمارس عليه ضغطاً كبيراً، يضطرك إلى تشكيل آلية للدفاع، وهي هنا المماطلة. هذه هي طريقة طفلك في حماية نفسه من كلماتك الناقدة. إنه يفكر على هذا النحو: «إن أنهيت هذه المهمة، فكيف سيكون تقييمي؟ أما إذا لم أكملها، فلا مجال لإعلاني فاشلاً».

لنعد إلى جاسون، المذكور في بداية هذا الفصل، الذي يطلب منه والده أن ينظف المرأب، فلا ينفعه أبداً. عندما ألح عليه والده بشأن هذا العمل، قال: «حسناً، لقد بدأت في تنظيفه، وسأنهي المهمة غداً».

إنه يكذب على نفسه. سيجعل أباً يلح عليه إلحاحاً شديداً، وسيؤثر هذا سلباً في جاسون وأبيه، وعلاقتهم. بل قد يرفع والده الضغط عن الجميع بتتنظيف المرأة بنفسه لتوفير المجهود، وأنه يعلم أن المهمة لن تُنجذب سوى بهذه الطريقة.

هذا لأن (جاسون) يعرف أنه مهما أجاد العمل، فسوف ينتقده والده، فيقول له -مثلاً- إن هناك ألف طريقة لإنجاز المهمة على نحو أفضل مما فعل.

هذا هو السبب الذي يدفع طفلك للمماطلة. لقد جعلت منه شر عدو لنفسه، ولن ينجر أي شيء إذا ما كان خائفاً من النقد، ولن يحاول أبداً ما دام خائفاً من الفشل. وهذا هو أيضاً السبب في أنه يبدو محبطاً، لأنه محبط بالفعل، فهو يعتقد أن بإمكانه أن يحيا وفق التوقعات؛ توقعاته هو أو توقعات الآخرين له، خاصةً توقعاتك أنت أيها الأب. لذا فهو يتلanguish، ويضيع الوقت، ولا يبذل قصارى جهده أبداً، لأن تجنب أداء المهمة أفضل من مواجهة احتمالية النقد أو الفشل.

دعني أوجه لك سؤالاً: من هو العازف ومن القرد (من المدرب، ومن المتدرب)؟

إن طفلك بارع في التلاعب بالقواعد. كل ما يتغير عليه فعله هو أن يدعى البراءة أو الجهل. وهو الآن يهزاً بقواعد العائلة حتى وإن لم يبدُ عليه ذلك، فهو يفعل هذا التصرف على نحو هادئ لا يجعلك تلاحظ قدر القوة في تصرفه. المشكلة هي أنه متى طلب منه أن يؤدي إحدى المهام يلقي بكل أنواع الوعود: "حسناً أمي، سأنجز هذه المهمة"، لكن تبقى هذه المهمة دون أن تنجز. يقدم ابنك خدماته في هيئة كلمات فقط، ولا شيء غير ذلك، لتظل بعيداً عنه.

والمحك هنا هو أنه مهما يماطل في أداء ما تطلب منه، إلا أنه يفعل ما يريد هو فعله.

ما يمكنك عمله:

- إذا كنت تدقق في العيوب الصغيرة، فعليك أن تخفض من حدة هذه السمة، فهي واحدة من أشد السمات تدميراً لعلاقتك مع طفلك.
- بدلاً من كيل المديح له، استعمل التشجيع الواقعي.

يركز المديح على الطفل نفسه: "إنك أعظم طفل في العالم! نظفت المطبخ، وأخرجت القمامات"، أو "يا لك من طفل رائع! أصطحبتك إلى المبارزة"، ولكن أهذا حقاً ما تعنيه؟ طفلك ليس غبياً، وهو يعرف أنك تكذب، فهو ليس أفضل طفل في العالم. هناك أطفال كثيرون أفضل منه.

ألا يحسن بك أن تشجع طفلك تشجيعاً واقعياً، كأن تقول له: «كم تبدو الغرفة رائعة! شكرًا لما بذلته من مجهد كبير»، أو «لقد كانت حفلتك رائعة. أعرف أنك كنت تخشى ألا تعزف بهذه الروعة، ولكنني أرى أن استعدادك الجاد في الأسبوع الماضي قد آتى ثمرته. عليك أن تفخر حقاً بما فعلته اليوم». لاحظ أن التعليقات هنا تنصب على العمل، لا على الشخص، وهذا هو الفرق بين المديح والتشجيع.

فكن واقعياً، واشكر طفلك على مجدهاته.

### كن بمنزلة (جاردول)!

كان هناك إعلان في التلفاز منذ سنوات عن منتج اسمه «جاردول»، مكون من معجون أسنان «كولجييت» يحمي الأسنان من التسوس والآفات الأخرى، يظهر به شخص على المسرح، وهو يدفع كرات الجولف نحو شاشة زجاجية صافية، فترتد تلك الكرات عندما تصطدم بالشاشة.

يحتاج أطفالك أيضاً إلى «جاردول»؛ إلى بعض الحدود التي تفرضها على الأنشطة والأعمال العائلية لتحميهم من الإحباط، ومن الإفراط في إجهاد نفسك وأطفالك من أجل إرضاء الآخرين.

إذا ما رأى مدرسة الرقص المحلية أن طفلك لديها موهبة كبيرة، ويجب أن تشارك في خمسة عروض التي ستُجرى في تلك السنة، فهل يعني هذا أنها يجب أن تشارك فيها؟

ما أن يرد إليك هذا الخبر، حتى تسارعي بالاتصال بأختك وصديقتك المفضلة ورئيس جمعية الآباء والمعلمين، لتقولي لهم: «لن تصدقني هذا الأمر، فقد اتصلت أكاديمية الرقص الأولى، وهم يريدون أن تشارك «شايلا» في الحفلات الخمسة كلها. هل تخيلين هذا؟ يا لسعادتي!».

وما يكون رد فعل معظم الآباء في مثل هذا الموقف، خاصة الأمهات؟ أن يقولوا: «ما أروع هذا الأمر!».

عادةً ما يقع الآباء ضحية للفلسفة التي مؤداها: «يجب أن يكون طفلي أفضل الجميع»، وهي إدمان كال kokain. فأي أبو هذا الذي لا يريد أن يفرح

ويغدر بابنه الصغير؟ ولكن هل كل هذا النشاط ذو مردود طيب للابن الصغير، وللأم والأب؟

عليك أن تصبح الـ «جاردول»؛ أن تصبح من يراقب ما يُطلب من طفلك، وما يُتوقع منه، وأن تحترم وقته، فالعديد من الأطفال العنيدين والمماطلين قد يكون سلوكهم ناتجاً من ازدحام جدولهم، وقد يكونون في حاجة إلى بعض الوقت دون عمل، وهم يعرفون أن السبيل الوحيد للحصول على مثل هذا الوقت هو ألا يفعلوا شيئاً، فلا يكون منهم إلا أن يماطلوا.

إذا كنت تريدين حماية أطفالك من هجوم الفرص، فأنت في حاجة إلى إيجاد ما أدعوه «اللاطاقة». والنساء خاصة في حاجة إلى تطوير «اللاطاقة» ليتسنى لهن أن يقلن، بطريقة صحيحة: «لا، لن نفعل هذا الأمر هذا العام».

لا تجعل نفسك تشعر بالذنب، فتكتس جدول العائلة.

لا تفرط في الانبهار بطفلك أو بقدراته.

لا تتشبع بالبرامج والأنشطة. القاعدة عندي هي: نشاط واحد لكل طفل في كل نصف عام.

وبدلاً من كل هذا، أرجِ انتباحك لقلب طفلك، لما يحب فعله.

### نقاط قوّة ناجعة:

من شابه أباءه فما ظلم. إن ابني "برلين" عنيد كطليقي. وكلما طلبت منه أن يساعدني في شؤون المنزل لا أجد منه إلا التجاهل، أو قوله إنه مشغول في تلك اللحظة، وسيؤدي لاحقاً ما أطلبه منه، ولكن لا مانع لديه في قضاء النهار كله في إصلاح السيارة القديمة التي ساعده أبوه في شرائها.

وذات يوم، سمعتك تتحدث عن عناد الأطفال ومماطلتهم. وعلى الفور وضعت خطتي، وشرعت في تنفيذها. لم أطلب من "برلين" أي شيء مدة أسبوع كامل، كما أني لم أفعل أي شيء من أجله كذلك. وبينهاية الأسبوع، تكدرست ملابسه المتتسخة، ولم يعد هناك من طعام متبقى في الثلاجة. كان يبدو ذاهلاً إلى حد ما. أتى إليَّ وأنا أعد السلطة لنفسي، وقال: "هل تريدينني أن أساعدك في أي شيء يا أمي؟"، لا أدرى كيف استطعت أن أكتم الضحك! لقد أفلح حقاً ما أوصيت به.

ملاحظة: اكتشف ”برایان“ أن بإمكانه الطهو. والأغرب من هذا أنه أخذ سيارتي وغير الزيت، دون أن أطلب منه. ما أجملها من مفاجأة!

جانيس، نيويورك

### نقاط القوة:

- متى كان هناك طفل عنيد، فهناك راشد عنيد كذلك.
- ضع استراتيجيةك، ثم ادسُس لطفلك ما ت يريد أن توحّي له به، في هيئة إعلان تجاري.
- تخلّ عن حاجتك كأب إلى أن تكون على صواب؛ العلاقة أهم بكثير.
- راقب عينك الناقدة، وأكثر من التشجيع الواقعي.

# 6

## تأثير العوامل الوراثية

دقق النظر في شخصيات الأطفال في الحضانة، وبإمكانك أن تتنبأ كيف سيكون كل طفل بعد خمس، أو عشر، أو خمس عشرة سنة.

عندما كانت مولودتنا الأولى، «هولي»، في الشهر الثامن عشر من عمرها، ذهبنا في رحلة إلى «لاجونا بيتش»، ب كاليفورنيا. كنت أنا وزوجتي ساندي نشعر بسعادة كبيرة، ونحن نوسع لها عالمها بقضاء بعض الوقت على الشاطئ لأول مرة، وما يعنيه ذلك من رؤيتها لكل تلك الرمال والأمواج، وسعيها من أجل جمع الأصداف، ولكن ما إن مست يدا هولي الأرض للمرة الأولى حتى راحت تتذمر، وتشكو من أن الرمال قد علقت بأصابعها، وأصرت على أن تنظف يديها، فنظرت ساندي يديها، إلا أن مولودتنا الأولى عبست، وأشارت إلى حبتين من الرمال ظلتا على يديها، وكان نظرتها تقول: «وماذا عساي أن أصنع بهذا الشيء؟!».

لقد كانت شخصية «هولي» تتشكل، وهي لم تُتم العامين بعد، وهو ما سيكون له علاقة كبيرة بتوجهها في الحياة فيما بعد. كانت من هؤلاء الأطفال الذين يحبون أن تترافق دُماهم على نحو أنيق، كما كانت ماهرة في إدارة

الآخرين، شاؤوا أم أبوا، وفي أداء مهام متعددة في نفس الوقت، وهو ما لا أزال عاجزاً عن فعله حتى هذا اليوم.

يولد كل إنسان بمزاج وشخصية فريدة، ولهذا أحب ملاحظة الأطفال في الحضانات. فلو شاهدتهم لبعض دقائق من كثب، فسترى شخصياتهم في أثناء نشوئها، حتى إنك ليتمكنك حينئذ أن تتنبأ بما سيكون هذا الطفل الذي تلاحظه عندما يصل إلى سن الخامسة، أو العاشرة، أو حتى وهو ابن خمسة عشر عاماً. وقد أجرى الباحثون دراسات مختلفة عديدة بمراقبة الأطفال في مهودهم في حضانات المستشفيات، وخلصوا إلى تنبؤات مبنية على سلوك الأطفال وتصرفاتهم. ولكن لسنا في حاجة إلى باحث لتوضيح الواضحات.

بعض الأطفال يستلقون في مهدهم هادئين، يتأملون في الغرفة ومن يشغلها، ولا يزعجهم بكاء سائر الأطفال، لأنهم يستوعبون الأمور شيئاً فشيئاً، وعلى مهل.

وبعضهم متوتر، يصرخ، ويغفل عند حدوث أي ضوضاء، والخروج من الحضانة إلى مكان هادئ بمنزلة حلم جميل لهم. هؤلاء هم الأطفال الذين سيحتاجون إلى جلسات التدليل ليختفوا من إجهاد العمل عندما يكبرون. وبعضهم لكانهم يحاولون أن يتسموا، ويشيروا بأذرعهم الصغيرة لأنهم يقولون: «انظروا إليّ! إن لدي كثيراً من الحيل أتوق إلى تجربتها متى خرجت من هذا المهد الصغير».

وحتى في هذه السن تلاحظ أن بعضهم يبدو قوياً، فأعينهم ولغة جسدهم تقول: «استعد أيها العالم، فأنا على أهبة الاستعداد لأقض مضجعك، وإياك أن تحسب أنني لن أفعل!».

وهلْ جراً.

إن لم تصدقني، فلتقصد إحدى الحضانات، ولتنظر بنفسك. والأفضل من هذا أن تختلس النظر في غرفة معيشتك إلى تلك المخلوقات التي تعيش تحت سقفك. فقد ولد أطفالك هؤلاء بتكوين جينيًّا معين، وبشخصية أو مزاج محددين، ولا يزالون محتفظين بهذا التكوين الجينيًّا، أليس كذلك؟

الم يخرج ابنك ذو الستة عشر عاماً من رحم أمه متوفياً متندفعاً، ولم ينزل كذلك؟ ألا يعلم نفسه العزف على الجيتار الكهربائي (في غرفة معيشتك)، وفي نفس الوقت يؤدي واجبه؟ إلا أنك لست بقلق عليه، فهو دائمًا ما يحصل على أعلى الدرجات.

وابنتك ذات الاثني عشر عاماً، كانت ذلك الرضيع الذي يستلقي مسترخيًا، ويستوعب الأمور على مهل، خاصة تصرفات أخيها الأكبر، وعندما كبرت بعض الشيء كانت من تفض الشجارات بين أصدقائها، وتهدي الجميع. والآن، بعد أن أصبحت تمتلك هاتفاً محمولاً، تراسل أصدقاءها وهي تستخدم لوحة المفاتيح بمهارة نقار خشب ماهر، وتلقي نظرة سريعة على واجبها بين الحين والآخر.

وابنك ذو السنوات التسع الذي انزلق من الرحم انزلاقاً، أليس ذلك ما يفعله في حياته الآن: الانزلاق. لقد كانت أموره سهلة، فأخوه الأكبر وأخته الكبرى عاملاه كحيوانهما المدلل، وفعلاً كل شيء من أجله، فما أن يعلو العبوس وجهه حتى تأتيه الأخوات الكبرى وتنقذه. وعندما توشكين أن تغناطي منه، إلا تبرق عيناه الزرقاوان الجميلتان وبيتسنم، فيزول غضبك، كما حدث منذ قليل عندما كدت أن توبخيه على نثر فتات الطعام في غرفة المعيشة التي نظفتها لتوك؟ والواجب المدرسي؟ لقد نسي أنه كُلف بأيّ منه!

### ما قدر تأثير الجينات؟

لو كان أطفالك من صلبك، وليسوا بالتبني، فالأرجح أن يكون لكلِّ منهم بعض الخواص الجسدية المشابهة لك، كالعيينين الزرقاويين، والشعر الداكن، وتلك الأنف الناتحة التي لطالما كرهتها في مراهقتك، وأصابع قدمك الناتجة عن بعض الجينات المترحية.

ولقد سمعنا جميعاً في عصر الهندسة الوراثية الذي نعيشه اليوم بأناس يريدون أن يضمنوا لأطفالهم مستوىً فائقاً من الذكاء من لحظة مولدهم، وإن كان هذا الفرع من العلم يشوبه الكثير من الجدل.

فلنواجه الحقيقة إذن. لا شك أن بعضَ ما تصبح عليه هو جزء من تكوينك الجيني، كطولك، أو قدرك، ولون شعرك، وبشرتك، ورشاقتك كزوجتي

الحبيبة، أو كونك تميل للقصر والبدانة، كما في حالي، وأيضاً ككونك أقرب شخصية لخروف البحر أو لحيوان الغرير محبوساً في قفص. بعض الناس يميلون إلى التعامل مع الضغوط بهدوء، والبعض يفقد اتزانه.

فالجينات فعلاً تحدد بعض سماتنا الشخصية. فمثلاً: لو كان لديك طفل معدل ذكائه أقل من المتوسط، فمن غير المرجح أن يصبح أستاذًا جامعياً. ولقد أثبت العلم أن هؤلاء الذين يولدون لأباء يتعاطون المشروبات الكحولية لديهم نزعة لتلك المشروبات، وأنهم إن شرعاً في تعاطيها يمكن أن يدمونها أسرع من غيرهم.

لذا فالجينات الأساسية تشكل معطيات معينة في حياتنا، وقد تحدد شكلنا، مالم نختار وضع عدسات ملونة، أو أن نجري بعض جراحات التجميل، أو شفط الدهون، أو أن نخضع لعمليات تغيير الجنس.

ولكنني أؤمن بإيماناً جازماً بأن الجينات لا ينبغي أن تحدد من نحن. وهاك ما أعنيه. لنقول إن ابنك فيستوس ذا السنوات الثلاث يشبه عمه هارولد كصورة منه، بل ويتصف مثله أحياناً، بغير أي انضباط، فهل يعني هذا أنه مقدر له أن يصبح كعمه، فقط لأنه يشبهه، ولو بعض تصرفاته الطائشة؟

انظر إلى فيلم «سوبرمان» لوهلة. لقد رُبِّيَ كلارك كينت على يد آباء تبنوه، ولا يكاد يتذكر عن والديه الأصليين شيئاً، سوى لمحات عابرة، ولا يدرى شيئاً عن تكوينه الجيني حتى يتكتشف له، ويستدعي الأمر استخدامه. وبدلأ من أن يتقييد به، يستخدمه لتغيير مجرى الأنهر، وثنى الحديد بيديه العاريتين لمساعدة الناس.

يمكنك أن تصبح الرجل الخارق، أو أن تصبحي المرأة الخارقة، في العائلة من خلال تدبر الأمور جيداً، واستخدام ما يوفره هذا الكتاب لكما من أساليب لكبح نهم أطفالكما للانتباه والقوة.

دعوني أحذركم من موقع الخبير للحظات. فقد سئمت -بصفتي عالماً نفسياً استشارياً ممارساً- من المسميات التي تظهر كل حين لالتماس الأعذار لكل أنواع التصرفات. فإحدى الأمهات تقول: «ولكنه أمر لا يمكنه أن يتخلص منه يا دكتور ليمان، فهو يعني من اضطراب نقص الانتباه وفرط النشاط، ولهذا فليس لديه أي أصدقاء!». لقد رضينا بكل أنواع السلوك فقط، لأن لها

مسى، فنحن كمجتمع لم نعد نتوقع من الناس أفضل ما لديهم. فلم بدأ من قبول المسميات كمبررات للتصرفات غير المقبولة، لا نعین الطفل على مجابهة تلك التصرفات؟

عندما تعمقت أنا والأم في حالة ابنها، اكتشفت أن سبب مشكلة ابنها لم تكن مجرد نقص الانتباه، وإنما أنه يحكم القبض على زمام الأمور، ولم يعلمه أحد أن يتعامل مع الآخرين برقق. ولذا لم يُعلم المشاركة إلا في سن التاسعة، رغم أن هذا المبدأ كان يجب أن يبدأ في تعلمه منذ نعومة أظفاره. كما أن جزءاً من نشاطه المفرط كان يعود إلى محاولاته المستمرة لجذب الانتباه، لأنه رغب بشدة في تكوين صداقات. وفي خلال عام من معالجة هذه التصرفات لدى الطفل، نجحنا في تجاوز ذلك المسمى الذي أُلصق به، فبدأت درجاته المدرسية في الارتفاع، واكتسب صديقين، وهو الآن يدير ثلاثة مطاعم، ويحبه العمال.

### لم تسمحين بوصم طفلك بالمسميات؟

لقد رأينا جميعاً أمثلة لأناس تغلبوا على ما واجههم في بدايات حيواتهم، فحظوا بنهايات رائعة، كجاكى جويتر كيرسي، التي حصلت على ست ميداليات أولمبية. ولدت جاكى في عائلة تعاني من فقر مدقع كما كانت تعاني من ربو حاد، ولطالما لم تجد هي وأخوها ما يأكلانه سوى شطائر الخبز بالمايونيز، ولكنها كانت تتمتع بإصرار وقوة إرادة عظيمتين، كما كان لديها أبوان آمناً بها وأصرَا على أن تسعى خلف (تحقيق) حلمها، فحققته، وبعد أن أنهت مشوارها الرياضي، واصلت إحداث فارق في حياة الأطفال والراهقين في مدينة سانت لويس، ومدن أخرى حول العالم.

لقد كان لدى (جاكى جويتر كيرسي) تكوين جينيٌّ ساعد على تمكن الربو منها، ولكنها أصبحت رياضية مذهلة. كما أنها ترعرعت في بيئة قاسية تفرض عليها كثيراً من القيود، ورغم ذلك أبى أن تترك تلك القيود، أو المسميات (سوداء، فقيرة، مصابة بالربو) تُتملي عليها كيف يجب أن يكون شكل حياتها. لقد طمحت في الذهب، فاجتهدت، وفازت.

وأبواها اللذان كان لهما أثر رائع فيها، سانداهما طيلة مشوارها، يؤمنان بها، ويشجعانها.

## «أعرف كل واحد منكم كما أعرف رائحتي».

إن فيلمي المفضل على الإطلاق، هو ”الأصدقاء الثلاثة“. أنتج هذا الفيلم سنة 1986، ولم يحصل على تقييم كبير، ولكنني أحببته، ولا أمل من مشاهدته، فهو خير مثال للكوميديا التهريجية، لكن لأن الجمال شيء نسبيٌ، فللبعض رأي مختلف، فزوجتي السيدة أبينجتون تقول، وأنا أقتبس: ”هذا أكثر فيلم طفوليٌ رأيته في حياتي!“.

”إل جوابو“ (أحد أبطال الفيلم)، وهي الكلمة الإسبانية لـ ”الوسيم“ ليس وسيماً على الإطلاق. يقول هذا الرجل القبيح الخشن لرجاله بصوت أحش: ”إني أعرف كل واحد منكم كما أعرف رائحتي“، لَكَمْ أُحِبُّ هَذِهِ الْجَمْلَةِ حَتَّى إِنِّي خَصَّتُ حَدِيثِي لَهَا فِي إِحْدَى الْمَرَاتِ.

كأب، أعرف أبنائي الخمس كما أعرف رائحتي. وأمل حقاً أن تعرفوا أطفالكم تلك المعرفة، حتى تدركوا أن ما يصلح في التعامل مع أحدهم لا يصلح مع الآخر. إن كونك أباً يُمْلِي عليك أن تدرك أن الأطفال متفردون، فلا يمكنك أن تعاملهم بالمثل. فأحد أطفالك يقرأ الناس، والآخر يقرأ الكتب. أحدهم يحب الرياضة، والآخر يحب الموسيقى. ولذا لن يكون لعرضك اصطحاب كلا الطفلين إلى أحد الأحداث الصادحة نفس المردود، فمن يحب الوجود وسط الناس سيكون في قمة السعادة، أما هذا الذي يحب الكتب، فسيظل يحدث نفسه قائلاً: ”ألا يمكننا أن نعود إلى المنزل، فأنا في الصفحة المئة والثانية عشرة من كتاب خيال علميٌّ مثير!“.

إن إصرارك أن تذهب الأسرة بأسرها إلى إحدى مباريات البيسبول قد يجد صدى رائعاً لدى محب الرياضة، ولكن سيظل عاشق الموسيقى الكلاسيكية طيلة الوقت يُمْنِي نفسه بأن تنتهي المباراة.

إن انخراط كل أفراد الأسرة معاً في نشاط ما أمر بالغ الأهمية، ولكن يحسن أحياناً أن تقسم الأطفال، وتفعل الأمور التي طُبعوا جينياً على محبتها. اصطحب طفلك المحب للكتب إلى أحد معارضها، وأعطيه 20 دولاراً لينفقها كيفما شاء. وخذ محب الموسيقى إلى حفلة غنائية. دع كل طفل يستمتع بمعرفة المزيد عن مواهبه وقدراته، ولكن وسّع آفاقهم حتى يجربوا أموراً جديدة، خاصة إذا ما كانوا يتسمون بالحذر. عليك أن تدرك أن كل طفل له

فعل، ورد فعل، وطريقة تواصل مختلفة عن الآخر. عليك أن تعرف كل طفل كما تعرف رائحتك.

### بخصوص الأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة:

أوجه حديثي إليكم أيها الآباء، الذين لديهم أطفال من ذوي الاحتياجات الخاصة. إن لديكم بالفعل أطفالاً خاصين، مميزين، وهم ملح الأرض، ولكن هل تدعون تلك المسميات تفرض نفسها على هؤلاء الأطفال وعلى نظرتكم إليهم؟ أو على ما تسمحون لهم بفعله؟ دعني أقدم لكم بعض أصدقائي المميزين، والإسهامات الفريدة التي يسهمونها في هذا العالم.

فالصغير “جيسي” ذو السنوات السبع، لم يقابل في حياته شخصاً غريباً. وهو ودود مع كل من يلقاء، ولقد شارك هذا العام مع أصدقائه في أول ماراتون للصغرى (فيما يشبه الألعاب الأولمبية الخاصة) لجمع المال لأحد مراكز ذوي الاحتياجات الخاصة. لقد تأثر الجميع إلى حد البكاء على طول مسار الماراتون، حيث راح أحد عشر طفلاً من ذوي الاحتياجات الخاصة يعدون معًا بمرح، ويتوقفون بين الحين والآخر ليعانق كلًّ منهن صاحبه أو واحداً من المتابعين.

أما هارولد، ابن التاسعة عشرة، فهو أكثر مغلف للسلع حميمية قد تلقاه في متجر البقالة في منطقته، حتى إنه ليلى أكثر الزبائن ازعاجاً بالترحاب والابتسامة، فيشعره بالراحة.

وتعمل “أندريا” ذات الثمانية عشر عاماً، في مأوى محليٍّ للحيوانات، وليس هناك من هو أكثر منها صبراً أو حباً للكلاب التي تحضر إلى المأوى، وتحرص كل الحرث على نظافة الماء والطعام الذي يقدم للحيوانات.

إياك أن تدع التشخيص الطبيعي لحالة طفلك، سواء كان متلازمة داون، أو متلازمة توريت، أو متلازمة أسبرجر، أو اضطراب نقص الانتباه وفرط النشاط، إلخ؛ إياك أن تدع هذا يحدد من هو طفلك. وأيضاً إياك أن تجعل من هذا التشخيص مبرراً لك كأب بأن تسمح بتصرفات ابنك الخاطئة، فلا هذا ولا ذاك في صالح طفلك. واعلم أن تشجيعك لمواهب طفلك وإسهاماته الفريدة لا يُشعره بقيمة نفسه فحسب، وإنما يمنحك الفرصة لأن يساهم في حياة الآخرين بقدر لن يمكنك أبداً أن تتصوره.

## وإلى الآباء بالتبني خاصة:

كانت "مي مي" جزءاً من مجموعة مكونة من الأطفال في الصف السابع طلب منهم أن يرسموا شجرة العائلة في مشروع مدرسيٌّ في مادة التاريخ. شعرت "مي مي" بحيرة شديدة، ولم تدر ماذا تفعل، فهي قد تُبني وهي في الشهر السادس من عمرها من الصين، وأحضرت إلى أمريكا، وطنها الجديد، ومن ثم لا تعرف أياً من أبويها الحقيقيين، فكيف ترسم مثل تلك الشجرة؟

وفي تلك الليلة على العشاء، بدت هادئة أكثر من المعتاد. وعندما سألتها أمها عما بها، شرحت لها الأمر، وقالت: "ليس لدى شجرة عائلة يا أمي!"، فابتسمت أمها وقالت: "لدي الحل". قالت هذا، وأعطتها كتابي: "طفل بالتبني، لا أحد يشبهك"، من رف مكتبتها.

أعرف أنني من كتب هذا الكتاب، ولكنني أحبه حباً خاصاً، ففي هذا الكتاب يُكلف "ليتل بير" برسم شجرة عائلة، فيصيّبه غم شديد، لأنَّه مُتبني، فيقول له "ماما بير" الحكمة: "لا تحزن يا حبيبي، فلديك شجرة عائلتك"، ثم تشرح للصغير معنى عملية التبني. لقد كان هذا بمنزلة الإلهام الذي احتاجت إليه "مي مي" لترسم شجرة عائلة أشاد بها مدرسها المخضرم أيماء إشادة.

أيها الآباء بالتبني، لقد حظيت بنعمة كبيرة من رب القدير؛ طفل تحبونه وتدعونه. لكم تعرفون شيئاً من الخلفية الجينية (الوراثية) لطفلكم، ولكن قد تكون هناك جوانب أخرى تفاجئكم في رحلتكم هذه، كبعض أنواع الحساسية، أو السمات الجسدية أو العقلية.

لعل طفلكم جاء من روسيا، ولعل أمه كانت مدمنة على الكحول، فإن كان الأمر هكذا، فإن الأب الذكي يولي اهتماماً لهذا الأمر، ويبحث عن تداعياته. ولو أن طفلك جاءت من آسيا، فهناك أطعمة تميل إليها، وأخرى لا يمكنهاتناولها بسهولة، كما أنها قد تكون أكثر عرضة من غيرها لعدوى الجهاز التنفسي، خاصة إذا ما كنت تعيش في طقس أكثر برودة.

فأجر ما استطعت من البحث لتعرف خلفية طفلك والمشكلات (الجسدية، والعاطفية، والعقلية) التي قد يكون طفلك قد واجهها في وطن أبويه أو في دار الأيتام أو معهد الرعاية. لو أن ابنك قد تُبني بعد مرحلة الطفولة المبكرة (من سنة إلى ثلاثة سنوات)، فقد يواجه مخاوف إضافية تتمثل في شعوره

بالهجران، أو أن أحداً لا يحبه على ما هو عليه، وقد تجده يبحث عن الاهتمام، لأنه لم يجده قط وسط الحشد الذي كان يعيش بينهم في دار الأيتام، فيسعى إليه سعياً محموماً. قد يسألك مرازاً وتكراراً عما كنت تفعل خلال اليوم، لأنه يحتاج إلى أن يعرف، كنتيجة لنقص السيطرة، فقدان القوة الذي واجهه في مؤسسة الرعاية.

إن من الحكمة أن تكون على دراية سابقة باحتياجات طفلك الخاصة، ولكن إياك أن تدع أي مسميات تحدد كيفية تربيتك لهذا الطفل. طبعاً سيكون للعوامل الوراثية بعض التأثير، ولكن العلاقة اليومية بينك وبينه لها تأثير لا يضاهى في مسيرته في حياته. هناك حاجتان أساسيتان لدى كل الأطفال، وهما ثابتتان: الحاجة إلى الانتفاء، وال الحاجة إلى القبول غير المشروط.

### إن رأيت سلحفاة أعلى السور...

هناك قول مأثور رائع: "إن رأيت سلحفاة أعلى السور، فلا شك أنها لم تصل إلى هناك بنفسها"، فالسلاحف ليست مهيأة وراثياً للطيران، أو لتسلق المرتفعات الرأسية، فلا بد إذن أن أحدهم قد وضعها هناك بنفسه، لترى العالم من موضعها ذاك.

عبارة أخرى: لا يهم من نحن، ولا من أين جئنا، ولا إلى أين نذهب، فلدي كل منا أناس أعنوه على أن يصل إلى المكان الذي وصل إليه الآن. وبالنسبة إلى، كان هذا الشخص، في بداية حياته، توءمي، وأبي، وأختي، وأخي، وبعد ذلك مدرس في المرحلة الثانية قال لي إن بإمكانني أن أجعل لحياتي فائدة كبيرة، وبعد ذلك زوجتي. هؤلاء هم كل الأشخاص الذين جعلوني أطور من نفسي، وأمنوا أن بإمكانني أن أنجز شيئاً.

يحتاج جميع الناس إلى هذا النوع من التشجيع.

فهل تساعد سلفاتك على صعود السور؟

### أفكار قوية ناجعة:

ابنتنا، تشارلوت، من ذوي الاحتياجات الخاصة. نصح أحد الأطباء زوجتي أن تُجري عملية إجهاض عندما اكتشفنا أن تشارلوت مصابة بمتلازمة داون، ولكننا نؤمن أن لنعم الله هذه هدفاً في الحياة.

وهي الآن في الخامسة عشرة، وما أكثر ما تغلبت عليه من التحديات (ونحن كذلك). لم يكن الناس دوماً لطفاء في طريقة التعامل معها، ولكنها تبسم وتعانق الجميع على كل حال. عندما وصلت إلى الرابعة عشرة من عمرها، قررنا أن نحضر لها هاتفاً محمولاً، فقد كانت في برنامج خاص يتطلب أن تكون بعيدة عن المنزل لساعتين بعد انتهاء المدرسة، كل يوم. لم نُرِد لها أن تشعر بالوحدة. ساعدتها أخوها ذو الأحد عشر عاماً في تسجيل الأرقام على هاتفها، وسجل أرقام خالاتها، وعماتها، وأبناء عمومتها، وجديها.

وفي الأسبوع اللاحق لهذا، هاتفني كثير من أقاربي، فقد ظلت تشارلوت ترسل لهم كل صباح رسالة تشجيعية مرحمة، وقد أحبوا الأمر جمّاً.

بعد أن قرأنا بعض مدوناتك عن أهمية لا ندع المسميات تحدد كيفية تعاملنا مع الأبناء؛ خطرت لنا فكرة، فسألنا كنيستنا المحلية أن تزودنا بهواتف الأشخاص الذين يشعرون بالإحباط والألم، وسجلنا بعد موافقتهم أرقامهم على هاتف تشارلوت.

ولكم كانت النتيجة مذهلة!وها هي ابنتنا التي تعاني من متلازمة داون ترسل اثنين وعشرين رسالة كل يوم لأناس مكروبين، تشجعهم فيها، وتثبت فيهم الأمل. لعلها لا تكتب كلماتها بشكل سليم إملائياً، ولكنها تشارك سعادتها معهم، كما تسمى هي رسائلها بطريقة فريدة. وأصبحنا نشارك جميعاً في تلك السعادة عندما تردنا ردود من هؤلاء الناس، كذلك الرد الذي جاء اليوم من امرأة في المراحل المتقدمة من السرطان، إذ تقول: "وحدك من تهتمين بي كل يوم، حتى عندما ينسى الآخرون. لَكَمْ تُدخلين السعادة على قلبي! بارك الله فيك يا تشارلوت".

لوك، نورث كارولينا

### نقاط القوة:

- يولد كل الأطفال بشخصية فريدة.
- تقدم الجينات معطيات محددة، ولكنها لا تحدد من نكون.
- المسميات تفرض قيوداً.

# 7

## تأثير البيئة

يصنع كل طفل تصوراً للحياة - ولكيفية تناغمه معها - بدايةً من عمر ثمانية عشر شهراً.

هب أن طفلاً اسمه "أندي" نشأ في "مينفيو" (نظرة شريرة)، بأوكلاهوما، وأن المدينة تطابق اسمها كل المطابقة، فكل من فيها شرير، وليس فيها أي شخص صالح. ثم يقرر والدا أندي الشريران أن ينفصلوا، وعند القاضي يتشارحان شجاراً عنيفاً، حتى إن القاضي رغم أنه شرير أيضاً، يصدر حكمه بـألا يعيش أندي مع أيٍّ من أبويه، فيذهب الطفل وهو في التاسعة ليعيش مع جديه في مدينة "كابيندنس" (الطيبة)، في كانساس، حيث الجميع طيبون صالحون، وليس هناك من شرير واحد، سوى هذا الطفل الذي انتقل إلى المدينة لتوه.

في رأيك، كيف سيتعامل أندي مع الآخرين في "كابيندنس"؟ بطريقة طيبة أم بطريقة شريرة؟ لا شك أنه سيعاملهم بطريقة شريرة. لماذا؟ لأنه نشأ على هذا النحو.

فقد كانت كل المؤثرات حول أندي (الأب، والأم، وجميع الناس) شرّاً محضاً، فهذا حذوهـم.

والآن فلتتصور طفلاً اسمه ”روب“ نشاً في ”ثيفريفييل“ (مدينة اللصوص)، بإيلينوي، حيث الجميع لصوص. يفقد ”روب“ أبويه في حادث سطو، وهو في الثانية عشرة من عمره، وينتقل إلى ”أونست تاون“ (مدينة الأمانة)، بوسكينسن، فكيف سيكون سلوك ”روب“ عندما ينتقل إلى المدينة الجديدة حيث الجميع أمناء؟ عندما يجد ساعة ذهبية في أحد المطاعم، هل سيعطيها لأمين الصندوق /الصراف، ويطلب منه أن يبحث عن صاحبها؟ طبعاً لن يفعل هذا أبداً، بل سيحتفظ بهذا الشيء الثمين. لماذا؟ لأن هذا السلوك يتفق مع البيئة التي نشأ فيها، ومع ما يراه روب في علاقته مع الآخرين.

بمجرد أن تكون الشخصية يصعب تغييرها، فالطفل الذي يسمح له بأن ينشأ قوياً في سنوات المراهقة سيقاوم بكل قوة أي تغيير، وسيصبح من الشاق حقاً أن يغير أفكاره وتصرفاته ما لم يحدث له تغيير روحيٌّ، لأن يبدأ في إدراك حقيقة نفسه وحقيقة خالقه.

### إنه عالم صغير على كل حال:

في الشد والجذب المستمر في العملية التربوية، أؤمن أنه لا حاجة إلى إجابة واحدة؛ إما هذا وإما ذاك. كلُّ من الجينات والبيئة له أثره في حياتنا، وما يسهم بشكل كبير في تحديد شخصياتنا هو ما ينتج عن التفاعل بين هذين العاملين، لكن إن اضطررتُ إلى اختيار أي العاملين أكبر أثراً، فاختياري هو «البيئة».

فكرة في عالم طفلك للحظات. لدى معظم الأطفال عالم في غاية البساطة -أم، وأو أب، ومنزل، وحيوانات أليفة، وبعض الأقارب يروروون ويجيئون. هنا ينطبق الاسم الذي تطلقه ديزني على مركبها -«إنه عالم صغير». وهو حقاً عالم صغير. فكل هؤلاء المؤثرين الأساسيين لهم أثر كبير في الطريقة التي ينشأ بها الطفل، ولهذا فلطالما أقول للأباء: «عندما تستعدون للإنجاب، حاولوا أن تنتقلوا إلى أقرب مكان يعيش فيه الجنان، فإنهما إن كانوا جديدين صالحين، فسيكونون لهما تأثير رائع في حياة أطفالكم».

لقد كبر كثير منا في مجتمعات كان فيها عم أو خال أو جار لا يتزداد في تصحيح سلوك الطفل متى أساء التصرف. وقارن هذا بما يحدث اليوم في أمريكا، حيث لو مس أحد المعلمين يد طفلك، فقد ينتهي به الأمر برفع

دعوى قضائية عليه، وطرده من عمله. لقد فقدنا حسناً المجتمعى، وإحساسنا بالمسؤولية.

ولكن لكي يشعر الأطفال بالأمان، والحب، وبشيء من الانتماء، فهم في حاجة إلى كلٍ من المجتمع والمسؤولية، لأن من تختار أن يعيش طفلك بينهم لهم أثر كبير فيه. كما أن ما يخرج من فمك من كلمات والكيفية التي تتعامل بها مع أطفالك لها الأثر الأكبر. ولهذا كان القول المأثور «عد حتى عشرة، وسر حول الميزل قبل أن تقول شيئاً لا تعنيه» (فكـر كثـيرًا قبل أن تتكلـم)، واحداً من أكثر الأقوال المأثورة التي تحبها أمي (ولا شك عندي أنها اضطرت كثيراً إلى استخدامه معـي)، وسيساعدك هذا القول في بناء مدخل متوازن في تربية طفلك.

انظر إلى الأمر على هذا النحو. كيف ستغير طريقتك في تربية أطفالك إذا ما أدركت أن كل كلمة تقولها، وكل تصرف تفعله يسهم في تكوين نظرة طفلك للحياة ولدوره فيها؟

### منظور طفلك

لا شك أنك رأيت عشرات الأفلام في حياتك. ولو كان ثلاثة منها تدور حول نفس الموضوع، فمن المرجح أن يكون كلُّ قد تناول الموضوع بشكل مختلف، فلـمـ هـذـا؟ السـبـبـ هوـ أنـ صـانـعـيهـاـ أـنـاسـ مـخـتـلـفـونـ. قد يكون لشخصين نفس الخبرات، وتجد لكل منهما رأياً مختلفاً حيال قضية من القضايا بسبب اختلاف خلفياتهما ونظرتهما إلى الأمر.

والحال هو هو مع الأطفال. ينشغل الأطفال ابتداءً من الشهر الثامن عشر في تكوين منظورهم للحياة؛ الطريقة التي ينظرون بها إلى الحياة نظرة فريدة تخص كل واحد منهم على حدة.

وذلك النظرة تشمل أموراً مثل:

• «آه! لقد فهمت؛ إذا أخذت طبقي بكل ما فيه من الأشياء الخضراء هذه (بازلاء)، وقلبته على رأسـيـ، فـسيـرـىـ أـبـواـيـ الـأـمـرـ مـضـحـكاـ. (في المرة الأولى على الأقل. أما بعد خمسين مرة، فـ...ـ)».

• «لو نفخت بفمي، وأخرجت لسانى، فسيشيخ الكبار ببرؤوسهم. يرى أبي الأمر مضحكاً، أما جدتي، فتشعر بالانزعاج. هذا أمرٌ مسلّ». وهكذا يولّد طفل قويٌّ محب لإضحاك الآخرين، فهو يعرف أن بإمكانه أن يجعل الناس يضحكون، ويعرف كيف يستثير بتصرفاته ردود أفعال عاطفية. يبدأ الطفل كتابة سيناريو الحياة الخاص به في مرحلة مبكرة للغاية بناءً على رد فعل أبويه على تصرفات بسيطة. فلو جعل الأب الطفل مركزاً للاهتمام، يقول الطفل لنفسه: «حسناً. هذا أمر رائع، فليس السيناريو وحسب من تأليفه، ولكنني بطل العرض أيضاً»، وهكذا يبدأ طفلك في اعتناق الفكرة التي مؤداها: «أنا أهم شخص على الإطلاق، وأهم شيء عندي هو أن أكون ممسكاً بزمام الأمور، وأن أهيمن على المشهد».

إنك لا تسدي ابنك أي صنيع إذا جعلته مركزاً للكون. لا شك أنك قد تحسب طفلك أظرف طفل في العالم، ولكن إن عاملته على هذا الأساس، فأشك أن يراه الآخرون ظريفاً بالمرة. إننا في سعينا إلى أن نكون آباء صالحين، غالباً ما نبالغ، فنحاول أن نمدّهم بأفضل الفرص، وأن نمنحهم كل ما يريدون (حتى لو لم يكن هذا في مقدورنا، فاضطررنا إلى أن نعمل ساعات أكثر)، كما نسرف في تدليلهم وحمايتهم من عواقب الحياة الحقيقية. نعم، إن علينا أن نحبهم ونحميهم، ولكن إن أفرطنا في هذا، فإننا نخلق أطفالاً لديهم نهم للقوة؛ أطفالاً لا يرون إلا أنفسهم. إذا أردت أن تحصل على تصور لكيف يبدو طفل كهذا، فشاهد فيلم "شارلي ومصنع الشوكولاتة".

فبعد هؤلاء الأطفال، تصبح فلسفة "أهم شيء عندي هو أن أكون مركز العالم" جزءاً من تكوينهم النفسيّ، وسوف تؤثر في رأيهم في أنفسهم، ونظرتهم تجاه الآخرين، وسلوكهم، ليس كأطفال فحسب، ولكن كبالغين أيضاً. وطفلك الآن، بغض النظر عن عمره، لا يزال في مرحلة تطوير نظرته إلى الحياة، وإلخوته وترتيبه بينهم دور كبير في تطوير هذه النظرة.

### المسرحية العائلية:

اعتقد أنا وزوجتي ساندي أن نتمتع - أو لنقل "نتحمّل" تحريراً للدقة - بتلك المسرحيات التي كان أبناءنا يقدمونها لنا في صغرهم. وكانت "هولي"

مولودتنا الأولى النجمة دائمًا. أما كريسي، مولودتنا الثانية، فكانت هي من تقدم النجمة، وتمسك بيدها وهي تخطو نحو مركز المسرح في غرفة عائلة ليمان. أما الرضيع، كيفن الثاني، فقد كان محظوظًا، فقد كان الكلب الأليف طيلة الوقت.

فكر في العائلات التي تعرفها والتي لديها طفلين أو أكثر. أولاً: انظر إلى أول مولود، واحفظ في ذهنك صورة لسماته؛ شكله، وملبسه، وشخصيته الأساسية. ثم انتقل إلى المولود الثاني في تلك العائلة، ولاحظ نفس الأمور، وافعل نفس الشيء مع الطفل الثالث، إن كان موجوداً.

لاحظ الاختلافات الجسدية، والعاطفية، والفرق الشخصية لهؤلاء الأطفال الخارجين من نفس العش.

والآن، فكر في العائلة التي نشأت فيها، وافعل نفس الأمر. ألا يعيد التاريخ نفسه؟!

والآن فكر في أطفالك أنت، وافعل نفس التمريرن.

شتان ما بين الطفل الأول والثاني، أليس كذلك؟ في غالب الأحوال، متى كان لديك طفل قوي في مركز الطفل الأول، فإن هناك بعده حملاً؛ طفلًا يسير مع التيار، لأنه وبكل بساطة قد اختار ألا يتنافس مع أحد.

فعندما يحلق الطفل الأول عالياً، ويصبح نموذجاً يحتذى به، فإن الطفل الثاني ينظر نظرة سريعة، ويقول لنفسه: "حسناً، لقد شغل هذا الدور، وأسأختار اتجاهًا آخر"، وغالباً ما يكون هذا الاتجاه هو الاتجاه المعاكس.

ولهذا فعادة ما يكون الاختلاف بين المولود الأول والمولود الثاني في العائلة اختلافاً شاسعاً. أما الرضيع، أو أصغر الأطفال في العائلة، فيجد لنفسه دوراً خاصاً. هل تذكرون "كيفن الثاني"، الذي كان دائمًا ما يؤدي دور الكلب الأليف في المسرحية؟ أذكر أنه ذات مرة صنع لنفسه يافطةً كتب عليها "تصفيق" بحروف بارزة، وعلقها حول عنقه. لا بد أن تمنحك هذا الطفل حقه من التقدير، فقد عرف حتى وهو في هذه السن الصغيرة دوره في العائلة، ولقد كان دوراً مختلفاً تماماً عن أخيه. وهو الآن كاتب هزليٌّ مبدع في واحد من أفضل برامج التليفزيون النهارية، كما أنه قد فاز بثمانٍ من جوائز "إيمي".

كلنا ممثلون في مسرحية الحياة، ونميل إلى أن نمثل حسب المنظور الذي طورناه، وحسب ترتيبنا بين إخوتنا.

### الأبناء البكر: النجوم

نشأ أبي في عائلة أيرلندية مهاجرة فقيرة من أربعة إخوة، كان ثالثهم. اعتاد أبي أن يقول إن من كان يستيقظ منهم أولاً يتمنى له ارتداء أفضل الملابس لقلة الثياب.

وهذا هو الحال مع الأبناء البكر، فهم يحصلون على أوائل الأشياء. ولذا فسوف يختارون الدرب الذي يبدو ملائماً لهم، ومهما يكن هذا الدرب، فسيكون له أثر كبير في الدرب الذي سيتباهي الطفل اللاحق له، فإذا ما حالف الحظ فكان أول مولود لك "حملًا"، أو بعبارة أخرى: شخصاً متعاوناً، مبهجاً، فأغلب ظني أن ابنك الثاني سيكون نمراً مفترساً.

إن الطفل البكر هو الطفل الوحيد في العائلة الذي تكون قدوته في الحياة من البالغين، والسبب في هذا هو أنه أول من خرج إلى خشبة المسرح، وأنه ليس هناك على مسرح العائلة من أحد إلا هما وهو (حتى حين على الأقل). ولا يعني هذا أن الابن الأوسط، أو الأصغر، لا يريان هذين المخلوقين المسميين بالأبوين، ولكنهما يريان معهما أشخاصاً آخرين.. الإخوة.

وعندهم توقعات الآباء للابن البكر فهو الأول، وعین الأب الثاقبة منصبة عليه، فلا بد أن يكون نموذجاً يحتذى به إخوته الصغار. وغالباً ما يطلب منهم أن يعتنوا بإخوتهم. كما يطلب منهم أن يتعاملوا معهم بحنان، وأن يتشاركوا معهم في كل شيء، لأن إخوتهم أصغر. وطيلة هذا الوقت يظل لسان حال الابن البكر يقول: "ليس هذا عدلاً. إنها حلواي، فلم أتقاسموا معهم؟!"، وعندما يكبر هذا الابن، تصبح الحلوي وأشياء أخرى كالكمبيوتر، أو أجهزة الدي في دي، أو حتى السيارة.

كما أن هؤلاء الأطفال الأوائل لديهم رغبة في معرفة تفاصيل أي موقف، وغالباً ما يشعرون بالضيق في غياب جدول يتقيدون به. ولديهم نظرية قاطعة في مسألة الصواب والخطأ، إما أبيض وإما أسود. وهم عادةً أكثر من ينخرط في الأندية والأنشطة.

الآن وقد عرفت عن مولودك الأول هذه الأمور، فكيف تكون استجابتك في هذه المواقف؟

### السيناريو الأول:

لا يريد ابنته أن يذهب إلى حفلة عيد ميلاد جدته، فلديه عرض للعب مع أصدقائه.

- استجابة من يريد الشجار: "ستذهب إلى الحفلة. انتهي الحديث"، (وتبدأ الحرب، فتصفع الأبواب، وتُطْرَق الأرض...).
- الاستجابة المتزنة: "حبيبي، أعرف أنك لا ت يريد أن تذهب إلى منزل جدتك، وأنك تفضل أن تلعب مع أصدقائك، ولكنك عيد ميلاد جدتك، ونريد أن نكرّمها في هذا اليوم. إني أعمل خمسة أيام في الأسبوع، وأحصل على إجازة ليومين، تماماً كما تذهب أنت إلى مدرستك خمس مرات كل أسبوع، وتستريح ليومين. ويعني هذا أن هناك أموراً نحب فعلها، ولكن لا يمكننا أن نفعلها. وكذلك الحال في الحياة، فهناك أوقات سُيُطلب منك فعل أمور لا ت يريد أن تفعلها، كاليوم مثلًا. ثق بي (واضح لك لخفض التوتر، وواصل حديثك) هناك أوقات يرن فيها المنبه في الرابعة والنصف صباحاً، ولا أريد أن أستيقظ، ولا أن أستقل القطار إلى المدينة، ولكنني أفعل هذا، لأنني أحبك وأحب إخوتك".

### السيناريو الثاني:

تندمر ابنته، لأنها هي وحدها من يُخرج القمامات كل مرة.

- استجابة من يريد الشجار: "هذه مهمتك، وعليك أن تؤديها!".
- الاستجابة المتزنة: "دعيني أسألك سؤالاً: هل تعتقدين حقاً أن أخاك ذا السنوات الثلاثة يمكنه أن يُخرج القمامات؟ لا، فهو صغير، أما أنت ففتاة قوية في الثانية عشرة من عمرها، ويمكنك أن تدفعي سلة القمامات الثقيلة تلك عبر الممر بسهولة. أعرف أن الأمر يبدو غير عادل، وأعرف أنك تحبين العدل والمساواة، ولكنني أطلب منك أن تفعلي هذا كمساعدة لعائلتك".

ما الفرق بين هذين النوعين من الاستجابة؟ الفرق هو أن واحدة تستثير السخط، وتستدعي اتخاذ موقف متحفظ، أما الأخرى فتمثل فرصة لتعليم درس من دروس الحياة. عندما تكون أباً، فأنت أيضاً طبيب نفسيٌّ، فبدلاً من أن يحصل طفل على اهتمامك بشكل سلبيٌّ، بالشجار معك بشأن أمور يراها غير عادلة؛ وجُّهه صوب التفكير الإيجابيٌّ، والأهداف الإيجابية.

عادةً ما يكون لدى المولود الأول نزعة للكمال (ولا تنسَ أنه كان نجم العرض الذي يحظى بكمال الاهتمام قبل مجيء أخيه هذا). إن الحرص على فعل الأمور على أفضل وجه شيء مهم، ولكن صاحب النزعة نحو الكمال هذه يكون صاحبها غير قادر على مواكبة الحياة إلا إذا كانت مثالية، وهذا وضع خطير، فالحياة ليست مثالية إطلاقاً.

قد يبدو صاحب تلك النزعة ظاهرياً منظماً، ولكن المشكلة تظهر عندما يفعل أحد زملائه خطأً وهم يلعبان الكرة، فيعتبريه الغضب، أو عندما يفعل هو شيئاً ما على نحو خاطئ فينهار. كما أنه قد ينتقده شخصٌ ما فيحيط، أو يبدأ في الشكوى من الحياة وظلمها (وتتفز في رأسه تلك الفكرة القاطعة عن الصواب والخطأ، إما أبيض وإما أسود)، وقد يكون كل ما حدث هو أن أحدهم طلب منه أن يفعل الشيء على نحو غير الذي اعتاده.

وقد يبدو المولودون الأوائل ملتزمين بالقواعد التزاماً حرفياً كما يحاولون إدارة كل شيء في حياة إخوتهم. عندما ألفت كتابي "The Birth Order" أو (ترتيب الميلاد)، أسميتها أول الأمر: "Abel Had It Coming" ، أو "لقد استحق هابيل ما جرى له"، رأيته عنواناً ذكياً، يجذب انتباه القراء. ولا شك أن الجميع يعرف النزاع الشهير بين الشقيقين؛ قابيل وهابيل، وكم كانوا مختلفين، فكانا خيراً مثال لنظرياتي بشأن ترتيب الميلاد.

حينها قال لي الناشر: "لا يمكننا أن نسمي الكتاب بهذا الاسم".  
فردت: "ولكنه عنوان لطيف، وبه نكهة عائلية لطيفة".

لكن الناشر أصر على موقفه، فاعتبرتني نوبة غضب (ملحوظة: لقد ولت تلك الأيام ونضجت)، فعقدت ذراعيًّا، وقلت: "حسناً، فلتُسمِّه أنت كيفما شئت!".

فاجتمع الناشر والقائمون على الأمر حول طاولتهم الكبيرة، وأتوا بعنوان مستفز: ”كتاب ترتيب الميلاد“.

أكاد أجزم أن المجتمعين في جلسة العصف الذهني تلك كانوا من المواليد الأول. استقر على هذا العنوان للكتاب، وأعترف أن الكتاب لاقى قبولاً طيباً. إذن فقد يكون المواليد الأول هؤلاء محقين في أغلب الأحوال، أليس كذلك؟

ما يمكنك عمله:

- دع طفلك يرى الفارق بين نزعته نحو الكمال، وبين بحثه عن التفوق، فمن يبحث عن الكمال يتوقف عن السعي عندما لا تكون الأمور بالكمال الذي يريد، فينهزم. أما من يبحث عن التفوق، فيظل عازماً على المضي في طريقه، ولا يدع الفشل في أحد الجوانب يثنيه عن عزمه.
- أكثر من إخبارك لطفلك كم تقدره، وتقدر ما يفعله من أجل إخوته الصغار.
- امنح طفلك مميزات إضافية بصفته أكبر إخوته، فهو يستحق تلك المميزات، لأنه يتحمل العبء الأكبر من المسؤولية.

### الابن الأوسط: الوسيط

يحب الابن الأوسط أن تسير الحياة بسلامة، دون مطبات أو متابع ناتجة عن علاقته بمن عداه. وهو محشور بين أخوين يتشارعان في أغلب الأوقات، فلا عجب في أن تجده مختبئاً في غرفته عندما يسام من محاولاته للصلح بينهما. كما أنه ذلك الابن الذي قد لا يلحظ غيابه على مائدة العشاء إذا ما كان مولوداً في عائلة كبيرة، فهو لا يثير ضجة، ولا يتحدث في مجموعة إلا نادراً. وفي وجود المولود الأول النجم، والرضيع اللطيف، لا يكون من السهل ملاحظة الأوسط عند الوهلة الأولى.

ولكن لا تدع المظاهر تخدعك، فالمولود الأوسط، وبسبب دوره في الوسط، عادةً ما يدبر أمور حياته بحس من الاتزان يهدئ كل من حوله. كما أنه يصبح أفضل شريك في الزواج، فهو متزن، ويمكنه أن يرى جانبي الأمر، إذ اعتاد أن يلعب دور الوسيط لمحاولة تقريب وجهات النظر بين أخيه.

”كريسي“ و ”هانا“، المولودة الثانية والثالثة في أسرتنا، متزنتان على نحو كبير. وكريسي واحدة من أفضل الأمهات (لحفيدينا: كونر وأديلين). وطريقتها في التعامل مع أي مأزق متزنة، وتبحث عن تلك اللحظات التي تعلم فيها أبناءها درساً من دروس الحياة. و ”هانا“ تحب مساعدة الفقراء والضعفاء، وهي قادرة على رؤية المشكلة من جانبها، ووضع الحل الناجع لها.

إن أهم ما يجب أن تعيه بشأن الطفل الأوسط هو أنه غالباً ما لا يشعر بأن غيره في حاجة إليه، أو أنه مرغوب من قبل الآخرين، إذ يشعر أنه محشور بين المولود الأول، ولـي العهد، والمدلل الصغير الذي كثيراً ما يفلت من عاقبة أفعاله.

الآن وقد عرفت تلك الأمور عن طفلك الأوسط، فكيف تكون استجابتك في كل من تلك المواقف؟

### السيناريو الأول:

تلاحظ أن طفلك الوسطى تنظر بغيظ إلى أخيها الأكبر الذي يحاول فرض رأيه عليها.

- استجابة من ي يريد الشجار: ”هل نظرت شزرًا إلى أخيك لتوك؟ إن هذا أمر غير لائق أيتها السيدة الصغيرة، فاذهبي واعتذرلي إليه، الآن!“.
  - الاستجابة المتزنة: ”إن أخاك أحياناً ما يبالغ في تصرفاته، أليس كذلك؟ لقد لاحظت أنه يحب أن يُملي عليكِ ما تفعلين“.
- وحيينها يكون ما تفكـر فيه طفلك الوسطى هو هذا: ”كيف عرفت أمي ما يدور برأسـي؟!“.

وتواصـلين حديثـكـ قائلـةـ: ”لـكمـ أقدرـ صبرـكـ عليهـ!ـ حتىـ عندماـ يحاـولـ يـستـفزـكـ لاـ تنـتـلـيـ عـلـيـكـ أـلـاعـبـيـهـ،ـ وـلـكـنـهـ تـحـتـ ضـغـطـ كـبـيرـ،ـ فـإـنـيـ لـأـصـابـ بالـدـوارـ بمـجـردـ النـظـرـ فـيـ كـلـ هـذـاـ الـذـيـ كـلـفـوهـ بـفـعـلـهـ فـيـ كـلـيـتـهـ،ـ حتـىـ إـنـيـ لـأـتـصـورـ كـيفـ يـشـعـرـ،ـ وـلـكـنـيـ آـسـفـةـ أـنـهـ يـنـفـثـ عـنـ إـحـبـاطـهـ فـيـكـ.ـ لـيـسـ هـذـاـ عـدـلـاـ بـأـيـ حـالـ،ـ أـلـيـسـ كـذـلـكـ؟ـ“.

فيكون ما تفكـر فيه ابنتك الوسطى حينها هو: ”لقد أدركت أمي ما أعنـيه. هذا هو ما يحدث كل يوم. واصلي الحديث يا أمي.“.

”هل تريدينـ أن نفعل شيئاً خاصـاً هذا الأسبوع، أنا وأنت وحدـنا؟ ونترك هذا المتسـيد الصـغير وحـده بالمنـزل؟“.

### السيناريو الثاني:

يوبـخ زوجـك طفـلـك الأـوسط عـلى شيء فعلـته صـغـيرة العـائلـة المـدلـلة.

- استـجـابة من يـريد الشـجار: ”أـنتـ الكـبير عـلى كلـ حالـ، وـتـعـرـفـ أـكـثـرـ منهاـ، لـذـاـ كـانـ عـلـيـكـ أـنـ تـمـنـعـهـ عـنـ فعلـتهاـ!“.
- الاستـجـابة المـترـزـنة: ”إـنـ أـخـتكـ مـاهـرـةـ فـيـ خـدـاعـ الآـخـرـينـ، حـتـىـ أـبـيكـ أحـيـاناـ، أـلـيـسـ كـذـلـكـ؟“.

وـحينـهاـ يـقـولـ طـفـلـكـ الأـوسطـ: ”لـقـدـ أـدـرـكـتـ الـأـمـرـ عـلـىـ حـقـيقـتـهـ ياـ أمـيـ.“.

وـتوـاصـلـينـ حـدـيـثـكـ: ”فـيـ الـوـاقـعـ، لـقـدـ لـاحـظـتـ أـنـ أـنـبـكـ عـلـىـ ماـ فعلـتهـ هـيـ. أـعـرـفـ أـنـكـ كـثـيرـاـ ماـ تـنـحـشـرـ بـيـنـ أـخـيـكـ الـأـكـبـرـ وـأـخـتكـ الصـغـرـىـ، فـيـقـعـ عـلـيـكـ الـظـلـمـ، وـلـكـنـيـ أـرـيدـكـ أـنـ تـعـلـمـ قـدـرـ أـهـمـيـتـكـ عـنـدـيـ وـلـلـعـائـلـةـ كـلـهـاـ. لـاـ أـدـرـيـ كـيـفـ كـانـ حـالـنـاـ لـيـكـونـ دـوـنـكـ، فـأـنـتـ رـصـينـ حـقـاـ. لـيـتـنـيـ كـنـتـ مـثـلـكـ عـنـدـماـ كـنـتـ فـيـ سـنـكـ!“.

وـحينـهاـ يـقـولـ الـبـنـ الأـوسطـ: ”رـائـعـ! إـنـ أمـيـ تـوـدـ لـوـ أـنـهـ كـانـ مـثـلـيـ!“.

### ما يـمـكـنـكـ عـمـلـهـ:

- أـكـثـرـ مـنـ تـذـكـيرـ طـفـلـكـ الأـوسطـ بـقـدـرـ أـهـمـيـتـهـ عـنـدـكـ، وـعـنـ الـعـائـلـةـ.
- اـكـسـبـ تـعاـونـهـ.
- خـصـصـ وـقـتـاـ تـقـضـيـانـهـ مـعـاـ وـحـدـكـماـ.

يُنظر إلى صغار العائلة على أنهم تماثم، لأنهم.. الأصغر. فهم هؤلاء اللطفاء الذين يفلتون من العقاب مهما تعظم جرائمهم. وهم المسلمين الذين يرسمون البهجة على وجه أبويهما، ويكسرن قواعد العائلة، دون عقاب. بل إن الكبار، “الذين يعرفون أكثر” منهم أحياناً ما يلامون على أفعال هؤلاء الصغار.

يفتعل هؤلاء الأطفال أي شيء لتحصيل الاهتمام، ويحاولون هذا بكل ما أوتوا من قوة، فهم ينظرون إلى أعلى السلسلة ليروا ذلك المولود الأول المخيف، وهو يحلق عالياً لينال كل المكافآت.

كما أن أخيه الكبار لا يكفان عن إعطاءه الأوامر، فغالباً ما يكون هو من يقال له: ”اذهب وأحضر لي زجاجة من البيبسي“، بينما يشاهد أخواه التلفاز، ويتناولن الفيشار. وأخواه لا يطلبان منه، بل يأمرانه، ولكن صغير العائلة لا يحمل لهما ضغينة، فهو يحب أن يحظى ببعض المرح.

ولأنه أصغرهم، فهو مخادع بارع، يجعل إخوته يؤدون له مهامه بلعب دور العاجز قليل الحيلة. كما أنه لا تستهويه الكتب، ما لم تحتو على الكثير من الصور، إلا أنه يحب الناس وهم عنده كتاب مفتوح يقرؤه ببراعة. سيكون بائعاً عظيماً ذات يوم، بل سيكون أمهراً من في مهنته تلك. وهذا لأنه يألف الجميع ويألفونه، ولديه شخصية مبهجة أحاذة.

الآن وقد عرفت هذه الأمور عن رضيع (صغير) العائلة، فكيف تكون استجابتك في كل من تلك المواقف؟

## السيناريو الأول:

تأتيك مكالمة من مدرسته تشتكى فيها من تصرفاته.

• استجابة من يريد الشجار: ”أنت أيها الصغير، لقد تحدثت مع مدرستك، وأخبرتني بعض ما فعلته في الفصل اليوم. كُف عن هذا! إياك أن تفعل هذا ثانية! عليك أن تخجل من نفسك!“.

• الاستجابة المتزنقة: ”إن أكثر ما يعجبني فيك هو أنك تحب أن تمرح، وأنك مبتسم طوال الوقت. لقد أخبرتني مدرستك اليوم أنهم لو منحوا درجات لمن يحبون المرح، فستكون من يحصل على أعلى تلك

الدرجات في مدرستك كلها. وعندما كان إخوتك يؤدون مسرحياتهم كانوا يحسبون أنهم النجوم، لأنهم هم من يتحدثون، ولكنك أنت من كان يخطف الأضواء. وهذا لأنك ماهر في التعامل مع الناس، وتعرف كيف تُضحكهم.“.

“لقد أخبرتني معلمتك ببعض الأمور التي فعلتها في المدرسةاليوم لتنزع الضحك. هل تشعر بالضيق في فصلك؟ هل تود أن يحبك الناس؟ أن يتبعها إلى وجودك؟ لو كان الأمر كذلك، فليس لزاماً عليك أن تفعل ما فعلته اليوم، فالناس سينجذبون إليك بشكل طبيعيٌّ، بدرجة قد تجعلك ذا تأثير كبير فيهم. في المرة القادمة التي تشعر فيها برغبتك بتقليل صياغ الديكة في الفصل، فكر في أنه ليس عليك أن تظهر في مظهر الأحمق ليلاحظ الآخرون وجودك.“.

### السيناريو الثاني:

تعود إلى المنزل، وقد حصلت على درجة منخفضة في العلوم، بعد أن بذلت كل مجهد ممكن.

• استجابة من يريد الشجار: ”لا يمكنني أن أصدق أنك حصلت على تلك الدرجة المنخفضة. في المرة القادمة عليك أن تبذل مزيداً من الجهد. أعرف أن بإمكانك أن تحسني درجتك إن حاولت بشكل أكبر.“.

• الإجابة المتزنة: ”لقد ذاكرت بجد، أليس كذلك؟ كم أنا فخورة بك لحصولك على تلك الدرجة في هذه المادة الصعبة! أعلم أن أخاك يبدو عبقرياً، ولا يترك الكتاب من يديه، ولكن هل يعني حصوله على درجات أفضل أنه أفضل منه؟ إنه يقسوا على نفسه أحياناً.“.

”إنك تضفيين البهجة على العائلة بمجرد طلتك. هل تذكرين تلك الليلة عندما وازنت حبة من الذرة على طرف أنفك، ثم أخرجت لسانك لتلتهميها؟ لقد بدوت حقاً كالضدقع. كنت أفكر في ذلك المشهد بالأمس، وأنا أقود السيارة، فضحت حتى كدت أحيد عن الطريق. كم أنا سعيدة، لأنك تبذلين قصارى جهدك في المدرسة! أتوقع منك أفضل ما لديك، ولكني لا أتوقع أن تحصلى على أعلى الدرجات كل مرة.“.

ما يمكنك فعله:

- تأكد أن يحصل على نصيبه من الأعباء العائلية.
- وازن بين اللهو والعمل الجاد.
- علمه أن يتحلى بمنظور بعيد الأجل، وأن يتحمل المسؤلية.

### ملك التل (سيد التل):

كنا في الصغر نلعب لعبة اسمها "ملك التل"، فكنا نبحث عن كومة من الرمل أو التراب قرب منزل يبني، وما إن يغادر العمال موقع البناء، حتى نبدأ اللعب. كان الهدف من اللعبة هو أن تصل إلى قمة التل، وأن تبقى هناك، ومتى حاول الآخرون دفعك عن القمة تحاول أن تدفعهم إلى الأسفل.

يبذل كل طفل في العائلة قصارى جهده ليكون "ملك التل" أو "ملكة التل"، فهم يبحثون عن الاهتمام، ويسعون خلف القوة. وإن لم يشعروا بأن لهم دوراً في العائلة، وبعض القدرة على التحكم في حياتهم، فسيكونون أقوياء.

كأب، قد تقول لنفسك أحياناً: "لم لا تكون كأخيك أو كاختك؟"، وهناك سبب وجيه وبسيط، وهو أن طفلك ليس أخاه أو اخته. فهو شخص مختلف تماماً، وتوقعك أن يكون شخص آخر لن يؤدي إلا إلى خيبة الرجاء لكل منكم. يُجري الأطفال ما يكفي من المقارنات من تلقاء أنفسهم، وليسوا في حاجة إلى مزيد من الملاحظات من قبلك، فهم منهمكون في الإطاحة بإخوتهم إلى أسفل التل.

### أفكار قوة ناجعة:

سرق بعض أطفالي مالاً من محفظتي هذا الأسبوع، ولم يعترف أحد بالأمر. لم يكن هناك شك عندي في أن واحداً منهم يكذب، وكان لدى فكرة جيدة عنمن قد يكون. كما أني كنت أعلم أن العنف لن يجعلها تقر بما فعلت، ولذا أخذت بنصيحتك التي تقول فيها: "لا يحدث اللاحق حتى يكتمل السابق"، فقررت ألا نذهب إلى أي مكان حتى نصل إلى حقيقة الأمر؛ لا إلى منزل الجدة للعشاء كما كنا قد خططنا، ولا إلى المدرسة، ولا إلى أي مكان خارج المنزل. وقلت لهم: "أريد من كلِّ منكم أن يذهب إلى غرفته، وسأذهب بدوري إلى

غرفتني. كل ما عليكم فعله هو أن تكتبي ملاحظة، وتوقعوها، وتخبروني بما فعلتموه. وإلى أن أحصل على تلك الملاحظة، فلن يغادر أحد منكم المنزل.”.

وفي غضون ساعة، لم تتحمل طفلتي الوسطى كل هذا الضغط، فقررت أن تعرف بالأمر، رغم أنها لم تكن هي من فعلته، وإنما تصرفت على هذا النحو لتعيد السلام إلى العائلة، ولكن ابنتي الأولى شعرت بالذنب، فاعترفت بأنها هي من أخذت المال، وعبرت عن شديد ندمها لمخالفة قواعد العائلة.

لقد أثمرت نصيحتك، ووصلنا إلى حقيقة الأمر سريعاً، دون الصراخ والاتهامات المعتادة، ومضت الحياة.

كيت، ببنسيفانيا

### نقاط القوة:

- كلنا نكون منظوراً للحياة، ونمثل أدوارنا وفق هذا المنظور.
- يحتاج المولود الأول إلى منظور خاص، وإلى التقدير، وبعض المميزات.
- يحتاج الابن الأوسط إلى أن يُفهم، وأن يشعر بأهميته، وإلى تخصيص بعض الوقت لقضاءه معه.
- يحتاج الأبناء الصغار إلى المرح، والعمل، والاتزان.



# 8

## تربية أتيلاء الموني

لَمْ يُصْنِعَ الْآبَاءُ أَطْفَالًا أَقْوِيَاءً؟  
وَمَا يَمْكُنُكَ فَعْلَهُ حِيَالُ هَذَا؟

”لا يمكن أن يفعل حبيبي جاكي شيئاً كهذا!!“، هكذا أصرت جدتي بحزم.  
كان دفاعها عن أخي الأكبر مستميتاً، فقد اتهمت بإلقاء الحجارة على بعض  
الأسماك الذهبية التي تربى فيها في بركة في ساحة منزلها الخلفية. ولك أن  
تخيل صدمتها عندما اعترف أخي على الفور بما فعل، قائلاً إنه كان يحاول  
أن يفجر تلك الأسماك.

أليس صحياً أننا عادةً ما نتجاوز عن سوء سلوك هؤلاء الذين هم من  
لحمنا ودمنا؟

قبل عدة سنين، عندما أوضحت للسيدة أبنجتون أن كيفن الصغير يتصرف  
على نحو بغيض، مسحت بيدها على رموشها، وابتسمت وقالت: ”أليس فتى  
بديعاً؟!“.

فقلت لها: ”لا، إنه يتصرف بحماقة شديدة!“.

غالباً ما ننظر إلى أطفالنا عبر نظارة وردية. وكل والد في جمعية الآباء  
والملئين يؤمن بالانضباط إلى أن يكون ابنه هو المسيطر، فحينها يأتي

وفي يده محامٍ، ولا يهتم سوى بحقوق الطفل، بدلاً من التركيز على السلوك الخاطئ.

### يبدأ الأمر بالحُلم:

أتذكرون تلك الأيام عندما كنت تهيمون عشقاً، وتحلمون بالزواج؟

”حبيبي، لا يسعني أن أنتظر أكثر من هذا. عما قريب سنكون معاً ليل نهار. لكم سيكون هذا أمراً رائعاً! وفي يوم من الأيام سُترزق بأطفال، ولا شك لدى أنهم لن يشبهوا أبناء أختك بأي شكل من الأشكال!“.

كم نكذب على أنفسنا! فها أنتم الآن وطفلكم القويٌ يجعل من أبناء أختك ملائكة متى قورنوا به.

كيف تتحول كل أحلامك، ورغباتك، وحواظرك إلى هذا الرضيع الذي فوق ذراعيك إلى صراعات قوة كل يوم بسبب نزعته للقوة التي جعلته بمنزلة نمر في منزلك؟ ما الذي جرى بين ذلك اليوم وبين هذه اللحظة؟ ألم تكونا أفضل أبوين محبّين قبل أن تقولا هذه الكلمة المرعبة: ”أوافق على الزواج بك“؟

وعندما وصل مولودك الأول، ألم تغمرك السعادة كونك قد أصبحت أبياً؟ لقد رُحت تعد أصابع هذا الصغير وأقدامه (ولا تقل لي إنك لم تفعل هذا). ألم يصبح هذا المخلوق الضئيل جزءاً منك ومن عائلتك خلال ثوانٍ قليلة من رؤيتك لتلك المعجزة الربانية؟ لقد أخذت الطفل، وبدأت رحلة الأبوة مع هذا المخلوق الذي يعتمد عليك في كل شيء.

والآن، بعد كل تلك السنوات، ما الذي حدث؟ كيف يمكن لإنسانين طبيعييَّين أن ينجبا طفلاً لديه كل تلك النزعة نحو القوة حتى إنكما أحياناً لا تودان الاعتراف بأنه ابنكما؟

دعاني أجييكما بصراحة. أنتما السبب الأول والأخير. فأنت من قلت للطفل: ”أتوقع منك أن تتصرف على نحو طيب في محل البقالة، وإن لم تفعل، فلن أجلب لك الحلوى!“. وما كنت تقوله دون قصد هنا هو: ”أعرف أنك ستتصرف بكل وقاحة في محل البقالة، ولذا فأنا أحذرك من الآن، فأحسِّن التصرف، وإلا...“.

فقـل لي لم تـتوقع التـصرف السيـئ من طـفـلك ابـتـداءً؟ لمـ لا تـتوقع منه شيئاً إيجـابـياً؟ وـفي حـقـيقـة الأمـر، لمـ تـتوقع أـي شيء أـصـلـاً؟ هلـ هي رـحـلة إـلـى قـمـة جـبـلـ إـيفـرـسـتـ، أمـ مـجـرـدـ رـحـلة بـسـيـطـةـ إـلـى محلـ الـبـقـالـةـ؟ لمـ تـسـتـبـقـ الأمـورـ، فـتـجـعـلـ منـها صـرـاءـاً لـلـقوـةـ؟

إنـ طـفـلتـكـ لـيـسـ غـيـبةـ، وـهـاـكـ ماـ تـفـكـرـ فـيـ تـلـكـ الـلحـظـةـ: "إـذـنـ فـأـمـيـ تـتـوقـعـ مـنـيـ أـنـ تـتـصـرـفـ عـلـىـ نـحـوـ طـبـبـ، أـلـيـسـ كـذـلـكـ؟ حـسـنـاـ، لـنـ أـرـيـهـاـ إـلـاـ أـمـرـاـ أوـ أـمـرـيـنـ، فـأـنـاـ مـمـثـلـةـ عـظـيمـةـ، وـأـعـرـفـ كـيـفـ أـجـذـبـ الـانتـباـهـ. وـإـذـاـ مـاـ شـعـرـتـ بـالـإـحـرـاجـ، فـسـتـشـتـرـيـ هـدـوـئـيـ بـقـطـعـةـ مـنـ الـحـلـوـيـ عـلـىـ كـلـ حـالـ. سـأـحـصـلـ عـلـىـ مـاـ أـرـيدـ. هـمـمـ، أـعـتـقـدـ أـنـيـ الـيـوـمـ أـرـيدـ..".

لـقـدـ كـنـتـ أـنـتـ وـشـرـيكـ مـنـ تـرـكـ تـلـكـ الـقـوـةـ تـصـلـ إـلـىـ الـحدـ الـذـيـ وـصـلـتـ إـلـيـهـ فـيـ مـنـزـلـكـماـ الـيـوـمـ. فـأـنـتـمـاـ مـنـ تـؤـجـانـ صـرـاعـ الـقـوـةـ لـدـىـ طـفـلـكـماـ عـنـدـمـاـ تـفـشـلـانـ فـيـ مـارـسـةـ سـلـطـتـكـماـ الـأـبـوـيـةـ. وـإـنـ كـانـتـ طـفـلتـكـ تـتـصـرـفـ بـطـرـيـقـةـ مـاـ فـيـ المـدـرـسـةـ وـفـيـ مـنـزـلـ الـجـدـةـ وـمـعـ أـصـدـقـائـهـ، وـبـطـرـيـقـةـ مـخـلـفـةـ فـيـ مـنـزـلـكـ، فـهـذـاـ دـلـيـلـ أـكـبـرـ. إـنـكـمـاـ تـحاـولـانـ أـكـثـرـ مـنـ الـلـازـمـ أـنـ تـكـوـنـاـ آـبـاءـ صـالـحـينـ. وـأـيـتـهـاـ الـأـمـهـاـتـ، وـأـنـاـ هـنـاـ أـوـجـهـ حـدـيـثـيـ إـلـيـكـنـ، لـأـنـ الـأـمـهـاـتـ عـمـومـاـ يـرـدـنـ أـنـ يـكـونـ أـطـفـالـهـنـ سـعـداـءـ، وـيـفـعـلـنـ كـلـ مـاـ فـيـ وـسـعـهـنـ لـتـسـيرـ حـيـاةـ أـطـفـالـهـنـ بـكـلـ سـلـاسـةـ. أـمـاـ الـآـبـاءـ فـيـمـيـلـوـنـ إـلـىـ التـغـافـلـ، أـوـ إـلـىـ أـنـ يـهـزـوـاـ أـكـتـافـهـمـ، وـيـمـضـوـاـ فـيـ قـرـاءـةـ الـجـرـيـدةـ الـتـيـ بـأـيـدـيـهـمـ مـتـىـ اـنـتـابـتـ الـطـفـلـ نـوبـةـ مـنـ الـغـضـبـ (ـمـاـ لـمـ يـكـنـ الـأـبـ ذـاـتـهـ قـدـ جـاءـ مـنـ بـيـنـةـ مـحـطـمـةـ، فـحـيـنـهـاـ قـدـ يـعـتـرـيـهـ الـغـضـبـ هـوـ الـأـخـرـ، وـيـدـخـلـ فـيـ صـرـاعـ مـعـ الـطـفـلـ).

لوـ كـانـ الـطـفـلـ القـوـيـ هوـ مـوـلـودـكـ الثـانـيـ، فـأـحـدـ الـعـوـاـمـلـ الـتـيـ تـؤـدـيـ إـلـىـ هـذـاـ السـيـنـارـيـوـ هوـ مـوـلـودـكـ الـأـوـلـ. وـمـنـ الـمـرـجـحـ أـنـ يـكـونـ طـفـلـ الـبـكـرـ رـصـيـنـاـ هـادـئـاـ، حـلـوـ الـمـعـشـ، فـيـكـونـ هـذـاـ بـمـنـزـلـةـ الشـرـارـةـ الـتـيـ وـعـلـىـ نـحـوـ تـلـقـائـيـ تـؤـدـيـ إـلـىـ إـخـرـاجـ "أـتـيـلاـ الـهـوـنـيـ"ـ فـيـ الـمـرـكـزـ الـلـاحـقـ لـهـ (ـمـوـلـودـ الثـانـيـ). وـيـكـونـ لـسـانـ حـالـ الـمـوـلـودـ الثـانـيـ: "إـذـاـ كـانـ دـورـ الـطـفـلـ الصـالـحـ فـيـ هـذـهـ الـعـائـلـةـ قـدـ ضـاعـ مـنـيـ، فـلـأـلـعـبـ إـذـنـ دـورـ الـطـفـلـ الـأـخـرـ".

نعلم -نحن الآباء- أطفالنا أموراً خاطئة دون قصد أو دراية. كهذا الأب الذي يأمر ابنه ألا يلعب عند حافة الغابة، لأنها موحلة، وبعد عشر دقائق، بعد أن يلح عليه ابنه في اللعب هناك، فيشعر بالإرهاق، ويستسلم قائلاً: "حسناً، اذهب، ولكن اخلع حذاءك الجديد".

فما الذي جرى هنا؟

في بداية الأمر، قال الأب للطفل: "لا، لن تلعب في الغابة، فهي موحلة للغاية".

وبعد عشر دقائق، تعب الأب من إلجاج ابنه وعويله. ألا تظن أن الطفل كان يعرف أن إلحاحه سيثمر؟ لقد عرف أباه. لعل أباه قد جاءه من يزوره في المنزل، وهو محرج من تصرفات ابنه، ويريد أن يتخلص منه لبعض دقائق، وربما يكون قد عانى من أسبوع مرهق في العمل، ويريد أن يحصل على بعض الاسترخاء في كرسيه المريح، وهو يتنقل بين قنوات التلفاز. أياً كان الأمر، فقد استسلم الأب.

فما نتيجة ذلك؟ لا يتسرى للطفل أن يلعب حيث أراد وحسب، بل يراه أبوه هناك، وهو ينتعل حذاءه الجديد، ثم لا يفعل شيئاً حيال ذلك. وبعد يومين، عندما يشكو الطفل من أن حذاءه متتسخ، ولا يمكنه أن ينتعله إلى المدرسة، ماذا يفعل الأب؟

"حسناً بني، فلنذهب إلى محل الملابس الرياضية غداً لنشتري لك زوجين جديدين".

لست في حاجة إلى أن تكون حاصلاً على الدكتوراه في الفلسفة لتعرف نتيجة ذلك. لقد تعلم الطفل أنه إن تذمر وألح، فإن أباه سيسسلم. ولن يحصل على ما أراده كما أراده فحسب، بل سيحصل أيضاً على المزيد... هذا الحذاء الجديد.

اختبار مفاجئ: من الذي صنع هذا الطفل القوي؟ وكيف اكتسب الطفل هذه القوة كلها في وقت قصير؟

الإجابة: إنه الأب الذي تردد، ولم تتتسق أقواله مع أفعاله. فقد قال: “لا”， ولكنها غير رأيه ووافق. ومن خلال التجربة والخطأ، تعلم الطفل أنه إن استمر في ممارسة سلوك غير مرغوب فيه لفترة طويلة بشكل كافٍ، فسيتحقق هدفه في الحصول على ما يريد؛ الحذاء الجديد. عندما تفلح تصرفات الطفل الساعية نحو السيطرة في مرة من المرات، فإن هذا الطفل يكتسب قوة يستعين بها في المرات القادمة.

وبعبارة أخرى: فنحن الآباء، نحصد ما نزرعه.

إن كان لديك طفل يميل لأن يكون طفلاً قوياً، فأنت في حاجة إلى: (1) أن تعني أن الطفل يخدعك، و(2) أن تدرك كيف يخدعك هذا الطفل.

إن كان لديك طفل قويٌّ، فأنت من علمته أن يكون على هذا الحال.

ولكن هناك خبر سار؛ إن كان طفلك قد تعلم أن يتصرف على هذا النحو، فمن الممكن أن يتعلم العكس.

## قوى أم طبيعية؟

هناك ما أود أن ألفت انتباهم إلية. أحياناً ما يُحمل الآباء تصرفات الأبناء أكثر مما تحتمل، فيأخذون تلك التصرفات على محمل شخصيٍّ، في حين أنها ليست في الواقع سوى تصرفات طبيعية لمن كان في سنّه ومرحلة، كابنك ذي الستة عشر شهراً -مثلاً- عندما يسحب كتاباً من مكتبتك، فيقعه على الأرض، أو ذي الثمانية عشر شهراً الذي قد تعلم لتوه أن يقف على أطراف أصابعه إذا ما تناول إحدى السيارات اللعبة من مجموعة أخيه الأكبر، وتهشمها على الأرض.

ما رد فعلك الأولى في تلك الحالات؟ “لا، لا.. لا تفعل هذا. علينا أن نكون أكثر حرصاً مع الكتب”， أو ”هذه سيارات أخيك، إياك أن تلمسها!“.

ولكن لا يُكُف طفلك عن تصرفه، ويكرره، فلمَّا إنه لا يُظهر إلا سلوكاً ملائماً لتطوره، فالأطفال بين الشهر السادس عشر والثامن عشر يحبون ”السبب والنتيجة“، ولا فارق عندهم إذا ما كان ما يلقون به على الأرض شيئاً تافهاً أم غرضاً ثميناً، فهم في جميع الأحوال، سيستمتعون بإسقاطه على الأرض وسماع صوت تهشمه. إن الأمر ماتع بالنسبة إليهم. أليس مثيراً في

سنّهم هذه أن يروا ما يحدث عندما توقع شيئاً على الأرض؟ إنها خبرة جديدة يكتسبونها، ملائنة بالمشاهد والأصوات المبهجة، خبرة ماتعة حقاً.

لذا فعندما تقول لطفل في مثل هذا العمر: "لا تفعل هذا!!"، أتعرف ما الذي يدور برأسه؟

"ما خطب والدي هذين؟ فأنا لا أفعل إلا ما يفترض بي أن أفعله في مثل تلك السن!".

لكن تسعه وتسعين بالمئة من الآباء يحملون تصرفات أطفالهم أكثر مما تحتمل، ويحسبون أن طفلكم يتعدى عصيان أوامرهم، فيبالغون في ردة فعلهم. يحسبون أن الطفل يتحدى سلطتهم، في حين أنه لا يفعل أي شيء من هذا، وكل ما في الأمر أنه يتصرف طبيعيًا لمن كان في سنه.

عندما يدير ابنك المراهق ظهره لك، وينظر من نافذة السيارة وأنتم في طريق العودة من المدرسة، فعليك أن تتذكر أنه يحاول استيعاب ما حدث في أثناء يومه الدراسي. قد لا يكون مستعداً للحديث، فإن استثرته ليقول شيئاً، فلن تكون النتيجة جيدة.

وبمجرد أن تبالغ في ردة فعلك تجاه أمر بسيط، فإنك تبدأ في صناعة طفل قويٌّ، لأنك أنت نفسك تتصرف بقوة مبالغ فيها في هذا الموقف.

في المثال السابق، لم يكن عليك إلا أن تحمل الطفل على ذراعيك، وتبعده عن مسرح الأحداث. والأفضل من هذا أن تزيل ما يمكن أن ينكسر من الأرفف التي يستطيع طفلك أن يصل إليها. فلا شك أن هذا أفضل للجميع.

ولماذا لا تنتظر قليلاً حتى يتكلم ابنك المراهق من تلقاء نفسه؟ إن السكوت من ذهب حقاً. وفيما بعد، اصنع بعض رقائق الشوكولاتة (أو أحضر بعضها جاهزة من المتجر إن لم تكن تعرف كيف تصنعها) أو حضر بعض الفشار، وراقب ابنك، وهو يأتي إليك وهو يتشمم ما تعدد. إن للطعام أثراً رائعاً في جعل المراهقين يتحدثون. ولو كنت صبوراً، فستعرف الكثير عن يومه؛ أكثر بكثير مما لو ألححت عليه طلباً للمعلومات، الذي قد يجعله يغلق فمه، فلا تزال منه شيئاً.

لا تخلط بين التصرف الطبيعي والتصرف الناشئ عن السعي خلف القوة، فالتصرف لا يصبح على هذا النحو الأخير إلا إذا اخترت أن تبالغ في ردة فعلك.

## مصدر قوة مفاجئ:

من أين يحصل طفلك القوي على قوته؟ ما هو مصدر قوته؟  
الديك طفل يستمد قوته من الطاقة الشمسية، أو من بطارية ما، أم أن من يمدء بقوته هو أبوه؟

عندما أسأل الآباء في إحدى الندوات كم منكم لديه طفل قوي في بيته، أجده ما يقرب من خمسة وتسعين في المائة منهم قد رفع يده، فلا شك في الأمر لدى أيّ منهم. أما الخمسة بالمائة المتبقون فهم كاذبون، ففي كل عائلة طفل قوي.

ثم أسأل: «كم منكم يقر بأن أحد الأبوين في المنزل شخص قوي؟»، فتنخفض الأيدي، وتعلو البسمة الوجوه. وهنا تتجلى الحقيقة... إن الأطفال يكتسبون قوتهم من مكانٍ ما.

يمكن أن تأتي القوة من عديد من المصادر، ولكنها تبدأ منك، أيها الوالد. أنت السبب الذي يسهل لطفلك أن يتزعز نحو القوة. وأنت الآن بصدّر أن تصبح عضواً في فرقة المفرقعات، تُستدعى لإبطال قنبلة. أي حركة خاطئة، و... بوم! سيحدث انفجار آخر؛ نوبة قوة.. انهيار.. موقف محرج أمام جيرانك أو رئيسك في العمل. إن وظيفتنا في هذا الكتاب هي أن نعرف كيف يمكننا أن نُبِطِّل القنبلة (سلوك هذا الطفل) قبل أن تنفجر، ويعني هذا أن نعود ونراجع تاريخ الطفل حتى نتبين كيف اكتسب هذا السلوك القوي في الأساس.

لنفترض أن طفلاً في الرابعة من عمره يجلس في كرسيه، رافضاً أن يأكل، يحني ظهره، ويذمر، ثم ينسل من كرسيه إلى الأرض صارخاً. يُعنف بعض الآباء الطفل: «عد إلى كرسيك الآن، وتناول عشاءك!»، هذا هو الأب السلطوي، الذي لا يتخلى عن حاجته إلى فرض النظام (لسان حاله: نحن نتناول العشاء في الساعة كذا، ويجب عليك أن تأكل، وإلا...)، ولا عن حاجته إلى السلطة («أنا أبوك، وأنا صاحب الكلمة هنا»). أما الأب المتساهل، فسيترك الطفل

يذهب، ثم يشعر بالذنب بعد نصف ساعة، لأن الطفل لم يأكل (ولسان حاله هذه المرة يقول: «كم هو مسكون ولدي، سيموت من الجوع. ساعطيه قليلاً من الطعام»). ثم يفرغ لإعداد طعام خاص لابنه المسكين.

والابن فائز في كلتا الحالتين، فقد خرج من الكرسي، ويوشك على الحصول على ما يريد. ما الذي يعنيه صراخ أبيه فيه، فهو لا يريد هذا العشاء البارد على أي حال. إنه لا يريد سوى أن يلعب. وإن استطاع أن يتحمل قليلاً من الصراخ ليحصل على ما يريد، فما الضرر؟ إنه يعرف أن أمّه ستشعر بتأنيب الضمير، وتعد له طعامه المفضل فيما بعد، على أي حال.

ولكن إن جرت الأمور بدلاً من ذلك على هذا النحو:

”يبدو أنك لا تود أن تتناول طعامك الآن. إن لم تكن جائعاً، فليس هناك مشكلة. ولكن عليك أن تجلس معنا بهدوء ريثما ننتهي من تناول الطعام، فنحن عائلة، ونأكل معاً.“.

هنا تُحبط خطة الصغير، ويُسعى للتخلص من الكرسي واللعب، ويحدث ذلك من خلال كلام الأب الهدائى، والمنطقىٌّ. لا شك أن الصغير قد يعترض ويثير شيئاً من الضجة متى فعل أبوه أو أمّه هذا، ولكن كم مرة؟ إن الأطفال يجربون على كل حال، وسيظلون يجربون حيلاً مختلفة حتى تفلح إحداها، ولكن الأم تقول بهدوء: ”في هذه العائلة، نتناول العشاء معاً على هذه المائدة. ألا ترى أباك يجلس في كرسيه، وأختك الكبرى في كرسيها، وهذا أناذا أمامك في كرسٍ. وكلنا نتناول العشاء معاً.“. سيرفض الأطفال الأقواء أن يأكلوا أحياناً، ولكن إن اتصلت بأحد أطباء الأطفال وسألته: ”هل يموت الطفل جوعاً إن فوت وجبة؟“، فالإجابة ”لا“، ولكن طفلك حينئذ سيتعلم درساً مهماً بخصوصك، وهو أنك لا تتراجع.

ولذا فعندما يجوع بوفورد الصغير لاحقاً، ويطلب منك أن تُعدي له وجبته المفضلة، فماذا تفعلين كأم؟ ”طبعاً حبيبي، لِكَمْ سيسعدني أن أطهو لك ما تحب، إذا ما ظللت جائعاً بعد أن تتناول عشاءك!“، فيعود الطفل إلى كرسيه، ويُقدم له نفس الطبق من الطعام الذي رفض أن يتناوله في العشاء، ولا تتراجع الأم أو تقدم له وجبته المفضلة إلا بعد أن ينتهي العشاء تماماً، وحينها سيكون الصغير قد شبع تماماً.

والآن، ماذا تعلم هذا الطفل؟ ”فلاجلس مع هؤلاء الرفاق، وأقضى معهم بعض الوقت ما دمت سأتناول هذا العشاء نفسه لاحقاً.“

رأيت كيف نجح الأمر؟

عندما تتصرف كأب سلطويٌ أو متسامح، فإن الفوضى دائمًا ما تأتي بعد تصرفك. وهكذا السبب: الأطفال لديهم ترسانة من الاستراتيجيات.

فلتكن إذن أباً ذكيًا، ولا تقع ضحية لاستراتيجياتهم. إن هدفك هو أن تعلم طفلك كيف يتعامل مع الحياة دون اللجوء إلى لعبة القوة، أما إن استخدمت القوة، فإنك لا تطلب من طفلك سوى أن يصبح قويًا بدوره. وهذه صفقة خاسرة لكلٍّ منكمَا.

من هو طفلك القويُّ؟

كما قلت من قبل، تأتي القوة في أشكال متعددة.

قد يكون طفلك القويُّ هو ابنك البكر، الذي يتصرف بخجل زائد في كل موقف جديد، لأنه لا يعرف ما الذي يُنتَظر منه.

ولتفكر في الأمر على هذا النحو. إذا ما أردت أن تسبح في بحيرة لم تذهب إليها من قبل، هل تقفز فيها بكلتا قدميك؟ لا، قد تتحسس طريقك حتى تعرف أعمق بقعة فيها، أو تسأل شخصاً عن عمقها، أو نحوِ من ذلك، ولكن ما إن تعرف التفاصيل، حتى تقفز دون خوف، إن كنت سباحاً بالطبع.

غالباً ما يتصرف الأشخاص الأقوياء بحرص عندما لا يعرفون القواعد أو التوقعات، ولكن ما إن يعرفوها حتى ينطلقوا. ورغم ذلك، وإلى أن يتأكروا، فسيختبرون الماء، لأنهم في حاجة إلى أن يكونوا على صواب. قد يبدون سميكي الجلد (لا يهتمون بالنقد)، ولكنهم ليسوا كذلك، فهم في الواقع تعوزهم الثقة، ولا يحبون أن يظهروا في مظهر الحمقى.

وقد يكون طفلك القويُّ هو بنتك الوسطى، التي عقدت عزمها أن لا معنى لحياتها ما لم تكن هي المتحكمَة في زمام الأمور. قد تكون أيضاً مماطلة، لا تتقدم إلى الأمام ما لم تتيقن من أنها ستحصل على النتيجة التي تحتاج إليها.

وكذلك قد يكون طفلك القويُّ هو صغير العائلة، الذي لا يعي معنى كلمة (العاقبة)، لأنه لم يسبق له أن واجه شيئاً كهذا، فدائماً ما أفلت من جريرة أفعاله، لأنَّه الصغير اللطيف.

لقد أوقع بك!

أريد أن أسألك سؤالاً مهماً: هل تجد نفسك في نفس الجدال مع ابنك أو بنتك كل يوم؟ أجب بصدق. إن كنت صادقاً، فستجيب بـ ”نعم“. ودعني أشرح لك كيف يعمل الأمر.

السيناريو الأول:

تببدأ بلفت نظر ابنك إلى أن الوقت يمر، وتقول له إنه سيتأخر على المدرسة. فماذا يقول؟

”لم أسمع المنبه“، أو ”إني متعب جداً“، أو ”لا أريد أن أذهب إلى المدرسة اليوم“، دائماً ما يكون هناك مبرر ما.

فماذا تفعل بعد هذا؟

تأمِّله أن ينهض من فراشه على الفور، لأنَّ الحافلة في طريقها إليه. ماذا يحدث بعد هذا؟

يتجاهلك، ويبيقى في فراشه. وبعد خمس دقائق، تذهب إلى غرفته وتصبح فيه كي ينهض. وأخيراً يفعل، ولكن في تلك اللحظة تكون الحافلة قد رحلت، وعليك الآن أن تُقله إلى مدرسته.

ما الذي فعلته هنا؟ أتعبت قلبك، ورفعت ضغطك، وأربكت جدولك اليومي. وما الذي فعل ابنك؟ حصل على ما أراد؛ بضع دقائق في الفراش، إضافة إلى انتباهك / اهتمامك، حتى ولو كان بشكل سلبيٍّ.

إن الشجار فعل ثنائيٌ، فلا شجار دون شخصين، فكُفُّ من طرفك عن إشعال الصراع، وافعل ما يلي، دون أي إنذار أو تهديد، بل ولا تخبر الطفل أنك قد شرعت في تنفيذ خطتك. احتفظ بهذا السر لنفسك.

## السيناريو الأول (معاداً):

عندما يرن المنبه، ويتجاهله الطفل، لا تفعلي شيئاً، لا تذكريه، ولا تذهببي إلى غرفته، ولا تُغريه برائحة الإفطار الشهيّ لتشجعيه على نهوضه من الفراش، بل تناولي كتاباً، وأعدي لك بعض القهوة، وانتظري ما يحدث. ابتسمي عندما ترين حافلة المدرسة تتوقف لدقائق، ثم ابتسمي وهي تمضي في طريقها.

وبعد عشرين دقيقة، سيأتي ابنك مهرولاً يتعرّض في خطواته، والنوم في عينيه، بملابس نومه، ويقول بنبرة غاضبة: “إنها الثامنة وخمسون دقيقة يا أمي!“.

فردي عليه بهدوء: “فماذا؟“.

”لم لم توقظني؟ ستأخر على المدرسة!“.

”أعتقد أنك ستأخر حقاً“، قولي هذا، وعودي إلى قراءة كتابك.

”أمي! (يقولها بقوة متزايدة، مضيفاً) إن لدى اختباراً في التاسعة!“.

”فعليك إذن أن تشرح سبب تأخرك لمعلمك“، وعودي إلى كتابك، لأن الأمر لا يعنيك.

”يجب أن نذهب الآن. لا بد أن تُقليني إلى المدرسة“، يقول هذا وقد أحضر حقيقته، وموزة يفطر عليها.

”أكاد أفرغ من القراءة. انتظر دقيقة أو اثنتين“، وواصلت القراءة.

يقف ابنك وقد تمكنت منه الحيرة. ليس هذا فحسب، بل يطلب منك أن تكتبي ملاحظة لمدرسه، ويطلب منك أن تقولي فيها: ”قولي إني كنت عند الطبيب، أو أي شيء، حتى لا أعقّب على تأخري.“.

فارفضي على الفور، وقولي: ”لا، عليك أنت أن تفسر سبب تأخرك!“.

سيحدق إليك مصدوماً: ”لا يمكن أن تكوني جادة!“.

فتبتسمين: ”بل أنا جادة تماماً.“.

وأخيراً توصلينه إلى بوابة المدرسة، وتقولين: ”أتمنى لك يوماً طيباً. أراك عند عودتك!“.

وتمضيَن في سبيلك. والآن اذهب إلى «ستاربكس»، وكافئي نفسك بكوكب كبير من «اللاتيه»، واضحكِي كما شئتِ.

### السيناريو الثاني:

يجلس «جاريد»، طفل الصف الثالث إلى مائدة الإفطار، ولا يزال مرتدِاً ثياب النوم، ويظل يقلب طبق الحبوب لسبعين دقائق. والآن قد حان وقت الذهاب إلى المدرسة. وهو دائمًا ما يتلَّكع عندما تهُمُّين بالخروج من المنزل، وهو ما يكاد يفضي بك إلى الجنون. (لا تنسي أن المماطلة من التصرفات القوية).  
ما الذي تقولينه في هذا الموقف عادةً؟

«أسرع يا جاريد. عليك أن تغير ثيابك على الفور وإنْ ستتأخر على المدرسة. سنغادر في خلال دقيقتين».

وعندما يستمر في التلَّكع، تقتادينه إلى غرفته كالدجاجة وـ«تساعدينه» (إذ إنه يعجز عن ارتداء ملابسه بنفسه). وما أن تخرجي من المنزل حتى تكوني قد تعبيتِ، وتصبِّبيتِ عرقًا، وفي حاجة إلى الاستحمام مرة أخرى. ولكن ماذا إن -بدلًا مما فعلتِ الآن- فعلتِ الأمر على النحو التالي؟

### السيناريو الثاني (معدًا):

يجلس «جاريد» مرتدِاً ثياب النوم إلى مائدة الإفطار، مقلبًا طبق الحبوب. تنتظرين إلى الساعة، فإذا هي الثامنة وخمس وعشرون دقيقة.

لقد استعددتِ لهذه اللحظة منذ كانت الساعة السادسة والنصف، عندما استيقظتِ وفي عينيك تلك اللمعة، فأعددت له طعامه، ووضعيته في صندوق الطعام، وحققته، وثيابًا داخلية نظيفة، وبنطاله الجينز، وقميصه، وحذاءه، ووضعيتِ كل هذا في سيارتِك.

«جاريد، لديك دقيقتان قبل أن تلقاني في السيارة».

يستمر في تقليب حبوبه، ولا يُعيِّركِ أي انتباه.

وبعد دقيقتين، تتناولين حقيبتك، ومفاتيح سيارتِك، وتفتحين باب الجراج: «حان وقت الذهاب».

ينظر إليك «جاريد»، ويرتبك: «لكني لم أضع ملابسي علىَّ بعد!».

”حقيبتك وملابسك في السيارة بالفعل“.

ينحدم الصغير، ويتبعد إلى السيارة، ويدلف إليها. وعندما تكونين على بُعد بضعة أمتار من المدرسة، يقول لكِ متعجباً: ”إنِي لم أزل في ثياب النوم يا أمِي، لا يمكن أن أذهب إلى المدرسة على هذا النحو!“.

فتردين عليه بهدوء: ”حسناً، سأوقف السيارة في هذا الموضع، ولديك دقة تغيير فيها ثيابك. وإن لم تفعل، فأعتقد أن عليك أن تذهب إلى المدرسة اليوم بثياب النوم“.

ثم توقفين سيارتكم في المكان الذي حددتِه منذ ساعات، وتعددين ستين ثانية، وطفلك يتلوى وهو يحاول أن يرتدِي ملابسه بأسرع ما يمكن (إن بإمكانه حقاً أن يرتدِي ملابسه دون مساعدة من أحد!).

وتحدث المعجزة الكبرى، فعندما تصلين إلى المدرسة بعد دقيقتين، فإذا بالطفل قد ارتدَ ملابسه، وإن بدت الصدمة جلية على ملامحه. بل تصير الأمور أفضل.

تقودين سيارتكم، وعلى وجهك الابتسامة، وتخططين لما ستفعلينه لاحقاً؛ جعله يلبِس ملابسه عندما يعود إلى المنزل، ويجهّز حقيبته بنفسه، ولكنكِ على الدرب الصحيح، لأنك قد أدركِت شيئاً مهماً؛ لا يمكنكِ أن تتراجعِي أمام هذا الطفل أبداً، إذا أردتِ أن تحققي أهدافك. عليكِ أن تتمسكي بموقفك.

### السيناريو الثالث:

تجذب إيميلي الصغيرة ثوبك، وتُخفي وجهها خلف ظهرك كلما التقت إنساناً لا تعرفه، فماذا تفعلين عادة؟

”إيميلي، ماذا نقول عندما نلتقي شخصاً يا حلوتي؟ ألا تحبين السيدة يعقوب؟“.

لا يخرج الطفل من ورائك.

وبإيماءة ضاحكة توجهينها إلى السيدة، تقولين: ”عفواً، فهي تتصرف بشيءٍ من الخجل اليوم“.

إنك تلتسمين الأعذار للطفل. ترحل السيدة، وتخرج إيميلي من ورائك. ما الذي تعلمته إيميلي؟ تعلمت أنك ستتدخلين لصالحها. "هذا أمر رائع حقاً، فأنا أحب ملمس ثيابها، فهي كبطانتي الجميلة".

ستستمر إيميلي في التحكم في منزلك، وستزداد قوّة كل مرّة تُخرجينها من المواقف التي لا تحب أن تكون بها.

### السيناريو الثالث (معداً):

تجذب إيميلي الصغيرة ثوبك، وتُخفي وجهها خلف ظهرك عندما تذهبين لزيارة السيدة يعقوب. تأخذينها برفق من يدها، وتجعلينها أمامك، وتحكمين كلتا يديك على كتفيها.

"مدام يعقوب، هذه ابنتي إيميلي".

تحاول الطفلة أن تتملص من يديك، وأن تعود إلى مخبئها خلفك، ولكنك تظللين محكمة يديك على كتفيها، وتبقينها أمامك، وتواصلين الحديث مع مدام يعقوب.

إن حاولت أن تفلت من يديك، تعديها برفق أمامك، وتواصلين الحديث. تغمزين للسيدة التي لن تجد صعوبة في إدراك أنك تحاولين أن تعلمي ابنتك درساً قيماً، فتجاريكي.

وتقولين: "مدام يعقوب، أعرف أن لديك تشكيلة رائعة من الدُّمى، جلبتها من كل مكان في العالم. لَكَمْ أحب أن تُرى هذه الدُّمى لإيميلي ذات يوم إن أحببْتِ هذا، فهي تحب العرائس حباً جماً".

الآن قد أثريت اهتمام طفلك، فنسيت أنها موقوفة أمامك عاجزة عن التحرك، وتقول محدثة السيدة:

"أديك عرائس حقاً؟ ما شكلها؟".

وفجأة تتوقف عن محاولتها للتملص من يديك، وتتحرك بعيداً عنك، تجاه السيدة يعقوب، فتبتسمين. يا لك من أم ذكية!

بدلاً من السماح لطفلك القوية بأن تصعد من حدة تصرفها، ترينها فائدة عدم الاستمرار في مثل هذا السلوك. ولقد انطلت عليها الحيلة، كما خططت.

ويمكنكِ أن تشكري السيدة لاحقاً على مجاراتك فيما فعلته.  
والآن جربي الأمر.

#### السيناريو الرابع:

يأبى ابنك أن يستحم، بل وفاحت رائحته، ولا تريدين أن يعلق أحد في المدرسة أو في أي مكان آخر على هذا الأمر.

#### السيناريو الرابع، معاذاً (ل الطفل في الرابعة أو الخامسة):

ماذا ستفعل؟ أعمل عقلك...

#### السيناريو الرابع، معاذاً (في حالة مراهق):

ماذا ستفعل؟ أعمل عقلك...

والآن سأخبركم ماذا كنت سأفعل. كنت لأجبر كليهما على الأمر، فالنظافة إحدى أساسيات الحياة، وهذا مفهوم بالغ الأهمية، يجب تعليمه للأطفال، خاصةً الذكور، وإلا لارتدوا نفس الملابس الداخلية ل أسبوع كامل، ثم قلبوها وارتدوها ل أسبوع آخر، ولن يعنيهم الأمر في شيء، ما لم يكونوا أطفالاً أقوىاء يعرفون كم يزعجكِ الأمر، وحينئذ سيبذلون قصارى جهدهم ليعرضوا على الاستحمام، أو ارتداء الملابس النظيفة كمسألة مبدأ.

لو أن الطفل ذا الأربع والخمس سنين يأبى أن يستحم من تلقاء نفسه، فحمميه بالقوة. اغسلني وجهه غسلاً دقيقاً، حتى يقول: "حسناً.. حسناً".  
سأغسله أنا، نعم.. لقد توقفت عن تحميشه عندما تخطى ثلا ثلاثة سنوات ليتعلم أهمية الخصوصية، ولكن كل شيء مسموح الآن بما أنه يأبى الاستحمام.

ويمكنكِ أن تجعلي العملية أكثر قبولاً لديه بأن تعطيه بعض اللعب. أعرف فتاة كانت تكره الاستحمام حتى شرعت جدتتها في وضع الملاعق والعلب البلاستيكية في ماء حمامها، فراحت الفتاة تلهو في الحمام لساعات.

أما في حالة المراهق الذي يأبى أن يستحم، فينطبق هذا المبدأ البسيط: "لا يحدث الأمر التالي، ما لم يتم الأمر الأول"، ويعني هذا أنه متى سار معك إلى أحد أنشطته التي ستُقليلنه إلى مكانها، فشمت رائحته عند الباب، فعليك أن تقولي شيئاً من هذا القبيل: "أرى أنك لست مستعداً للذهاب، ولا للخروج

من المنزل، فهذا واضح من رائحة نفسك وجسدك!“، وعندما سينظر إليك مصدوماً، ويقول لك إنه سيتأخر، إلا أن التالي لا يحدث ما لم يتم الأول. فتقولين بهدوء: “لَكَم يسعدني أن أُفكك إلى هناك، متى أصبحت مستعداً“. قد يخبر المراهق مدى جديتك بقوله: ”حسناً، سأستحمل بمجرد عودتي إلى المنزل“.

فإياكِ أن تتنازل لي عن قرارك حتى يعرف المراهق أنكِ لن تبرحي مكانك ما لم يشعر أنفك بالرضا. وأؤكد لكِ أنه سيطرق الأرض غضباً، بل قد يصرخ، ولا شك أنه سيجادلك أشد المجادلة، ولكن تماسكي، وإلا فلن تنجزي أي شيء. وعندما يخرج من الحمام، أعملي أنفك، فإن رضي، فاذبهي به حيث يريد، وإلا فقولي له: ”لقد كان حمامك سريعاً للغاية. جرب مرة أخرى!“.

وأراهنك أنه سيكون في المرة القادمة مستعداً، طيب الرائحة. أعتقد في صحة الحكمة التي تقول: ”لا أحد يبعث مع الأم!“، ولكنني أضيف: ”ما لم تسمح الأم بهذا في المقام الأول“.

إنه لمن الشاق دائمًا أن نخلع تلك النظارة الوردية التي ننظر بها إلى أطفالنا، وندقق في النظر. ولكن فعل هذا لا يفيد الطفل فحسب، بل يفيدك، ويفيد عائلتك، تماماً كما يفيد العالم الذي سيعيش فيه هذا الطفل سائر حياته. إن الحقيقة قد تؤلم لبعض الوقت، ولكن عليك أن تتذكر ما قلته آنفًا: ”عندما يتأرجح طفلك في الهواء كالسمكة التي تريد أن تتملص من الخطاف، فاعمل أنك على المسار الصحيح لتحويل تصرفاته القوية إلى سلوكيات إيجابية.“.

### أفكار قوية ناجحة:

تعبُّت من المعارك اليومية التي أخوضها مع ابنتي اعترافاً على ما ترتديه إلى المدرسة، دون جدوى. فهي تُصر على ارتداء قمصان باللغة الضيق، وتنورات في غاية القصر، وأنا أصر على ألا ترتديها، فتحدث ضجة لا حدود لها، ونغضب من بعضنا بعضاً أشد الغضب. ولقد كان من المستحيل أن نتسوق معاً.

و قبل أن تبدأ أول سنة لها في المدرسة الثانوية، قرأت كتاب ”Have A New Teenager By Friday“ (ليكن لديك ابن مراهق جديد في غضون أسبوع)، أعطيتها بعض المال لتنفقه على ملابس المدرسة، وأنزلتها عند محل الملابس مع أصدقائها، ثم عدت إليها بعد أربع ساعات. لم أتفوه بكلمة بخصوص ما اشتريته، بل لم أطلب منها أن تُريني أيّاً منه.

وفي أول يوم مدرسيٌّ، خرجت من المنزل ترتدي شيئاً ما كنت لأريد أن تضعه عليها أبداً، ولكنني أطبقت فمي على أي حال. مالم تعلمه وسط فرحتها باختيار كل ملابسها بنفسها هو أن مدروستها الجديدة تضع قيوداً على الذي المدرسيٌّ. ولذا بعد ساعة من ذهابها، جاءني اتصال من المدرسة، يطلبون مني أن أحضر لأخذها، لأنها لا ترتدي ملابس ملائمة، وأبقوها في غرفة المدير حتى ذهبت إليها.

لم أنطق بكلمة، وإنما أقللتها إلى المنزل لتغير ملابسها. لم أقل لها ما الذي عليها أن ترتديه، ولكنها عادت إلى السيارة، وعليها البنطال الجينز الخاص بالعام الماضي، والقميص "البولو" الذي كنت قد جعلتها تشتريه.

وفي ذلك اليوم، حدث ما أسميه أنت "الواقع خير ضابط للسلوك". لم يتسعن عليَّ أن أقول أي شيء، فقد كان الإحراج الحاصل لها في المدرسة كافياً. فكانت، في كل يوم بعد ذلك اليوم، ترتدي الثياب الموافقة للشروط المدرسية. وظلت خزانتها طيلة العام ذات خيارات محدودة، فقد أنفقت بالفعل ما خصصناه للملابس، وقلنا إنه لن يكون هناك غيره حتى العام التالي، ولكنها تعلمت درساً مهماً.

ستبدأ ابنتي عامها الثاني قريباً، ومنذ بضعة أيام أنت إلى قائلة: "أمي، أتمانعن في الذهاب معى لشراء الملابس؟"، ليس هذا وحسب، بل عرضت عليَّ أن تدخر بعض المال لتشتري لنا غداء. هكذا تسير الأمور! إن نظريتك "الواقع خير ضابط للسلوك" ناجحة حقاً في العالم الحقيقي، فقد نجحت في عالمي، ولا شك في هذا.

فرانسيس، مينيوزتا

## نقاط القوة:

- عليك أن تدرك الفارق بين السلوك الطبيعي المتفق مع المرحلة العمرية والسلوك القوي.
- لا تدفع طفلك نحو السلوك الخاطئ.
- ضع استراتيجية لإبطال قنبلة القوة في صراعات القوة اليومية.



## لَمْ يُسِيِّءُ الْأَطْفَالُ التَّصْرِفَ؟

**لَا تَنْخُدُ بِهَذِهِ الْأَوْجَهِ الْمَلَائِكِيَّةِ، فَلَا طَفَالٌ لِكَ الْأَذْكِيَاءُ  
أَهْدَافٌ يَنْشُدُونَهَا.**

إن أحد أهدافي في الحياة هو أن أجعل أي نوع من التعليم مثيراً ومسلياً. ولهذا فعندما كنت أدرس في جامعة أريزونا، حرصت على أن تكون محاضراتي ذات طبيعة عملية تفاعلية، وبها الخلاصة. وكل منقرأ كتاباً لليمان يعرف أنه لن يجد أكوااماً من الأبحاث النفسية الرنانة، بل مادة غزيرة المعلومات عملية مسلية، لتعيينه في شؤون الواقع، ولكن هناك بعض الأشخاص والأفكار التي تحتاج إلى أن تعرفها، لأن لها أثراً مباشرأً فيك وفي طفلك.

والعالم النفسي ألفريد أدلر واحد من هؤلاء. يؤمن أدلر أن لكل سلوك غرضًا، وقد كان أول من يتحدث عن هذا المفهوم، ولقد كان لهذا أثر كبير في تفكيري وأنا أطور نظرياتي النفسية الخاصة عن الناس، والعلاقات، والحياة عامة. كان ألفريد أدلر زميلاً لسيجموند فرويد في فيينا بالنمسا، ولكن مناظرة عامة كشفت ذات يوم أن الزمليين كانوا يربان الحياة من منظورين مختلفين تمام الاختلاف.

لو كانا بيننا اليوم، وجرت بينهما مناظرة، فسُئل كلُّ عن رأيه فيما يجعل بعض الناس يدخنون، فـإليكم ما سيقولانه:

سيجموند فرويد: "إنك تدخن السجائر الآن لأنك كنت مهوسًا بالمرحلة الفموية من التطور على ثدي أمك!".  
ألفريد: "أنت تدخن، لأنك غبي!".

لكم أحببت ألفريد! كان عملياً، ولكن إن صادف أن قرأت له لعرفت كم كان يصعب قراءة ما يكتب، إن الأمر كما لو أنك تحاول أن تقرأ "The Merk Manual" (دليل ميرك: كتاب طبي ذاتي الصيت) على سبيل التسلية، أو كأنك تقرأ رواية "هاواي" لجيمس ميشنر قراءة خاطفة. إن الرجل عبقريٌّ حقاً، ولكنه يستخدم الكثير من الكلمات التي يصعب فهمها.

وهناك أيضاً الدكتور رودولف دريكورز، أستاذ مجل شهير، وتلميذ من تلامذة ألفريد أللدر في الثلاثينيات. ولقد رأى هو أيضاً أن السلوك نابع عن غرض، فأخذ كثيراً من كتابات أللدر التي يغلب عليها الطابع الأكاديميُّ المعقد، واحتزلها إلى أربعة أهداف لسوء السلوك حتى يسهل على أمثالِي فهمها. وهذه الأهداف الأربع بالترتيب هي: الاهتمام (الانتباه)، والقوة، والانتقام، وإظهار عدم الكفاءة. وكتابه "Children: The Challenge" (الأطفال: التحدي) كتاب صغير رائع جدير بأن يقرأه كل من يهتم بنظرية أللدر في تربية الأطفال. خلال سنوات عمله كطبيب نفسيٌّ، رأيتآلافاً من الأطفال، لم يتجاوز منهم أكثر من 1% المرحلتين الأوليين (الاهتمام، والقوة)، وينتقل إلى الانتقام أو إظهار عدم الكفاءة، وظل نحو 99% عند المرحلتين الأوليين. ولهذا خصصت هذا الكتاب لهاتين المرحلتين الأساسيتين: (1) الاهتمام، (2) القوة.

وفي نطاق عمله في عيادتي الخاصة تعاملت عموماً مع أناس "طبيعيين"، ذوي حدود سلوكية معينة، ولم أتعامل مع من يعانون من مشكلات سلوكية حادة (هؤلاء الذين تخطوا المرحلة الثانية). ورغم ذلك ومن أجل أن تكون لديكم فكرة شاملة عن أهداف إساءة السلوك، فسأمر على المراحل الأربع مروراً سريعاً. وقد فعل الكثير مثل ما فعله دريكورز، فنقحروا نظريات أللدر، وساعدواآلافاً من الناس -آباءً ومتخصصين- على فهم طبيعة السلوكيات السيئة عند الأطفال، وكيفية التعامل معها، مثل: دون دينكمير وجاري ماكاكي (وهو زميل لي في قسم الدراسات العليا بجامعة أريزونا).

إن أهم ما ينبغي للأباء معرفته هو أنه ما لم يحصل الطفل على نتائج مُرضية في مسعاه لتحصيل الاهتمام (المرحلة الأولى)، فإنه ينتقل إلى القوة (المرحلة الثانية)، وهلم جراً. أتذكرون ما اكتشفناه بشأن السلوك؟ إنه ينبع عن هدف، أو يخدم غرضاً.

### الاهتمام/الانتباه: المرحلة الأولى

بعض الأطفال لا يعنيهم سوى أن يكونوا محط الاهتمام، وهم مستعدون لفعل أي شيء ليلاحظهم الآخرون، وهذا يشمل كل شيء ابتداءً من الجدل المستمر معك (فحتى الاهتمام السلبي يبقى اهتماماً على كل حال) وصولاً إلى التصرف كمهرج في المدرسة أو في المنزل. لا يمانعون في فعل أي شيء لتحصيل الاهتمام، ما داموا يحصلون عليه في نهاية المطاف. هؤلاء هم الأطفال الذين قد ينظر إليهم الآخرون على أنهمأطفال وقحون مزعجون، بل وغير مقبولين أحياناً. وقد يكفون مؤقتاً عن سلوكهم الساعي خلف تحصيل الاهتمام عندما يحصلون عليه، ولكن هذا لا يدوم طويلاً. غالباً ما يشعرون في فعل سلوك مزعج جديد للحصول على المزيد من الاهتمام.

إن الطفل الباحث عن الاهتمام تعوزه الثقة بالنفس إلى حدٍ ما، فهو يشعر أن رأيه لا يهم أحداً، ولذا فعليه أن يبذل ما في وسعه ليلاحظ الآخرون وجوده. وهو ينطلق من قناعة مُؤداها: "لا وجود لي ما لم ينتبه الناس إلىّي"، وفي كثير من الأحيان تكون تصرفات هذا الطفل نابعة من توقعات عالية لأب يدفعه نحو التفوق دفعاً، أو يكثر الحديث عن براعة أحد إخوته، فيشعر الطفل أنه ليس بمقدره أن يسمو إلى مثل تلك التوقعات العالية، ويقلقه هذا قلقاً كبيراً، ولذا يبذل ما في وسعه لإصلاح الآخرين، أو لجذب انتباهم بطريقة أو بأخرى.

كيف تتعامل مع الطفل الساعي لجذب الاهتمام؟ سنتحدث حديثاً مفصلاً عن هذا الأمر في جزء لاحق من هذا الكتاب، ولكننا سنذكر بعض النقاط بشأنه الآن. أولاً: عليك أن تتجاهله عندما يطلب اهتمامك. كل ما عليك فعله هو أن تدير له ظهرك، وتنمضي. وفيما بعد فاجئه بمنحة هذا الاهتمام بطرق لم يتوقعها؛ بتحفيزه متى فعل شيئاً إيجابياً. ولن تضطر إلى أن تنتظر طويلاً، فطفلك ذكي. وسرعان ما ستتجده يتصرف تصرفات إيجابية لجذب انتباهك إليه.

يبدأ الأطفال في البحث عن الاهتمام، ومتى لم يحصلوا عليه، فإنهم ينتقلون إلى المستوى التالي.

## القوة: المرحلة الثانية

يريد الأطفال الأقوياء أن تسير الأمور على النحو الذي يريدونه. وهم مستعدون لفعل أي شيء ليتحكموا في زمام الأمور، وليظلوا متحكمين به. وشعارهم في الحياة: «لا معنى لحياتي ما لم أكن مسيطرًا، وذلك بأن أجعل الآخرين يفعلون ما أريد منهم أن يفعلوه، وأن أفعل ما يحلو لي». وهؤلاء هم الأطفال العاقضون، غير المتعاونين، الذين يردون بشكل وقع، ولا يحترمون أحدًا، وهم دائمًا ما يتحدونك، ويستثرونك، ويجعلونك تود لو قلت لهم: «إذن فأنت لا تريد أن تفعل هذا؟ حسناً، سأجبرك على فعله. كيف تجرؤ؟ لن تفلت بفعلتك هذه!».

ما لم تُلبِّ حاجات الطفل الأساسية للاهتمام بطريقة إيجابية، وما لم يخفض الآباء توقعاتهم من أبنائهم إلى مستوى واقعيٍّ ملائم لقدراتهم ومواهبهم، فإنه ينتقل إلى المرحلة التالية: القوة، فيقول في نفسه: «إن لدى مهارات، وسأريك من السيد هنا. سأتحكم في كل شيء. إن كانت الدرجات المرتفعة هي كل ما يهمك، فانتظر كيف سأجعلك تتنبه لوجودي!»، وإذا بالطفل الذي كان يقرأ بنهم أربعة كتب في أسبوع واحد، يهمل دراسته، ليجد أبواه درجاته في انحدار مستمر.

نصيحتي لك..

تراجع أيها الأب. لو أن طفلك يلتهم كل تلك الكتب، فهو محب للتعلم بالفطرة. تواصل بشكل سريٍّ مع المدرسة، ودع المدرسة تتولى زمام طفلك، وتعمل على رفع إحساسه بالمسؤولية تجاه أداء واجبه. ولو كان ابنك رياضياً، فإن لديه حافزاً إضافياً، فإنه إن لم يحصل على درجات كافية، فلن يسمح له باللعب. وهذا أفضل بكثير من أن تظل تراقبه، وتتدخل معه في نفس الجدل، لتحصل على نفس الدموع والصراخ، ونفس المعارك التي تخوضها معه كل ليلة عندما تحاول تشجيعه على أداء واجبه.

فلتكن أنت الشخص الراشد. اختر أن تنسحب من الصراع، فإنك متى وضعت نفسك على قدم المساواة مع طفلك كإنسان، وليس كطاغية مستبد (وإن كان لكِ منكما دوره مختلف في العائلة)، فلن يحتاج طفلك إلى القتال. إن القتال لا يحدث إلا في وجود شخصين. ولكلَّ سنتهش عندما تتعلم أنت وطفلك معاً أن تُعيدها توجيه كل تلك الطاقة السلبية (من كليهما) إلى أنشطة إيجابية، وعلاقة تنمو وتزدهر.

### الانتقام: المرحلة الثالثة

ما لم تُلبِّ حاجة الطفل إلى الاهتمام والقوة على نحو إيجابيٍّ، فإنه ينتقل إلى المرحلة التالية: الانتقام. لو كان طفلك قد وصل إلى تلك المرحلة، فإنه في حاجة إلى مساعدة خارج نطاق هذا الكتاب. الأطفال في تلك المرحلة هم من تقرؤون عنهم في الجرائد. هم من يخرجون على المجتمع، وغالباً ما يصل بهم الحال إلى السجن. وما يدور في رؤوس هؤلاء الأطفال هو: «لقد أذنني الحياة أذى كبيراً، ولدي الحق في أن أؤذن الآخرين»، حتى إن كان هؤلاء الآخرون لا ذنب لهم.

ما من أحدٍ منا إلا وقرأ في الصحف، أو رأى على التلفاز قصصاً مرعبة لهؤلاء الذين شعروا أن الحياة قد جنت عليهم، فصبوا جام غضبهم على الآخرين. وحادثنا إطلاق النار في مدرستي ساندي هوك للتعليم الأساسي وكولومبيان الثانوية، مثالان لأطفال هذه المرحلة، وقد خلفتا عدداً من الأطفال والمدرسين بين قتيل وجريح، وقد قتل المعتدون أنفسهم بعد أن فعلوا ما فعلوه.

وفي كثير من الحالات يكون الانتحار هو الانتقام، فقتل النفس ليس سوى رسالة ترسلها إلى الجميع على أي حال، رسالة مؤداتها: «لقد أذنني الحياة أذى شديداً، وسأصلاح هذا الأمر بنفسي». إن الانتحار هو الفصل الأخير من الانتقام، وهو يفضي إلى حصول المنتحر على الاهتمام الذي يريد، وذلك بأن يتتصدر عنوانين الجرائد. وعندما يترك المنتحر رسالة خلفه، فإن ما بها غالباً ما يكون مفاده: «خذ هذه الضربة!».

هؤلاء الأطفال الذين يسلكون مسلك الانتقام سعيًا نحو التعادل، تعويضاً عن جراح حقيقة أو متوجهة. وقد يكون الانتقام ماديًّا أو نفسيًّا، فالمتغرون -مثلاً- غالباً ما يستخدمون الانتقام تبريرًا لسلوكياتهم العنيفة.

طور العديد من الأطفال في مرحلة الانتقام وجهة نظرٍ مفادها أن العالم ليس آمناً. ونتيجةً لذلك لا يشعرون أبداً بأنهم آمنون، ولا يمكنهم الوثوق بأي شخص، وتكون استجابتهم عند الشعور بالأذى، بأي شكل من الأشكال، هي الرد بـ "سأريك..."، أو بأن يصبحوا أطفالاً جانحين، أو بإنهاء حياتهم بأيديهم، لأنهم لا يستطيعون في عقولهم أن يصبحوا أناساً أفضل.

ما يدعوه حُقا للحزن هو أن هؤلاء الأطفال الذين وصلوا إلى مرحلة الانتقام كانوا قد بدؤوا بالسعى للحصول على الاهتمام، ولمَّا لم يحصلوا عليه، انتقلوا إلى مرحلة القوة، التي لم تنجح هي الأخرى.

يمكن أن يتخذ الانتقام أيضًا صورة سلبية، كحال هذا الطفل الذي لا يقول أيَّ كلام يحمل نبرة من تحدٍ في وجه من يحدثه، ولكنه يقول من وراء ظهره ما لا يُتصور، وإلا فكيف تفسر جلوس شخص على قارعة الطريق، وفي يده مسدس يطلق النار منه على أناس لا يعرفهم؟

يتعرض معظم البالغين، عندما يواجهون طفلاً منتقمًا للصدمة أول الأمر، ويقولون في أنفسهم: "لم يفعل هذا الطفل بي ما يفعل؟"، ثم يغضبون ويحاولون التعامل مع الطفل بمعاقبته. والحقيقة أن كل ما تؤدي إليه هذه العملية هو زيادة رغبة الطفل في الانتقام، وليس هناك من رابح في تلك المعركة. ماذا يمكن للأب أن يفعل في تلك الحالة؟ أن يحصل على مساعدة من مختص في الحال. لا تنتظر. حاول الحفاظ على الانضباط في وجود الحد الأدنى من القواعد (فمعظم الأطفال المنتقمين لا يحترمون العقوبة أو المعاقب على أي حال)، وأعمل على فهم وبناء جسر من الثقة مع ذلك الطفل. واعلم أن التغيير لن يتم في الحال، وهذا حال كل الأمور الطيبة في الحياة؛ تتطلب الوقت والصبر.

### إظهار عدم الكفاءة:

يُسمى بعض علماء النفس هذه المرحلة بالإعاقة المفترضة. والطفل في هذه المرحلة هو طفل كره الحياة، ولسان حاله يقول: "لا يمكنني فعل أي

شيء بشكل صحيح، ولذا فلن أحاول على الإطلاق”， فيقرر أن يختبئ بدلاً من أن ينخرط في الحياة.

التقيت ذات مرة برجل مشرد يعيش تحت أحد الجسور، واكتشفت أنه كان مهندساً لاماً في يوم من الأيام. كما رأيت رجلاً مشرداً آخر يبيع الصحف في زاوية شارع في توكتوكون (تسمح الصحف المحلية للمشردين ببيع الجرائد لكسب بعض المال)، رأيته وهو يحل الكلمات المتقاطعة، ومن يحل الكلمات المتقاطعة لا بد أن يكون محباً للكلمات وقارئاً نهماً، مما يعني أن عقل الرجل لم يكن في حالة سيئة، وأنه لا بد أن يكون قد أصابه خطب شديد، جعله يستسلم، فقرر أن ينزو عن العالم، وأن يبيع الجرائد، أملاً أن يعامله أحد الناس على نحو كريم.

قد يكون الأشخاص في المرحلة الرابعة أشخاصاً في غاية البراعة والمهارة في مجالاتهم، كالمهندس القابع تحت الجسر، إلا أنهم يشعرون، بغض النظر عن براعتهم فيما اختاروه من عمل؛ أنهم ليسوا جيدين بما فيه الكفاية على الإطلاق. لقد هزمتهم الحياة حتى إنهم لم يعودوا يأبهون لها. لقد تجاوزوا مرحلة الانتقام إلى مرحلة التخلص من أنفسهم، بل وعن الحياة كلها، فهم سلبيون، ولا يتحسنون أبداً في أي مجال، لأنهم يشعرون أنه لا جدوى من المحاولة.

نشأ الكثير من هؤلاء الأطفال مع أب كثير النقد؛ يخبرهم طيلة الوقت بما ينبغي لهم أن يفعلوا، وكيف يجب أن يفعلوه، ودائماً ما يقول لهم إنهم عاجزون عن التقدم والتطور. ولو كان لديهم إخوة، فإنه كثيراً ما سمعوا: ”لماذا لا يمكنك أن تكون مثل أخيك؟!“، مما كان منهم إلا أن استسلموا، لتجنب هذا الفشل المفترض فيهم ابتداءً. شعروا باليأس والإحباط، فلم يحاولوا فعل أي شيء، فالمحاولة قد تعني الفشل. عاشوا في الظلال، آملين أن ينساهم الناس، وألا يطلب منهم فعل أي شيء، أو تولي أي مسؤولية.

هؤلاء هم الأشخاص الذين عندما يكبرون لا يحتاجون إلى أي نقاد، فهم نقاد أنفسهم، هم أولئك الآباء النقاد لتصورات أبنائهم طيلة الوقت، ولكنهم الآن يؤدون هذا الدور ضد أنفسهم. في كل مرة يفعلون فيها شيئاً ما، فإنهم

يُذكّرون أنفسهم: «لم تفعله على نحو جيد. لست جيداً بالقدر الكافي!»،  
يقولونها لأنفسهم!

لنفترض أن إنسانة مافنانة بارعة، والجميع يتحدث عن مدى موهبتها في استخدام الألوان المائية والزيتية، لكنها لا تستطيع سماع أو التعامل مع ما يقوله الناس، لأن هذا الصوت الناقد بداخليها يصرخ بها: «إنه ليس جيداً بما يكفي. لن تكوني أبداً جيدة بما فيه الكفاية!»، أو لنفترض أن إنساناً ما رجل أعمال ناجح، ويحقق أرباحاً جيدة، إلا أنه في داخله يقول لنفسه: «لو عرف هؤلاء الناس كيف يجب أن يبدو هذا المشروع، لما أعطوني سنّاً مقبلاً له!». هذا سلوك يؤدي إلى هزيمة الذات. ولو ضاهيناه بعالم الحيوان، لوجدنا حال من يفعله كحال ذلك الكلب الذي ينكمش ويضرب الأرض لحظة أن يرى أحداً من الناس. ومنطقه في هذا هو: «سأضرب /أهزّ في هذا الموقف على أي حال، فلم لا أستلقي على الأرض؟!»، هذا ما يفعله آناس المرحلة الرابعة. يستسلمون أمام أي شخص قبل حتى أن تتاح له الفرصة للحاق الأذى به.

يشعر الآباء الذين يتعاملون مع طفل المرحلة الرابعة باليأس والإحباط، وغالباً ما يستسلمون، معتقدين أن التغيير في حياتهم الأسرية أمر مستحيل، وليس هذا صحيحاً، ولكن الأمر يتطلب قدرًا كبيراً من المساعدة من أحد المختصين الذي سيعمل مع الطفل ومع الأب أو الأم كذلك.

الطريقة الأولى التي يمكن للأباء هؤلاء الأطفال أن يساعدوهم بها هي تشجيعهم على أي جهد إيجابيٍّ مهما يبدُّ ضئيلاً، ولو كان رفع ستة ملقة على الأرض، وإعادتها إلى مكانها. ويمكن للأم أيضاً أن تجعل طفلها هذا يسمعها، وهي تثرثر مع صديقة على الهاتف، تقول لها: «كما تعلمين، فجيمي بارع حقاً في التعامل مع التكنولوجيا الحديثة، ومنذ بضعة أيام صادفتني مشكلة في الكمبيوتر، فساعدني على حلها...»، إن للأطفال حاسة سمع مرهفة، وأراهنك أنه سيسمع كلماتك تلك.

ويجب على الآباء أيضًا ألا يستسلموا أبداً، وألا يقعوا في فخ «الولد المسكين»، أو «يا لي من أب مبتلى!»، وحذار من النقد، وسوف يتغلب الصبر والحب، جنباً إلى جنب مع الاستشارة المهنية لجميع أفراد الأسرة على المشكلة شيئاً فشيئاً.

إن الأهداف الكامنة خلف إساءة السلوك هي السبب في أن بعض الآباء يجربون شتى الأساليب للتعامل مع نفس مشكلات السلوك ماراً وتكراراً، والحصول على نتائج قليلة أو معودمة. ما إن يجد الأب طريقة لإيقاف أحد السلوكيات السيئة، حتى تظهر مشكلة سلوكية أخرى. قد يبدو السلوك الآخر مختلفاً ظاهرياً، إلا أنه مبنيٌ على نفس الهدف من سوء السلوك الأول، ويرجع هذا إلى أن الطفل لم يزل لديه نفس الفكرة الأساسية عن نفسه، ولم تتغير نظرته لا لنفسه ولا لدوره في العالم الذي يعيش فيه.

فمثلاً: إذا اعتقد الطفل أنه لا معنى لحياته ما لم يحظ بالاهتمام أو يلاحظه الآخرون، فسوف يستمر في محاولاته لجذب الانتباه. إذا كان يعتقد أنه لا أهمية له إلا عندما يكون هو المسيطر، لأنه حينها لا يمكن لأحد أن يتحكم فيه: فسيزيد من حدة تصرفاته القوية.

إن الأطفال لا يسيئون التصرف إلا عندما يكون لديهم هدف، وعندما يفلح هذا التصرف (في تحقيق هدفه).

هذه حقيقة يمكنك أن تعتمد عليها.

### أفكار قوية ناجحة:

كان أبني كيمنت، في الثالثة من عمره عندما تبنينا أخته تريشيا. وبعد فترة قصيرة من وصول أخته إلى المنزل، وجدت كيمنت بعضها من ذراعها؛ صدمتني تصرفه، فعاقبته.

كان كيمنت قد تدرّب على استخدام القاعدة لقضاء حاجته لأكثر من عام، لكنه بدأ بأن يبلل سرواله. وظل يغض أخته، أو يقرصها عندما يغيب عن ناظري، فاضطررت أخيراً إلى حبسه في غرفته متى نامت أخته إذ لم يكن بإمكانني أن أثق به.

قرأت بضعة كتب، وتحدثت مع الكثير من الآباء خلال الأشهر الستة التالية. جربت ما نصحوني به، ولكن لم يفلح أليّ منه، فهو لم يزل يغضها، ويقرصها، ويبلل سرواله. وعندما وصل إلى الرابعة من عمره، قال لي إنه يكره أخته.

لمع في رأسي الفكرة عندما قرأت كتابك "The Birth Order" (ترتيب الميلاد). كان كيمنت يشعر بالغيرة من أخته، نعم. (كنت قد أدركت ذلك

بالفعل، فمعي شهادة جامعية على كل حال)، لكنه كان أيضاً يخشى أن تحل أخته محله. لقد أراد الحصول على اهتمامي، بأي طريقة كانت.

وجدته يجرب حفاضات أخيه، فخطرت لي فكرة. ملتُ عليه، وهمست في أذنه: ”لدي سر أريد أن أخبرك به“، بدت عليه أمارات الانتباه، وأخبرته أنني بحاجة إلى مساعدته، ثم قلت له: ”أنت فتى كبير الآن، ويمكنك مساعدتي، والاعتماد عليك. لذا...“، وشرحـت له أن أخيه صغيرة جــداً، ولذا فــهــناــكــ كــثــيرــ منــ الأمــورــ لاــ تــســتــطــيــ هــيــ فــعــلــهــاــ،ــ وــلــكــنــهــ يــســتــطــيــ عــشــرــ الصــغــيرــ بــالــفــخــرــ،ــ وــانــتــفــخــ صــدــرــهــ.ــ لــقــدــ كــســبــتــ تــعــاــوــنــهــ،ــ كــمــاــ نــصــحــتــ.ــ وــالــآنــ يــحــضــرــ كــيــنــتــ الــحــفــاــضــاتــ وــالــمــنــادــيــلــ،ــ وــيــغــلــقــ أــنــفــهــ،ــ عــلــىــ نــحــوــ مــســرــحــيــ بــالــطــبــعــ،ــ عــنــدــمــاــ تــكــوــنــ الــحــفــاــضــاتــ مــتــســخــةــ.ــ وــهــاــ هــوــ قــدــ كــفــ عنــ قــرــصــهــاــ وــعــضــهــاــ.“

وقد أدهشتني حقاً بالأمس. كنت قد وضعت تريشيا في عربتها لتنتمي في حدقة قريبة، وأدركت أنني نسيت مفاتيح المنزل، فعدت لإحضارها، وأقبل طفل معه كلب، وإذا بالكلب يدس أنفه في عربة تريشيا، فصرخـتـ فيـ الكلــبــ،ــ وــحــالــ بــيــنــهــ وــبــيــنــ الــعــرــبــةــ قــائــلــاــ:ــ ”ــحــســبــكــ!ــ هــذــهــ أــخــتــيــ،ــ وــلــأــحــدــ يــمــســهــاــ!ــ“ــ .ــ قالــهــ بــصــوــتــ عــالــ،ــ أــزــعــجــ الــحــيــ كــلــهــ.ــ أــمــاــ أــنــاــ فــقــدــ كــانــتــ تــلــكــ عــنــدــيــ وــاحــدــةــ مــنــ أــهــمــ الــلــحــظــاتــ التــرــبــوــيــةــ التــيــ تــتــحــدــثــ عــنــهــاــ فــيــ كــتــبــكــ.ــ لــقــدــ تــجاــوــزــنــاــ عــقــبــةــ كــبــيرــةــ،ــ وــلــقــدــ صــنــعــتــ نــصــيــحــتــكــ فــارــقاــ شــاســعاــ.“

ميшиيل، كاليفورنيا

### نقاط القوة:

- لكل سلوك هدف.
- تسعـونـ بالمـئـةـ منـ الأـطـفـالـ الـذـيـنـ يـسـيـئـونـ التـصـرـفـ يـقـعـونـ فـيـ مرـحلـتـيـ ”ـالـاهـتمـامـ“ـ وـ ”ـالـقـوـةـ“ـ.
- إنـ الشـعـارـ الـذـيـ يـتـخـذـهـ طـفـلـكـ لـحـيـاتـهـ يـؤـثـرـ فـيـ كـلـ ماـ يـفـعـلـهـ.
- لاـ يـسـيـءـ الأـطـفـالـ التـصـرـفـ إـلاـ عـنـدـمـاـ يـكـوـنـ لـدـيـهـمـ سـبـبـ،ـ وـعـنـدـمـاـ يـفـلـحـ تـصـرـفـهـمـ هـذـاـ.

# 10

## الطفل الباحث عن الاهتمام

ما الذي يمكنك فعله لتخفييف الضغط  
على طفلك (وعليك)؟

لا أحد يعرف الأطفال الباحثين عن الاهتمام كما أعرفهم، فقد كنت واحداً منهم. وفي صغرى، كان لدى بذلة سنية جزئية في فمي، ويمكنني أن أنزع منها ثلاثة أسنان، فكنت أنزع أساناني، وأعلن إعلاناً عائلياً لصهر زوجتي، وهو طبيب أسنان لقبه "تشال".

فكت أقول بلغة: "نعم، لقد ذهبت إلى دكتور تشال، وأصلاح لي أساناني". أقول هذا أمام عائلتي بأسرها، فيخرون على الأرض من شدة الضحك. وعندما كنت في الصف الرابع، طردتُ من المدرسة مرة، لأنني وضعت إصبعي أسفل بنطالي، وأخرجتها من فتحة البنطال أمام بعض البنات. (الآن تحبين أن تكوني تلك الأم التي تُستدعي إلى مكتب المدير لفعل ابنك فعلة كتلك! لكم كانت أمي قدسية حقاً!).

وفي السنة الثانية في المدرسة الثانوية، كنت أكره مادة التاريخ كرهاً شديداً. ولذا تسسلت من مقعدي في أثناء الحصة، واتجهت صوب الباب الخلفي، وفتحت الباب، وزحفت إلى خارج الفصل. ضحك الجميع حينها ضحكاً هستيرياً، ولم يدر الأستاذ "جي芬" المسكين علام يضحكون.

عندما أنظر إلى حياتي، أرى أمثلة لا حصر لها من البحث عن الاهتمام، بل إنني حتى اليوم لم أزل أراني أبحث عن الاهتمام، فأنا مولع بالترفيه عن الناس بالفطرة.

عندما كنت في البرنامج التليفزيوني الحواري "ذا فيو"، تلقيت لدى رحيلي ترحيباً حاراً من الجمهور، وكذلك من كانوا في الغرفة الخضراء (غرفة انتظار الضيوف بالإستوديو). كما نظر إلى الممثل الكوميدي جون ستيوارت، الذي كان أيضاً في الغرفة الخضراء، ومن المقرر أن يظهر في البرنامج بعدي، وقال: "شكراً جزيلاً"، فكان ذلك أكبر تشجيع لي.

كنت في صغرى طفلاً يسعى إلى جذب الانتباه بكل ما أوتي من قوة. وإلى اليوم فأنا الشخص المعروف بارتدائـه الجوـارب الغـريبـة والقمصـان المشـجرـة. لم أسمع قط شخصاً يقول: "أوه، إنه رجل جـاد، يرتدي معطفـاً رـياضـياً وربطة عنق!"، لأن ذلك غير صحيح، فأنا أبذل كل جـهد ممـكـن لـيلـاحـظـني النـاسـ.

إن بإمكانـي أن أجذـب انتـباـه أي جـمهـورـ، سواء على شـاشـة التـلـفـزـيونـ أو في مـبارـاةـ كـرـةـ أو في نـدوـةـ. واستـخدـمتـ في طـفـولـتيـ وـفيـ شـبابـيـ هـدـفـ "الـسـعـيـ وـراءـ الـاهـتمـامـ" لـجـذـبـ الـانتـباـهـ عـلـىـ نـحوـ سـلـبـيـ، ولـقـدـ تـطـلـبـ الـأـمـرـ تـشـجـيعـاـ، وإـعادـةـ تـوجـيهـ منـ الأـشـخـاصـ الرـئـيـسـيـنـ فـيـ حـيـاتـيـ لـتـحـوـيـلـ هـذـاـ الـبـحـثـ عـنـ الـاهـتمـامـ إـلـىـ هـدـفـ إـيجـابـيـ. أـصـبـحـ مـتـحدـثـاـ قـادـرـاـ عـلـىـ التـرـفـيـهـ وـالـتـعـلـيمـ، وـعـلـىـ تـشـجـيعـ وـإـلهـامـ آلـافـ مـنـ النـاسـ.

### التصرف انطلاقاً من الفكرة الرئيسية عن الحياة:

كـلـاـ مـمـثـلـونـ عـلـىـ مـسـرـحـ الـحـيـاـةـ، نـمـثـلـ مـوـضـوعـ حـيـاتـنـاـ.. إـدـرـاكـنـاـ لـأـنـفـسـنـاـ.

يسـعـيـ كـلـ الـأـطـفـالـ لـجـذـبـ الـانتـباـهـ؛ بـعـضـهـمـ بـطـرـيقـةـ إـيجـابـيـةـ، وـبـعـضـ الآـخـرـ بـطـرـيقـةـ سـلـبـيـةـ، فـكـيـفـ تـعـرـفـ إـذـاـ ماـ كـانـ طـفـلـكـ قدـ تـجاـوزـ الـقـدـرـ الـمـعـتـادـ لـمـحاـوـلـةـ جـذـبـ الـانتـباـهـ حـتـىـ لـمـ يـعـدـ لـهـ مـنـ هـدـفـ سـوـاهـ؟ إـنـ الـأـمـرـ يـسـيرـ، فـكـمـاـ قـلـتـ سـابـقاـ، اختـبرـ استـجـابـتكـ العـاطـفـيـةـ لـذـكـ الطـفـلـ، فـإـذـاـ شـعـرـتـ بـالـاستـفـزاـزـ وـالـانـزعـاجـ، وـوـجـدـتـ نـفـسـكـ تـكـثـرـ مـنـ قـوـلـكـ لـهـ: "لاـ يـمـكـنـكـ فعلـ ذـلـكـ!"، حـتـىـ أـصـبـحـتـ تـلـكـ الـعـبـارـةـ جـزـءـاـ لـاـ يـتـجـزـأـ مـنـ مـفـرـدـاتـكـ، فـقـدـ تـجاـوزـ طـفـلـكـ الـحـدـ، وـلـاـ يـهـمـهـ سـوـىـ أـنـ يـثـيرـ اـنـتـباـهـكـ.

لنفرض -مثلاً- أن جوني جالس في الفصل، ينقر بقلمه الرصاص على المقعد، أو يُقلب عملية معدنية دون توقف. إذا قال المعلم له: "كفى يا جوني"، فعادةً ما يتوقف. أما إذا لم يُكُف عن فعله، فعاوده مرة أخرى، فإن أمامك طفلًا في حاجة إلى جذب الانتباه.

وبعبارة أخرى: فإن لديك طفلًا شعاره في الحياة: "لا قيمة لي إلا متى حصلت على انتباه الآخرين"، وسيتعكس شعاره هذا على تصرفاته، فسيفعل أموراً بلهاء، كأن يقلد صوت بعض الطيور في الفصل، أو يضايق الآخرين حتى يستثير رد فعل منهم.

يتعلم الأطفال الأنماط في مرحلة مبكرة من حياتهم، وكلما لاحظت هذه الأنماط في وقت مبكر، فهو أفضل، إذ كلما تقدم الإنسان في العمر، أصبح أكثر مقاومة للتغير. ولذا فمن المهم أن تلاحظ إساءة طفلك للسلوك في أول المراحل؛ مرحلة جذب الانتباه، قبل أن ينتقل إلى المرحلة التي تليها؛ مرحلة السلوك النابع عن القوة. فلو أن طفلًا بدأ حياته كباحث عن الانتباه ثم لم يحصل على النتيجة المرجوة، فسوف ينتقل إلى مرحلة السلوك الذي تحركه القوة، ولن يكتفي بالحصول على انتباحك، بل سيجبرك على منحه هذا الانتباه.

ونعود الآن إلى السلوك النابع عن هدف: كل سلوك يخدم غرضاً، فهذا الطفل ذو الأعوام الأربعية الذي يوقع أخاه ذا الثمانية عشر شهراً عامداً، أو يكسر مزهريةك المفضلة، إنما يُظهر سلوكاً له هدف، فوجود ذاك الصغير الجديد في حياتكم يمثل تهديداً له، وهو الآن يتصرف على هذا النحو خشية ألا تمنحاه ما يكفي من الحب والاهتمام بسبب هذا الوافد الجديد الذي يبدو في عينيه أنه يحوز اهتماماً زائداً، حتى إن جديه قد حمل كلّ منهما هذا الرضيع ساعةً كاملة، وطفلك يعرف هذا لأنك علمته التعبير عن الوقت، فيقول في نفسه: «يفعلون هذا، ولا ينتبهون إلى وجودي، حسناً.. سأريهم!».

فيُخرج كل إحباطه على أخيه الصغير كلما أدرت له ظهرك. وكيف يكون رد فعلك حينها؟ كما تفعل معظم الأمهات عادةً: «ما خطبك؟! (وترفعين صوتك) دع أخاك لحاله، فليس إلا رضيعاً، ولم يضايقك في شيء!».

ولكن تصرفات طفلك استثارتك، وجلبت له الانتباه، أليس كذلك؟ لن يكون من طفلك بعدها إلا أن يُزيد من حدة تصرفاته، فقد رأى أنها أجدى. وإذا ما

ظل يتبع هذا المسار من جذب الانتباه، فسوف ينتهي به الحال بالانتقال إلى الأهداف المدفوعة بالقوة. وبوصوله إلى سن الرابعة عشرة، ستتجدينه متحكماً في منزلك، وستشدين شعرك من تصرفاته.

فماذا لو بدلاً من ذلك وأدِت ذلك التصرف الساعي للانتباه في مده، بإشراك طفلك في الحوار، وإدخاله في حياة هذا الرضيع على نحو إيجابي؟ بإعطائه صلاحيات خاصة، ومسؤوليات كذلك، لأنه الأكبر سنًا، وجعله يشارك في رعاية الرضيع بنفسه، بعد إقناعه بهذا بطريقة أو بأخرى، فهو طفل على كل حال.

انفردي بهذا الأخ الكبير، وقولي له: «أريد أن أتحدث معك بشأن أخيك. إنه طفل صغير، وهو في حاجة إلى أن ينام مرات كثيرة في أثناء النهار، مرتين على الأقل. أما أنت فلم تعد في حاجة إلى فترات القليلة تلك، أليس كذلك؟ فأنت الآن في مرحلة ما قبل المدرسة. أو تعرف شيئاً؟ إن أخاك الصغير لا يميز الألوان بعد، ولكنك تعرف هذا. ما هذا اللون، وذاك؟ عساك تعلمه الألوان في يوم من الأيام».

في هذه اللحظة يشعر ابنك أنه مميز. كما أنك تُعيرينه اهتمامك، إلا أنه على نحو إيجابي، في شكل محادثة. وهكذا لا يرى أخاه بالسوء الذي كان يراه، كما أن مكانته كطفلك الأول لم تعد مهددة.

ثم تواصلين حديثك: «لَكَمْ أشعر بالسعادة في تلك الأوقات التي تساعدني فيها، وعندما تفعل شيئاً طيباً. هَلْ تذهب إلى غرفة النوم، فتحضر حفاظة! ولا تننس المسحوق، فسأجعلك تضعه عليه هذه المرة».

الآن قد أخذت سلوك ابنك الهدف لجذب الانتباه، وعدلت مساره، بأن أريته أن بإمكانه أن يساعد أخيه الصغير، لأنه أكبر منه. كما أنك قد تعاملت أيضاً مع شعوره بالتهديد، وأكديت له أن مكانته كأخ أكبر لن يمسها غزو هذا الصغير لعالمكم. لقد وأدِت السلوك الهدف لجذب الانتباه قبل أن يستفحـل متـحـولاً إلى سلوك هادـف لإظهـار القـوـة. لم يـعـد هـنـاك تـهـدىـدـ، ولـذـا فـلـن يـصـعدـ طـفـلـكـ مـنـ حـدـةـ سـلـوكـهـ.

ولكن ما يفعله معظم الآباء هو أنهم يرفعون حدة التصرف، فعندما يخبرون طفليـمـ أـلـا يـفـعـلـ شـيـئـاـ مـعـيـنـاـ، ثـمـ يـفـعـلـ عـلـىـ أـيـ حـالـ، فـإـنـ اـسـتـجـابـتـهـمـ

تكون من قبيل: «لقد حرمت نفسك من مشاهدة التلفاز ليومين!»، فيرد الطفل بقول يستفز الأب، فيرد الأب قائلاً: «حسناً، الآن جعلتها ثلاثة أيام!».

ومرة أخرى، نقول إن كل ما يفعله هذا الأب هو زيادة حدة سلوك طفله. كما أنه (الأب والأم) أحياناً ما يسبّب الوقود على النار. تزداد حرارة المشاعر على جانبي السياج (عند الوالد والطفل)، وعندما يحدث ذلك، فإن طفلك يخطو الخطوة التالية صوب فرض السيطرة. وعندما يصبح الطفل مسيطرًا، فإن شعار حياته يصبح: «لا يمكن لأحد أن يُجبرني على فعل أي شيء، فلا أحد سيد لي. سأحيا حياتي كيفما أشاء. ولن تردعني أي قاعدة يضعها الآخرون». وهكذا تشتعل الحرب، فلا تكف المناوشات اليومية، إلا لتبدأ من جديد.

ولهذا فإن الأمر كله يرتبط بعلاقتك مع طفلك. وكما سمعت جوش ماكدويل يقول: «إن وجود القواعد دون وجود علاقة يؤدي إلى التمرد».

إنهم لا يهتمون بما تعرفه، حتى يعرفوا بأنك تهتم

في بداية زواجنا أنا وساندي، كنا نعيش في مسكن مكون من غرفة واحدة، وكانت الأذى في البيت معظم الوقت. كان أبي وأمي يزوراننا بين الحين والآخر، ويحضران لنا بعض المؤن. كانت أشياء بسيطة، كعلب العصير، أو حفنة من المقرمشات، فقد كانوا يعرفان أننا لا نملك الكثير، ولكن لم يحضران لنا هذه الأشياء رغم رقة حالهما هما أيضاً لأنهما يهتمان لأمرنا.

أعرف مدرباً عجوزاً لفريق كرة قدم في جامعة أريزونا، يُدعى بيل كيريلاويتش، يلقى بأوامره للاعبيه كما يفعل رقيب في البحريّة. وللحقيقة فهو مدرب عظيم، ذو شخصية رائعة.

أهديته كتابي "The Way of the Shepherd" ، إذ رأيت أنه قد يروقه لقدرته على فهم الناس فهما عميقاً، وإدارتهم. وعندما صادفته بعدها قابلي، وقال لي، وسيجار قصير ضخم يتسلق من فمه: «لقد قرأت كتابك، ولكن أعجبتني تلك الجملة: لا يفهمهم ما تعرف، حتى يعرفوا أنك مهم».

أدهشني اقتباسه للعبارة بحذافيرها. خرجت من العيادة، وأخرجت الكتاب، ووجدت العبارة. لم تكن إحدى النقاط الأساسية، ولكنها لاقت صدى لدى ذلك المدرب.

أوصل المدرب كيريلاؤتيش العديد من لاعبي الكرة إلى اتحاد كرة القدم الأميركي، وهو بارع في عمله حقاً، وقد نجح في إخضاع جميع لاعبيه لسلطته. وأذكر أنه قال لهم ذات يوم: ”مهما يتطلب الأمر، فسوف أجعل كلاً منكم لاعباً ناجحاً“، ثم قسا عليهم في التدريب.

ولكن بعد انتهاء التمرين، فوجئتُ بالمدرب كيريلاؤتيش، ورئيسه ريتشارد روذرíguez، وهما يعدان الساحة لرمي بالونات الماء. ولك أن تخيل لاعبي الكرة الضخام هؤلاء، الذي يزن الواحد منهم بين 250 و340 باونداً، وهم يقذفون ببالونات الماء مسافة خمس ياردات، أو عشر ياردات، ثم يلقطونها دون أن تنفجر. وبعد تمرين آخر، لعبوا لعبة شد الحبل. وفي مرأة أخرى أدوا تمريناً يحمل فيه لاعبان أو ثلاثة أحد اللاعبين والعدو به نحو خط الخمسين ياردة.

فعل مدرباً جامعة أريزونا هذه الأمور، لأنهما يعرفان أهمية إقامة علاقة مع هؤلاء اللاعبين وأهمية الترويح عن النفس. إنهما حقاً يطبقان خير تطبيق الشعار الذي مفاده: «لا يفهمون ما تعرف، حتى يعرفوا أنك مهم».

فهل يعلم أطفالك أنك تهتم لأمرهم؟ هل يرون ذلك في كل ما تقوله وتفعله، حتى عندما تضطر أحياناً إلى قول فعل أمور (تبدو) قاسية؟

لا يعني اهتمامك بأطفالك أن تخضع لهم، أو أن تعمل لهم ما يجب عليهم هم أن يفعلوه. فالآبوبة/الأمومة الطيبة بمنزلة ركوب الأرجوحة عند مركزها، فإذا كان لديك طفلان متزنان إلى حد ما، فإن هذه الأرجوحة ستعمل على نحو جيد متوازن. أما إذا كان أطفالك غير متوازنين، ويتحدون بعضهم بعضاً، فإنك ستتجهد نفسك في محاولة أن تعمل بمنزلة نقطة التوازن تلك في المنتصف.

ما يمكنك عمله:

#### • اسع لمعرفة رأي طفلك:

يحتاج طفلك إلى أن يعرف أن رأيه مهم، فإذا ما كنت ستدهن منزلك، وتفكر في لون لغرفته، فسأله عن رأيه. يتصرف الكثير من الآباء لأن لديهم إجابة لكل شيء، فلا يتربّون أو يفكرون حتى في سؤال الطفل: ”ماذا تريد أن تفعل؟“، أو ”ماذا تعتقد أننا يجب أن نفعل؟“، مع أنك عندما تسأل طفلك

عن رأيه، فإن حقيقة ما تفعله هو أنك تقول له: "أنا أقدرُك، فأنت مهم لهذه العائلة. ويهمني رأيك".

فمثلاً: كان ابني كييفن يحب الرسم، فراح يرسم على كل ما يلقاء، سواء كان مما يرسم عليه أم لم يكن، فخطرت لزوجتي العبرية فكرة، وعندما أعدنا طلاء المنزل، قالت لكييفن إن له أن يزين غرفته كيفما يشاء، فراح يلوّن الجدران، ويرسم عليها بسعادة بالغة، وجعل منها مرسمه الخاص، ولم نعد نضبوه وهو يرسم على ما لا يصح الرسم عليه.

وقارِن ذلك بما جرى مع ماندي؛ طفلة أخرى مهوسَة بالرسم، فعندما كان أبوها يعيدان طلاء غرفتها، توسلت إلى أبيها لتطلِّي غرفتها بنفسها، فلم تحصل منه على سوى الرفض القاطع، إذ رأى أنها ستفسدَها تماماً، بل تمادي ونعت الفكرة بالسخافة. (هل لاحظت أن الأب كان بكلِّ لديه هوس بالكمال؟) لك أن تتصور كم كانت صدمته عندما ضُربَت ماندي وصديقاتها وهن يرسمن على جدران مبنٍ في الجوار. لقد كاد يصاب بجلطة، إلا أن جدها تعامل بمنتهى الحكمة مع الأمر، وطلب منه أن يرسلها إلى منزله.

عندما وصلت ماندي إلى منزل الجد، لم يذكر لها أنها وقعت في مشكلة، وإنما جلس على كرسيه، وقال لها: "كنت أفكِّر في مدى حب جدتك لسلط الحليب القديم الخاص بها، وأحسب أنها ستكون في غاية السعادة في قبرها إذا ما زينته، فرأَاه من يأتي إلى منزلي وقد ارتدى حلة بهية". لقد كانت تلك أفضل هدية يمكن أن يقدمها على الإطلاق لفتاة تهوى الرسم.

فرغت ماندي من سلط الحليب، ثم انتقلت إلى أحد جدران مطبخ جدها، فحولته إلى مشهد ريفي بديع. لم تكتف ماندي بهذا، بل رسمت أشكالاً فنية رائعة حول كل مفتاح من مفاتيح الإضاءة في منزل جدها. كل هذا ومع الأسف، لم يزل أبوها وبعد عامين من الحدث، غير قادر على استيعاب موهبة ماندي، لكن ماندي وجدها صارا مقربين للغاية، ومنزله قد أصبح بمنزلة حلم فنان يتحقق. وفي كل أسبوع، يجتمع أصدقاء الجد من الجيران في المنزل، فيتناولون الطعام، ويتمتعون أنظارهم بالفن الجميل، وتؤدي ماندي دور المرشد السياحي. لم تعد ماندي تبحث عن الاهتمام بشكل غير لائق، وإنما أصبحت تستخدم مهاراتها من أجل الخير لمساعدة الآخرين، وهي حالياً

صديقة للسيدة الأرملة التي تقطن في الشارع (ولعلها معجبة بجد ماندي)، كما أنها ترسم حديقة من الزهور على جدران مطبخها.

## • اكسب تعاونه:

في شبابي وأنا أشرع في دراساتي العليا، كان أول تكليف لي هو أن أشرف على المقيمين في السكن الجامعي، الذي كان به 360 شاباً. قدم لي عميد الطلاب المساعد، بيل فوستر، الذي أصبح صديقاً مقرباً لي بمرور السنوات، نصيحة عظيمة، لم أنسها قط:

”كيفن، هناك أمر عليك ألا تنساه. إن هناك ثلاثة وستين طالباً، ولست إلا فرداً، فاكسب تعاونهم“. أخذت بنصيحته، ولكن كانت نصيحة رائعة!

في العام التالي، نقلتني الجامعة إلى سكن يضم جميع لاعبي كرة القدم. في العام السابق لهذا العام، ولما أزل في بداية تكليفي في السكن الآخر، كان اللاعبون قد خربوا هذا المكان بالفعل، وتسببوا في إرسال مشرف السكن إلى المستشفى، إذ ضربه أحدهم في وجهه، فكسر محجر عينه.

وأذكر قولي للعميد: ”لن أذهب إلى هذا السكن“، و قوله لي: ”ليمان، ليس هناك إلا شخص واحد بإمكانه أن يذهب إلى هذه القاعة، ويضبطها، وهذا الشخص هو أنت“.

فقبلت التحدي. هل اصطحبت معي هراوة وصافرة؟ لا، بل قابلت هؤلاء الرفاق عند المدخل، ورحببت بهم، وساعدتهم في حمل أمتعتهم إلى غرفهم. ومضى العام بسلام، فلم يقع من سوء على المبني، ولم يرن جرس الحريق ولو مرة واحدة، رغم أنه أصاب كل الساكنين بصداع مزمن في الأعوام السابقة.

كُن أباً ذكياً، واخدم أطفالك، واكسب تعاونهم، وسيدهشك انخفاض قدر ما تلقاه من التصرفات السلبية، كما أن منزلك سيغدو أكثر هدوءاً بشكل ملحوظ.

فكيف إذن تكسب تعاونهم؟ إذا كانت لديك مشكلة وكان بإمكانهم المساعدة، فاعرض تلك المشكلة عليهم. لنفترض أنك تدرك أنك بحاجة إلى أن يكون طفلاً الصغيران في مكانين مختلفين في نفس التوقيت، وابنتك الكبرى لديها رخصة قيادة، وقد أثبتت أنها قادرة على تحمل المسؤولية، حتى لو كانت تتصرف بشيء من الواقحة في بعض الأوقات. ادْنُ منها، وقل لها:

”ترى هل بإمكانك مساعدتي في أمر ما؟ إن أخويك يتعين عليهما أن يذهبا إلى مكانين مختلفين في نفس الوقت، فهل أنت مستعدة لنقلّي أحدهما من أجلِي؟ لَمْ سأكون ممتناً لكِ إن كان بإمكانك هذا؟“.

ما يدور برأّس ابنته، التي تسعى لجذب الانتباه هو: ”رائع! إن أبي يثق بي حقاً. ما أجمل هذا الشعور!“.

وبعد أن توافق ابنته، تسأّلها: ”عظيم! إنك تسدينني معرفةً كبيّراً. يتعين على مارك أن يذهب إلى تدريب للبيسبول، وتبّري إلى تدريب كرة القدم، فأيهما تفضّلين أن تصطحبّي؟“.

وما يدور في رأسها الآن هو: ”وأبي يدع لي الخيار أيضاً. إن هذا أمر رائع حقاً!“.

رأيت كيف يفلح الأمر؟

#### • دع طفلك يساهم في العائلة:

كل طفل لديه مواهب وقدرات طبيعية، ويمكنه المساهمة. إذا كان ابنك ذو الثنائي عشر عاماً يعرف عن أجهزة الكمبيوتر أكثر مما تعرف، فاطلب مساعدته في إعداد مدفوعات فواتيرك عبر الإنترنـت. والأفضل من ذلك، معرفة إذا ما كان على استعداد لدفع هذه الفواتير نيابةً عنك مرة في الشهر. يرى معظم الأطفال في هذه السن ثقة الآخرين بهم في أمور كهذه أمراً رائعاً. وإذا كان طفلك يحظى بالاهتمام والتشجيع، لأنّه يساهم في أعمال الأسرة، فلن يبحث عن الاهتمام بشكل سلبيّ، عبر مضايقة أخيه الصغرى إلى أن تصل إلى مرحلة البكاء.

وحتى طفلك ذو السنوات الثلاث يمكنه تفريغ مشتريات البقالة، وترتيب خزانـتك. نعم، قد يفعل هذا على نحو أبطأ بكثير مما تفعله أنت، إلا أنه بهذا يساهم في العمل، ويستمتع به أيضاً.

كما يمكن لطفل في الثامنة من عمره أن يُعد المعكرونة على العشاء، بفضل (منتج) راجو. قد لا تكون وجبة متوازنة كاملة، إذ تخلو من السلطة والخبز، إلا أنها ستغذى الأسرة كلها على كل حال.

وفي كل مرة يساعدك فيها طفلك، وتكافئ جهوده بالشكر والابتسامة، فإنك تمنحك الاهتمام الذي يتوق إليه بطريقة إيجابية.

عندما تهتم بطفلك، فإنك تسعى إلى معرفة رأيه، وكسب تعاونه، وتسمح له بالمساهمة في عائلتك، قبل أن يضطر إلى فعل أي شيء لجذب انتباحك. إذا ركزت على هذه الأشياء الثلاثة، فإن أطفالك الباحثين عن الاهتمام، أو الأقواء، لن يزعجوك، بل سيعملون معك جنباً إلى جنب.

### الجميع يحتاج إلى الاهتمام:

نحتاج جميعاً إلى أن يلاحظ الآخرون وجودنا، ويشعر معظمنا بسعادة بالغة متى لاحظ الآخرون وجودنا بطريقة إيجابية.

”مبارك لك ترقیتك!“، تسمعها، فتبتهج.

”لقد كانت تلك جائزة مميزة“، يقولها لك أحدهم، فتبتسم.

يحتاج طفلك إلى نفس الشيء، ولكن عليك أن تدرك أنه يحتاج إلى تشجيعك، لا إلى مدحك.

عندما يحقق ابنك مرتبة ”كبير الكشافين“، فهذا شيء جلل، لكن لا ينبغي أن يكون تعبيرك عن سعادتك بهذا الإنجاز هو أن تقول: ”كم أنا فخور بك يا هارولد! إنه إنجاز كبير. ستكون أفضل قائد كشافة على الإطلاق. ستكون نعمة على الجميع. لا أطيق الانتظار للاتصال بجدتك وإخبارها بالنبأ“، هذا مدح مبالغ فيه، ويركز على الطفل، وينهال عليه دون تفكير كبير. وإن له في الواقع الأمر مردوداً مناقضاً لما يحاول الأب أن يفعله، فـ ”كبير الكشافة“ الذي يعرف أنك تبالغ، وأن أغلب ما تقوله ليس إلا كذباً. إنه يدرك أنه لن يكون أفضل قائد كشافة، فهناك الكثير من الأطفال على نفس الدرب.

فما الذي يجب عليك أن تقوله بدلاً من ذلك؟ ”لا شك أن ذلك يُشعرك بالسعادة. لقد عملت بجد لتحقيق ذلك الإنجاز“، هنا تركز عباراتك على العمل الذي فعله الفتى لبلوغ هدفه. كما أنه أكثر ملامنة لتحفيز طفلك، إذ إنك بتركيزك على العمل تشجعه على أن يقول لنفسه: ”إن بإمكانني تحقيق إنجازات كبيرة إن عملت بجد“، والأطفال الذين يستوعبون هذه الحقيقة يحققون الكثير في حياتهم.

كان ابني الأوسط جوشوا، طفلاً رائعاً ورصيناً، ولكنه تغير في عامه الأول في المرحلة الثانوية، وانضم إلى مجموعة من الأطفال لا تتناسبه. اشتكت المعلمون من كثرة استئذانه للذهاب إلى دورة المياه، فقط ليتسنى له مغادرة الفصل ليتجول في الردهة، وفي الردهة تظاهر بالوقوع على الأرض، ثم التقط صورة على هاتفه الخلوي من تحت تنورة فتاة، وأرسلها إلى أصدقائه الذين تداولوا الصورة بدورهم. علمتُ فيما بعد أن هذا الأمر كان تحدياً بينهم، إلا أنني حينها لم أصدق أنه قد يفعل أمراً كهذا. لم تكن تلك الحادثة سوى بداية لسلسلة من التصرفات فعلها ليحصل على الانتباه في مدرسته، على هذا النحو الخاطئ.

بحلول عامه الثاني في المدرسة، أصبحت تصرفاته تقودني إلى الجنون. وأعترف أنها كانت سلوكيات باللغة الإحراج. كان كتاب "Birth Order" (ترتيب الميلاد) هو أول كتاب أجده مفيداً لي في التعامل معه. قابلت جوش بعد المدرسة ذات يوم، بينما عاد أخواه -الأكبر والأصغر- إلى المنزل في حافلة المدرسة. ذهبنا إلى متنزه للأطفال حتى أضمن ألا يرانا أو يقطع حديثنا أحد. سأله إذا كان يشعر بالتجاهل في المنزل، لكونه محاصراً بين شقيقه الصغير، الذي دائمًا ما يحظى بالاهتمام، وشقيقه الأكبر الرياضي اللامع. تردد قليلاً، ثم قال: "نعم". كانت محادثة طويلة وشاقة، لكننا بدأنا ندرك أن سبب محاولته لجذب الانتباه في المدرسة هو أنه شعر ألا أحد يُغيره أي انتباه في المنزل.

لا يحصل المرء على النتائج في التو واللحظة، لكن الأمور تغيرت ذلك اليوم. اصطحب أخي جوش في رحلة صيد في العطلة الأسبوعية وحدهما. ورحت أحضره من المدرسة مرة كل أسبوع على نحو منتظم. ولكن أدහشتني نتيجة هذه الأفعال البسيطة، فقد تغير جوش، وبدا أكثر سعادة عن ذي قبل، كما أن اتصالات المدرسة راحت تتناقص على نحو سار، والواقع أنني لم أطلق أي مكالمة في الأشهر الثلاثة الماضية، وهذا إنجاز كبير في منزلنا الذي به ثلاثة أولاد في قمة النشاط. لگم يسعدني أنني قرأت كتابك، وعرفت ما كان ابني الأوسط في حاجة إليه؛ أن يشعر بأنه محبوب، وموجود، ومشارك.

لاتريشيا، نيو جيرسي

## نقاط القوة:

- يسعى جميع الأطفال إلى جذب الانتباه، بشكل إيجابي أو سلبي.
- كل سلوك يخدم غرضاً، ويستمر إذا حققه فقط.
- اسع لمعرفة رأي طفلك، واكتسب تعاونه، واسمح له بالمساهمة.
- إنهم لا يهتمون بما تعرف، حتى يعرفوا أنك تهتم.

# 11

## هل طفلك يسعى خلف القوة، أم أنه ذو عزيمة قوية؟

كيف تميز هذا من ذاك، وما الذي بإمكانك فعله  
للمناورة مع دفقات القوة في منزلك بنجاح؟

إن حفيدي أديلاين فتاة ذات عزيمة قوية، فعندما كانت في السادسة من العمر، أجرت مدرستها حدثاً لجمع المال، يعدو فيه الأطفال، وتنافست كل الصفوف على جائزة المركز الأول، ورغم أن أديلاين كانت في مرحلة الحضانة، فقد فازت بالجائزة! فقد أدت إحدى عشرة دورة من الجري، فيما يعادل ثلثين دقيقة من الجري، في حين أن معظم الأطفال ركضوا مسافة دورة واحدة، ثم قرروا أن يسيروا، إلا أديلاين، التي بذلت قصارى جهدها. وليس ذلك هو المجال الوحيد الذي أظهرت فيه إصرارها، فقد كانت زوجتي تدير متجرًا للتحف، ولم يزل لديها كثير من الأغراض من ذلك المتجر في مراينا. عندما كانت ابنتي كريسي، تزين غرفة نوم أديلاين، وجدت هي وساندي خزانة رائعة للغرفة، أثرية المظاهر.

أخرجت كريسي كل أدراج الخزانة، وتمكنت من سحبها بيد واحدة إلى الحجرة (وقد كانت ثقيلة جدًا)، ثم وضعت كل أغراض أديلاين في الأدراج. وفي اليوم التالي نادتني كريسي قبيل المساء مذعورةً.

- أبي، أعتقد أن هناك لصوصاً بالمنزل!

- لم تعتقدين هذا؟!

- لأن خزانة ملابس أديلain في المدخل.

واختصاراً، اكتشفنا أن أديلain لم ترُقها الخزانة، فأخرجتها بنفسها إلى المدخل.

شعرت كريسي بالذهول، وقالت: "لقد دفعت الخزانة بشق الأنفس وهي فارغة"، فسألت أديلain كيف أمكنها إخراج الخزانة إلى المدخل، فحكت لها أديلain كيف أجرت الأمر، وهي تمد ذراعيها لتريها كيف دفعت الخزانة شيئاً فشيئاً، إلى أن أنجزت المهمة.

هنا نجد مثلاً جيداً لطفل عندما يكبر لن يستسلم حتى تكتمل المهمة التي هو بصددها، مهما تكن صعوبتها، وقد أثبتت هذا في تلك السن الصغيرة. والواقع أنها أشد عزماً من جدها العجوز، فقد اكتشفت أنا أيضاً في صغرى أن بإمكانني إنجاز مهام كبيرة. وكانت إحدى لحظات حياتي الفاصلة عندما وجدت أن بإمكاني أن أتحكم في الفصل من خلال إضحاكه، فقد كان بمقدوري أن أتحكم في الناس من خلال إضحاكه الأطفال. ولا شك أنني أزعجت كثيراً من المدرسين على مر الأعوام، بل إن بعضهم رفض أن يدرس في فصل أنا به. لقد كنت طفلاً نازعاً للسيطرة، يستخدم السخرية حتى لا يعبث الآخرون معه. (وعلى أي حال فقد كان هذا أفضل من أن يتنمر عليه طفل تحداه آخر أن يفقدني وعيي).

ونتيجةً لهذا، فقد أحبني الجميع... الطلاب، هؤلاء من أعنيهم، فقد كانت دعابتي تنقضهم من ملل الفصل، ولكنني لم أفك يوماً في استخدام أهدافي النابعة عن البحث عن الانتباه أو المدفعوة بالرغبة في السيطرة من أجل غرض إيجابيٍّ إلى أن كان يوم انفرد بي فيه مدرس حازم في شهر أبريل من السنة النهائية، وقال: "هل فكرت يوماً في استخدام تلك المهارات التي لديك في فعل شيء مفيد في الحياة؟".

حينها قلت لنفسي: "مهارات! لدى مهارات؟"، كانت تلك أول مرة يقول لي فيها معلم إن لدى شيئاً بهذا الاسم. وكانت تلك نقطة فارقة في حياتي.

## هل هي نزعة للسيطرة أم أنها إصرار وقوة عزيمة؟

إن هناك فارقاً كبيراً بيني وبين حفيدي أديلاين، فهي فتاة ذات عزيمة قوية، من ذلك النوع من الأطفال الذين لا يستسلمون حتى يتم إنجاز المهمة التي شرعوا فيها، فهي تأبى أن تصدق أن مشروعًا من المشاريع لا يمكن إتمامه، ودائماً ما تجد سبيلاً أو آخر لإنجازه، مهما يبدُّ مستحيلًا، وفي أغلب الأوقات تنجح في إنجازه. ليس بوعي أن أصبر حتى أرى أي طريق ستختارها تلك الفتاة لحياتها العملية. تكمن القوة التي تحظى بها أديلاين في أبويها الرصينين، اللذين منحاهما الاهتمام الذي تحتاج إليه لتطوير مثل هذا السلوك المتزن، والحازن في الوقت نفسه.

أما أنا ففشلت في جذب الانتباه على نحو إيجابيٍّ، فسعيت وراءه على النحو الآخر؛ السلبيّ. وعندما أدركت كم كانت تصرفاتي مضحكة، وكيف كانت تجلب لي هذا الانتباه الذي أتوق إليه؛ أصبحت أنزع إلى السيطرة. تطور لدى نهم للقوة والسيطرة التي حصلتها بإضحاك الآخرين، وأصبحت مرکزاً للاهتمام، وسعيت نحو المزيد والمزيد من ذلك الاهتمام.

عندما يتحرك الأطفال ساعين خلف السيطرة، فمن المرجح أن يظلوا عطاشاً طيلة الوقت، ولن يروي تعطشهم شيء، فمهما يروا الـ "بيج ماك"، وشرائح البطاطس، والكوكاكولا، إلا أنهم لا يرضون إلا إذا حظوا مع كل ذلك بفطيرة التفاح!

وهناك طريقة أخرى لمعرفة إذا ما كان طفلك قوي العزيمة أم لديه نزعة نحو السيطرة، وهي أن تتبين إذا ما كان طفلك يتصرف في بيئته ما على نحو معاير لتصرفه في غيرها. فمثلاً: هل يتتجح ابنك في المنزل أمامك، ثم يتحدث بشكل لائق مع أي شخصية أخرى لها سلطة عليه؟ أو هل يتصرف أطفالك على نحو طيب في منزل الجدة، ولكن يتحولون إلى وحش كاسرة متى وضعوا أقدامهم في غرفة معيشتك؟ إن هذه إشارة كبيرة تعني أن هناك خللاً في العلاقة بينك وبين طفلك.

إن الطفل هو هو، فماذا في منزلك، أو فيك كممثل للسلطة الأبوية، الذي يغير شكل سلوكه؟ هل تعتقد أن السبب قد يكون هو وجود شخصين نازعين للسيطرة في مكان واحد؟

عندما يبالغ الآباء في استعمال سلطتهم من خلال الإفراط في تأديب الطفل، من خلال لعب بطاقة “أنا أبوك/أمك، وأنا المسؤول هنا”， فإنهم يحفزون هدف القوة لدى الطفل، فمتهى وُجد طفل قويٌّ، فإن أحد الوالدين بالمنزل قويٌّ كذلك. وجود شخصين بتلك السمة في بيت واحد لا يعني سوى التناطح.

فكر في الأمر لدقائق واحدة. متى كانت آخر مرة تناطحت فيها (بالشد والجذب) مع ابنك القوي؟ فهلاً اعترفت بأنك عنيد مثله أو مثلها؟

لا عجب أن الطفل يتعامل معك بكثير من التحفز، ينتظر أن يثبت عليك كما يثبت النمر على فريسته. لقد أصبحت علاقتكما بمنزلة تحدٍ، يحاول كل منكما فيه فرض إرادته على الآخر. وبما أن الأشخاص الأقوية لديهم أجندة للسيطرة، فمعنى هذا في أي علاقة هو أن أحد الشخصين سيصبح المسيطر، والآخر المسيطر عليه. فماذا يحدث إذن لو كان الاثنان يريidan أن يسيطراً؟ ستقطيع الأسلاك، وستنطلق الشارات في كل ناحية من أنحاء لوحة الدوائر.

عندما تبارز مع طفلك القوي، فماذا تقول عادةً إن لم يكن بصوت عالي، ففي عقلك؟ ”لا يمكنك أن تقول ذلك لي (أو تفعل ذلك بي)، لأنني الوالد هنا!“، هذا ما تقوله، ولكن لو كنت حقاً صاحب السلطة، فستكون أكثر ذكاءً من ذلك الطفل، فتختار لا تخوض المعركة، فالشجار عمل ثانئيٌّ، وسيؤدي إلى تصعيد الأمور.

يعرف كل فرد من أفراد الأسرة فطرةً، نقاط الضعف عند بعضهم بعضاً، فهم كالملامkin المتبارين في حلقة التدريب. وإذا تدربت على السجال مع شريك لفترة كافية، فستتعرف على تحركاته. ولهذا يغير الملامكون المحترفون شركاءهم.

يتطلب الأمر من الأب الناضج أن يعترف بأن ابنه الذي يقلقه، يشبهه إلى حد كبير، وبهذا يكون أبياً ذكياً.

لا تننس أننا -نحن الآباء- نميل إلى أن نعكس أحلامنا ورغباتنا التي لم تتحقق على أطفالنا، ولذلك إذا رأينا طفلنا يسير في اتجاه مختلف عما خططنا له في رؤوسنا، يسبب لنا الأمر قلقاً مزدوجاً:

(1) أنه لا يفعل ما أعتقد أن عليه أن يفعله، ما تعرف أنه يجب أن يفعله، وما تريده منها أن تفعله.

(2) سينتهي به الحال، وقد أصابه نفس الفشل والجروح التي مُنيت بها في حياتك.

سأقول شيئاً صادماً: أحِسْن كونك أَبَا أَسْوَأْ، فلَا تحاول جاهدًا أن تفعل أشياء كثيرة من أجل أطفالك. لا تكن من يحل مشكلاتهم، فمن الأفضل أن تقول: ”ليس لدى أدنى فكرة عن إجابة هذا السؤال، ابحث في جوجل عنها، وأخبرني بما تجده“. هذا تصرف أصح لك ولطفلك من إخباره بالإجابة مباشرة، فهو يعلّمه الاعتماد على نفسه.

عندما يصادف شخص قويًّا شخصًا قويًّا آخر، لا يحب أَيُّ منهم الأمر. يحدث الاصطدام، لكن يتراجع كلاهما خطوة إلى الوراء بداعم الاحترام، فهما يدركان أن الشخص الآخر لن يسهل خداعه، أو التلاعب به، أو إقناعه بفعل شيء لا يؤمن به.

إذا كنت قد تعلمت في طفولتك أن تكون مسيطرًا، و كنت تلعب لعبة السيطرة في منزلك وأنت شخص بالغ، فقد حان الوقت للتفكير في ماضيك؛ ما الذي جعلك تتقدم من السعي وراء الانتباه إلى السعي خلف السيطرة، ولا يمكنك أن تساعد طفلك ما لم تتمكن من مساعدة نفسك أولاً. واعلم أنه ما من فرصة للعيش في سلام في مكان يوجد به شخصان يريد كلُّ منهم فرض سيطرته.

## تأديب أم عقاب؟

يسعى التأديب الجيد لتعليم درس قيم، أما العقاب فمعناه: ”رأسيب لك الألم بسبب ما فعلت...“.

التأديب طريقة لطيفة، ولكنها حازمة لتوجيه طفلك إذا ما تصرف تصرفاً خطأً، وصدقني إذا قلت لك إنك في كل مرة تفعل ذلك بطريقة هادئة ومنطقية، يرتفع رصيده في عيني طفلك. وباستعمال مصطلحات طفلك: ”أنت لا تعبث مع أمي وأبي، فهما ليسا أحمقين، ولا يمكنك أن تقول لهما أي كلام فارغ فيصدقاه!“.

هل أنت أحد الوالدين الذي يأمر بالاحترام؟ ولاحظ أنني قلت "يأمر"، ولم أقل "يطلب"!

يقول معظم الناس إنك إذا أدببت طفلاً، فيجب أن تفعل ذلك في أقرب وقت ممكن من ارتكابه الخطأ، إلا أن هذا ليس صحيحاً دائماً، خاصة مع الأطفال الأكبر سنًا. إذا تصرف الطفل على نحو غير لائق في الصباح، فانتظره -أيتها الأم- حتى يعود من المدرسة، وإلى أن يقول: "حسناً، حان وقت ذهابي إلى منزل صديقي سام". وحينئذ تسحبين البساط من تحت قدميه قائلاً: "آسفة عزيزتي، لكنك لن تذهب إلى أي مكان الليلة".

يمكنني أن أضمن لك أنه سيغفر فاه من الصدمة، وستتطاير في الأجواء بعض علامات التعجب، كما قد ينفجر طفالك غضباً ويقول:

"لكن أمي، علينا أن نذهب لنحضره ليأتي معنا إلى النادي".  
فتقولين له إنه لن يذهب إلى النادي أيضاً، وإن عليه أن يتصل بصديقه ليشرح له لم لن يذهب معه إلى النادي.

وإذا ما كان طفالك أكبر سنًا، فقد يقول: "لكن أمي، لقد أخبرت صديقي "تود" أننا سنكون في السينما قبيل الساعة السابعة، وستكون الفتيات اللائي كنا نحاول الخروج معهن هناك أيضاً".

لا تخدعي بمظاهر خيبة الأمل البدائية عليه. نعم، هو ليس سعيداً، ولكنك لم تكوني سعيدة في ذلك الصباح أيضاً بعدهما فعل ما فعل، فإياك أن تتراءجي، وإلا فقدت ما اكتسبته من أرض.

قولي له: "أنتفهم غضبك وإحباطك، لكن لا يمكنك أن تخيل مدى خيبة أمني وانزعاجي هذا الصباح عندما قلت لي...".

عليك أن تفهمي أن ابنك القوي في صراع إرادة معك؛ في صراع لتحديد من له السلطة والسيطرة، فالأطفال الذين انتقلوا بالفعل من جذب الانتباه إلى السعي وراء السلطة والسيطرة هم أولئك الذين يعانون من الإحباط، فالحياة لا تسير على النحو الذي اعتقدوا أنه ينبغي أن تسير عليه، لذلك يعززون سلوكهم القوي. إن الأطفال الذين وصلوا إلى مرحلة السعي خلف السيطرة

سيبقون هناك إلى الأبد، يثرون المتابع والفوسي، ما دام هذا السلوك يجلب لهم ما يسعون خلفه، ويحقق الهدف من ورائه.

الآن وقد عرفت ذلك، فماذا ستفعلين في صراعك القائم على السلطة؟  
إذا تراجعت، فمعنى هذا أنك تكافئين سلوك طفلك. أما إذا وقفت بحزم، واستمررت على هذا النهج، فإنك تقدمين ثمرة سلبية للسلوك القوي الذي صدر عن طفلك.

إن ابنك ذكي، فعامليه على هذا الأساس، وسيتعلم.

### تغيير سلوك الطفل القوي:

تحدّث أحد الآباء معي، والدموع تسيل على خديه، عن قلقه على ابنه ذي الاثني عشر عاماً، فهو يتتمر على زملاء فصله، ودائماً ما يسبب المتابع في المدرسة، وفي كل مكان يذهب إليه. كما أنه لا يذاكر دروسه أبداً، ولا يؤدي واجباته، ولا يكُف عن الشجار مع أبيه وإخوته، جاعلاً من المنزل جحيناً لا يطاق. جرب الأب معه العقاب بأشكال مختلفة، كحرمانه من جهاز الإكس بوكس، أو الخروج من المنزل، ولكن لم يفلح معه شيء.

لم يُبالي الابن بشيء، ولسان حاله يقول: "افعل ما شئت، لا يهمني الأمر!". فالطفل القوي لن يريحك بإشعارك أنك قد تمكنت منه، فهو يقول: "لا أبالى".

فتربيت أنا والأب على هذا الحوار، ثم أجراه مع ابنه:

- بني، أنت في المرحلة الإعدادية الآن، ولا أعرف ما الذي تنوی أن تفعله في حياتك، ولا نوع السيارة التي تخطط لقيادتها، أو أين تريد أن تعيش عندما تكبر، ولا أي عمل ستتحب أن تعمله. هذه أمور تعتمد على مدى نجاحك في دراستك وفي عملك، وعلى تعاملك مع الناس.

أنا أحبك، فأنا أبوك، وأنا على استعداد لأن أفديك بروحـي، لكن بصفتي أباً، فأنا قلق. يبدو أنه إظهارك للأخرين أنك على حق، وأن الجميع على خطأ أكثر أهمية عندك من أن تفعل ما أنت حقاً في حاجة إلى فعله لتكون إنساناً ناجحاً. لست متأكداً من أنك لن تكون عاملاً في مغسلة للسيارات، تغسل السيارات بقية حياتك. ربما تعتقد أن ذلك سيكون

رائعاً. أنت وما تحب على أي حال! وستجني من المال ما يكفيك لشراء علبة من السجائر.

أريدك أن تنظر إلى هذا المنزل. لم نحصل عليه دون عمل جاد، مني ومن أمك. إن عمرك اثنا عشر عاماً فقط. ولم يتبق لك في هذا الذي تراه سجناً سوى ست سنوات. يمكنك قضاء بقية مديتك والابتسامة على وجهك، وسننتم نحن أيضاً في وجهك، كما يمكنك أن تشق على نفسك وعلى كل من في المنزل.

لا أعرف هدفك مما تفعل، ولكنني أراك تستمتع بمحاولتك فرض السيطرة على العائلة بأكملها، وتعيش في عداء مع أخيك. ولكن أتعرف؟ لقد خطر لي منذ بضعة أيام خاطر، وهو أنك وأختك سيحضر كل منكما زفاف الآخر في يوم من الأيام.

الطفل: "نعم، فهي أختي".

- كنت أفكر أيضاً في كيفية معاملتك لأخيك الصغير. أعلم أنه مزعج حقاً في بعض الأحيان، لكنني أعتقد أنني لم أُضف جديداً بقولي هذا. أراك تحط من قدر أخيك طيلة الوقت، لأن هذا يسعدك، فأنت تراه تهديداً، لكن دعني أسألك: ما هي درجاتك التي تحصل عليها في الرياضيات؟ وما هي العادة التي يعاني أخيك منها أشد المعاناة في دراسته؟

الطفل: "الرياضيات، فهو غبي!".

- لقد كنت أحسب أننا نحرز تقدماً، ولكنها كانت ذا تقول إنه غبي. كان من الممكن أن تتوقف عند كلمة "الرياضيات"، ولم تكن بحاجة إلى أن تصفه بالغباء، لكن هناك شيئاً في نفسك يجعلك تحط من قدر أخيك تلقائياً. لستُ سوى الأب الآن، ولكن لو قلت لك كم مرة جاء فيها أخيك إلىي، وهو يبكي أمراً البكاء، لأنه لا يشعر أنك تحبه، فقد تتفاجأ! هل تتذكر في الصف الخامس عندما واجهت مشكلات جمة مع أمك، لأنك تصرفت بعنف بالغ مع أحد الأطفال، لأنه شتم أخاك؟

الطفل: "نعم، أذكر هذا!!"، يقولها وعلى وجهه طيف ابتسامة.

- فاصدقني القول الآن، وأنت تنظر في عيني: هل تحب أخيك أم لا؟

الطفل: ”نعم“، يقولها وقد طأطاً رأسه بعض الشيء.

- إذن، فهل عليك حقاً أن تحط من قدره حتى تشعر بتحسن؟  
الطفل: ”لا أعتقد ذلك.“

- أعرف أنتي لا أستطيع أن أجبرك على أن تكون على غير حقيقتك، ولا على أن تفعل ما لا تحب، ولكنني أؤمن في قرارك نفسي أنك تعرف الصواب. غداً ستفتح صفحة جديدة. آمل وأدعوا الله من أجلكم أن تسير الأمور بشكل أفضل من اليوم. أتمنى أن تكون على استعداد للمحاولة.

ثم طلبتُ من الأب أن يعانق ابنه، وأن يخبره مرة أخرى أنه يحبه. ما الذي دربتُ هذا الأب عليه؟ على أن يخبر ابنه بعبارات واضحة وببساطة، بحقائق الحياة دون استفزازه واستثارة دفاعاته. ولا تننس أن هذا الأب كان يتحدث مع طفل من هؤلاء الواقعين تحت تأثير الهرمونات، فالراهقون غربيون بطبيعتهم، وكل شيء يكون مبالغاً فيه في هذه المرحلة. فهم يستخدمون ”دائماً“ و”أبداً“ طيلة الوقت، فمثلاً: ”أنت تفعل هذا دائماً!“، ”أنت لا تدعني أفعل ذلك أبداً!“، كل شيء عندهم إما أبيض وإما أسود، والحقائق في أعينهم مطلقة.

كما أن الأب بحديثه على هذا النحو يعطي ابنه ما يشغل فكره: ”على الأرجح، ستحضر حفل زفاف أختك، وستحضر هي حفل زفافك يوماً ما...“، إن هذا ينقل التركيز كله من الجانب السلبي إلى أهداف جذب الانتباه، أو السعي وراء القوة، إلى الجانب الإيجابي.

كما أني أيضاً قد قلت للأب أن يبحث عن السلوك الإيجابي. وفي اليوم التالي، كان من الممكن أن يقول ذلك الطفل شيئاً مهيناً لأخيه، لكنه قال شيئاً لطيفاً، فانتهى الأب بالأخ الأكبر جانبًا في وقت لاحق، وقال له: ”لكم سرّني حقاً أن أرى ما فعلته اليوم! حسبت أنك ستتصرف بسخافة، ولكم يسعدني أنك لم تفعل ذلك، وأن تعرف أن الخيار خيارك! بني، لقد اتخذت القرار الصحيح. ما أسعدني وأنا أراك تنضج وتتخذ القرارات الصحيحة!“.

كافأ الأب ابنه باهتمام إيجابي ليحد من سعيه خلف الانتباه بأي شكل، وبدأ أيضاً رحلة مساعدة ابنه على تعلم كيفية تحويل سلوكه المدفوع بالقوة إلى شيء إيجابي.

• لا تخدع طفلك:

إليك ما أعنيه. يصطحب أحد الآباء حسني النية طفله ذا السنوات الخمس إلى وول مارت لمشاهدة الألعاب قبل يومين من عيد الشكر، ويقول الأب في نفسه: ”يا لي من أب ذكي! بهذه الطريقة يمكنني أن أعرف نوع الألعاب التي يحبها طفلي حتى يمكنني شراؤها في أثناء تخفيضات عيد الميلاد“، ويشعر بالرضا عن نفسه.

فماذا يريد الطفل ذو السنوات الخمسة؟ كلّ شيء!

لماذا؟ لأنه في الخامسة من العمر، وهذا يعني أن لديه بطبيعة الحال فترة انتباه قصيرة وسيطرة ضعيفة على انفعالاته. بل والأهم من ذلك أن مهارات تأخير الإشباع منعدمة في هذه السن، وهي أمور ستُضبط بمرور الأيام.

لذا فإن هذا الأب يُدخل نفسه هو وابنه بغير قصد في صراع من أجل السيطرة. ولكنّه مؤسف أنه لا توجد علامة في قسم الألعاب ببورو مارت تقول: “انتبه، فأنت على وشك الدخول إلى منطقة خطرة!”.<sup>1</sup>

لا ينخدع الطفل بعبارة أبيه: "إنما جئنا لنرى الألعاب التي تحبها حتى نتمكن من إخبار العمة أنيتا بما تريده لعيد الميلاد". فعيد الميلاد عند مجرد فكرة مجردة، وقد تكون تلك الأساليب على بعد ألف عام.

وكيف سيكون رد فعله إذا كان طفلاً قوياً؟ إنه يوشك أن يخبر المتجر بأكمله بما يفكر فيه، وهو يخرج منه دون أن يشتري له أبوه ما يريد، وما يريد هو كل ما في المتجر من ألعاب.

يحتاج الآباء إلى التروي قبل أن يتحدثوا ويتصرفوا (وفي بعض الأحيان قبل أن يفعلوا)، وإلا فإنهم يخلقون مواقف تسمح لنزعه أطفالهم نحو السيطرة بمزيد من الازدهار.

• تحسّب للمعركة قبل وقوعها:

أفضل مؤشر على السلوك المستقبلي هو ما حدث في الماضي. ويعني هذا أننا بحاجة إلى أن نكون على دراية بتلك اللحظات الفارقة في الحياة التي تحفّز نزوع الطفل نحو السيطرة، حتى نتجنب الاقتراب من مثيلاتها. نحن

بحاجة إلى توقع ما سيحدث، خاصةً إذا كان الصراع على السيطرة يحدث كثيراً.

على سبيل المثال: لو أن مما يثير معركة مع طفلك ذي الأعوام العشرة أن تقول له إن عليه أن يأكل الشوفان، لأنه مفيد له، فلم تفعل هذا؟ ما أكثر ما يمكن الإفطار عليه غير الشوفان، أليس كذلك؟ أعرف طفلة لا تأكل على الإفطار إلا ما يُقدم كطعام للعشاء، لأنها تكره أطعمة الإفطار، كما أنها لا تحمل اللاكتوز، مما يؤدي إلى التخلص من الكثير منه على أي حال.

إذن فلم تصر على أن يأكل طفلك طعاماً معيناً على الإفطار ما دام ما يأكله يمنح عقله وبدنه ما يحتاجه من طاقة؟

فيبدأ من إثارة المشكلات، قل لطفلك في أثناء تناول وجبة خفيفة بعد المدرسة: «إن علي أن أذهب إلى متجر البقالة في اليوم أو اليومين التاليين، فما نوع الأطعمة التي تريدينني أن أحضرها، والتي قد ترغب في تناولها على الإفطار؟»، وبعد ذلك اشتري -أيها الأب الذكي- أفضل ما تجده في القائمة التي اختارها بنفسه، وبهذه الطريقة يحصل على ما يريد أن يأكله، وتتأكد أنت أنه يتناول طعاماً صحيحاً. ولك الآن أن تبتسم، فقد أوقفت أيضاً الصراع على السلطة، بتوقعك المعركة واللجوء إلى الخطة البديلة.

لم لا تتجنب تلك المناطق التي واجهت فيها المشكلات في الماضي؟  
التجنب يختلف عن الاسترضاء، فعندما تسترضي، فإنك تستسلم لكي يصمت الطفل، وليس لهذا من معنى عنده سوى أنه على الدرب الصحيح للحصول على ما يريد.

ولكن يمكنك أن تجعل طفلك القوي يتصرف بشكل حسن بأن تقتاده بلطف وهدوء وبطريقة دُرست سابقاً؛ طريقة تُحير طفلك، وتجعله يتساءل عما يفعله أبوه، أو أمه.

#### • فليكن تصرفك استجابة، لا رد فعل:

لن تتمكن من نزع سلاح طفلك النازع نحو السيطرة إلا إذا غيرت تفكيرك ونهجك، وما تختاره من كلمات، وما لم يكن تصرفك استجابة، وليس مجرد رد فعل.

إنه لمن الأهمية بمكان أن تكون أنت وزوجتك على اتفاق، وأن تظلا على هذا النحو، فإذا ما كان أحدكمما فقط متسقاً في تصرفاته، وكان الآخر يتصرف على نحو عشوائيٍّ، فلن يزداد ابنك القويُّ إلا قوة، ولسوف يستخدم نزعته تلك لتشتيتكما وتسيِّد الموقف. عليكما كليكما أن تتصرفَا على نحو منهجيٍّ، وأن توحدا جهودكما.

فبدلاً من رد الفعل العاطفيُّ المتمثل في قولك له: "لم تفعل شيئاً كهذا؟"، جرب أن تقول: "لا بد أنك كنت محبطاً أو غاضباً، ففعلت ذلك الأمر، فهل تريد أن نتحدث عنه؟".

إن نهجاً كهذا لا يستفز الطفل، وإنما يلقي بكرة المسؤولية في ملعبه. إذا كان رد طفلك عليك هو الصمت المطبق، فاتركه لحاله الآن، فلعل هذا الطفل الصامت تماماً يقول بصوت عالٍ، لا تسمعه أنت: "لا يهمني قدر ذرة ما تحسبه، ولا ما تفعله!".

اهداً تماماً إليها الأب، فإنك متى لم تكن متدفعاً ناحيته، ستتجده هو متدفعاً ناحيتك، وهذه ظاهرة مدهشة في علاقتك بأطفالك.

كما أن "الاستجابة بدلاً من رد الفعل" تعني أيضاً ألا تضرب تحت الحزام، ألا تجعل الطفل ينغمس في شعوره بأنه مخطئ وكأن هذا نهاية العالم. افعل كما فعل الأب الذي ذكرناه في هذا الفصل، تحدّث مع ابنك حديثاً صريحاً مباشراً، وامنحه فرصة أن يبدأ صفحة جديدة في يوم جديد.

أنت تعرف ما يستفز طفلك تماماً كما يعرف هو ما يستفزك. ولذا فأنت تعرف أن إيماءة جسد معينة، أو كلمة أو تعبيراً بعينه يستثيره، فلا تلجلجأ إليه. تذكر دوماً أنك مصدر الطاقة، ولذا إن أردت أن تخفّض من طاقتة، فخفض من طاقتك أنت أولاً.

احذف هذه الردود من مفرداتك:

- "ماذا دهاك؟".
- "إننا لم نواجه هذه المشكلة مع أخيك قط!".
- "حقاً؟ إنك تتصرف كما لو كنت طفلاً في الثالثة!".

لو أذك أبقيت نفسك بمنأى عن استفزاز طفلك، بكفه عن رد الفعل العاطفيّ، فلن تضطر أو تندفع، فتقول أو تفعل شيئاً يشعل الموقف كله. سيزيد طفلك من حدة تصرفه إن زدت من حدة تصرفك، وسيهدأ إن هدأت. أضمن لك ذلك.

### أفكار قوية ناجعة:

غيرةنا أنا وزوجي كلانا وظيفتنا في نفس العام. لم يعد بإمكانني أن أقلّ ابنتنا بيكي من مدرستها الابتدائية، وتحتم على أندى، اختها الصغرى، أن تذهب إلى الحضانة، بدلاً من البقاء في المنزل معي كما كان الأمر، لأنّي لم أعد أعمل من المنزل.

كانت بيكي طالبة رائعة، لكن درجاتها بدأت في التدهور. وعرفت أنها بدأت تتصرف في الفصل على نحو مزعج. وذات يوم أشعلت النار في سلة المهملات الخاصة بمدرستها، وعندما سألتها لمَ فعلت ذلك، قالت: “لكي نضحك”. تذكرت ما قلتَه في ندوة عن التربية بخصوص الأطفال الذين يسعون لجذب الانتباه، وأنّهم إذا لم يجذبوه، فإنّهم يجبرونك على منحهم إياه. كان هذا هو الموقف.

قررت أنا وزوجي التوفيق بين جداول العمل حتى يتمكن أحدهما من توصيل البنتين في الصباح، والآخر من إحضارهما. آمل أن يوافق مديرِي قريباً على طلبي؛ أن أعمل يوماً من المنزل. أعرف أنه ليس الوضع المثالّي، ولكن الحياة ليست مثالّية أيضاً. وها نحن نحاول على كل حال.

تامي، نيو هامبشاير

### نقاط القوة:

- هناك فارق بين الطفل ذي العزيمة القوية، والطفل النازع للسيطرة.
- القوة تورث القوة.
- اعرف نقاط الاستفزاز، وتجنب المعركة.
- الاستجابة بدلاً من رد الفعل.



## 12

### أنت الراشد، وهم الأطفال

ترجع طبيعة طفلك القوي إليك في المقام الأول؛  
إلى خلفيتك، وجهات نظرك التربوية.

أن يكون لديك طفل، أمر يشبه إلى حد ما أن يكون لديك جرو. ها أنا قد قلتها! لقد حاولت في كتابي السابقة أن أجنب هذا القول، إلا أنني كلما تقدمت في السن، رأيت أوجه التشابه بوضوح أكبر.

ففي حالة الجراء، عليك أن تأخذ وقتاً في تدريبهم، وإلا تبولوا على سجادتك الثمينة، ولكن لتنمك من تدريبهم، عليك أولاً أن تنتبه إلى ما يفعلون، فمثلاً: ندما يبدأ ”فيبدو“ في اتخاذ هذا الوضع على الأرض، حيث تعلم أنه على وشك قضاء حاجته، عليك أن تحمله بأسرع ما يمكنك، وأن تأخذه إلى الخارج، وتضعه في منطقة عشبية. وحينها يفهم، ويقضي حاجته. ثم تربت على رأسه، وتكافئه ب الطعام أو شيء يحبه.

سرعان ما يدرك الكلب أنه رغم أن قضاء حاجته على السجادة الثمينة أمر سهل، فإن قضاءها بالخارج أجمل، حيث يشم كثيراً من الروائح الرائعة، أفضل بكثير من رائحة السجادة، كما أنه هناك يحصل على مكافأة بعدها.

سرعان ما تصبح العملية عادة مكتسبة. كلبتنا روزي، تبلغ من العمر 9 سنوات، لكنها لا تزال تحصل على مكافأة عندما تقضي حاجتها بالخارج.

ومؤخرًا وفقط لترىني كم هي كلبة ذكية، راحت توقظني في الواحدة والنصف صباحاً، ومرة أخرى في الخامسة صباحاً، معلنة عن رغبتها في الخروج، فأخرجها، وأعطيها مكافأتها.

تقول لي زوجتي التي ترى أنها تفهم أكثر مني في علم النفس: "ليمي، إنها تخدعك!".

ولكم هو مضحك أن روزي تجيء إلىي، لا إلى ساندي، لأنها تعلم أن ساندي لن تستيقظ. إنها تخدعني على الأرجح، ولعلها تتلفت يميناً ويساراً، ثم تأخذ قرارها: "أريد مكافأة، وإذا أيقظت ذلك الرجل السمين، فسيفتح الباب، فأخرج وأتظاهر بقضاء حاجتي، وعندما أعود أحصل على مكافأتي".

إلا أنني لست بكل هذا الغباء، فعندما تقف عند الباب وتنتظر إلىي، ثم لا تخرج من الباب، أعرف فيما تفكرا، فهي ليست في حاجة حقيقة للذهب، وإنما تتلاعب بي. لذا لا أعطيها مكافأتها، وأعود إلى الفراش.

### ليس لديك أي احترام!

هل سبق لك أن اقتربت من كلب جامح يثبت عليك ويتسلك، ويخدشك بأظفاره؟ ليست تجربة ماتعة. إن الأطفال الذين لم يربوا على نحو يجعل منهم محترمين، والذين ليس لديهم احترام لممتلكات الآخرين والوقيعين؛ ليس من الماتع الوجود في مكان واحد معهم.

ولهذا فمن المهم للأباء أن يكونوا آباء بحق، وأن يبذلوا الوقت لتدريبأطفالهم. يجب تطبيق الاحترام المتبادل في جميع الأوقات. يجب ألا يسمح للأطفال الأقوياء بأن يتعاملوا على نحو أمر مع أمهم أو أبيهم، أو أخيهم أو أختهم. إن على الجميع اتباع "القاعدة الذهبية" في جميع الأوقات (عامل الآخرين كما تريده أن يعاملوك).

لكم أحب رؤية حفيدي؛ كونر وأديلاين، عندما يلتقيان الناس، فهما في غاية الأدب، فيقولان "شكراً لك"، و"تشرفت بمقابلتك". إنهم لطيفان، ومraigيان لمشاعر الآخرين، ولهم هو ماتع أن تكون برفقتهم!

هذا لأن ابنتنا كريسي وزوجها دينيس، قد جعلا همّهما تدريب أطفالهما بالطريقة التي يجب أن يسيرا بها، فوفرا بيئه من الاحترام المتبادل،

واللطف... والتأديب المتوازن عند الحاجة. وكما ترى، فالسلوك أمر يكتسب ويُتعلم، فالإنسان يتكيف مع أي بيئة يكون فيها.

كان لدى صديق، أستاذ جامعيٌ، لا يستيقظ من نومه من تلقاء نفسه، فكانت زوجته تضطر إلى إيقاظه، لأنه كان يواصل نومه حتى وإن رن المنبه. ورغم ذلك فعندما يسافر، يصطحب معه منبهًا صغيراً يرن رئناً خفيفاً قبل أن يصبح بأعلى صوته، وفي كل مرة يستيقظ قبل أن يُدوي المنبه.

سوف يتكيف طفلك أيضاً مع أي بيئة يوجد فيها. أما إذا عرف أن أمه أو أبيه سوف يُسعفانه فيما يصادفه من مشكلات، فسوف يضع نفسه في كثير من المواقف لا يعرف كيف يتصرف فيها. ومع تدخل الآباء والأم في كل صغيرة وكبيرة يصبح أكثر قوة في سلوكه، لكنه يصير أضعف شخصية، وأقل قدرة على التعامل مع الحياة بمفرده.

إذا كان الآباء والأم يتحكمان بشكل صارم في حياة الطفل، ولا يسمحان له حتى بارتكاب الأخطاء، فسيجد سبيلاً أو آخر للتمرد على تلك السلطة، سواء كان هذا على نحو هادئ أو صاخب.

ولكن ما الداعي إلى أن يضطر الآباء إما إلى جعل أطفالهم يتحكمون في حياتهم، وإما إلى التحكم في حياة أطفالهم بشكل صارم يكاد يخنقهم خنقاً؟ إن من الأسهل بكثير أن نقيّم أطفال الآخرين، وأن نغفل عن أطفالنا نحن، أليس كذلك؟

إن طريقتك في تربية أطفالك لها علاقة وطيدة بالطريقة التي نشأت بها، ومنظورك للحياة؛ ذلك المنظور الذي طورته نتيجة لنشأتك تلك. وأطفالك الآن يحذون حذوك.

والآن، متى تشعر بقيمتك؟

لدي سؤال لك. إذا كان عليك أن تتم هذه العبارة: «لا أشعر بقيمتى إلا عندما...»، فماذا ستقول؟

تذكر أننا جميعاً نميل إلى التصرف على النحو الذي تملّيه علينا رؤيتنا للحياة وترتيب ميلادنا. يصدق كثير منا تلك الكذبة التي مفادها: لا أشعر

بقيمتى إلا عندما أحقق إنجازاً، أو أفوز بالجائزة، أو أخدم الآخرين. وهي آراء غُرست وغُزرت فينا في السياق الاجتماعي لعائلتنا ونحن نكبر شيئاً فشيئاً. فلو أنك الشخص المتسنم بالمسؤولية في عائلتك، فهناك على الأرجح سبب لذلك. أنت الابن الأول. وعندما كان أبواك يريدان شيئاً ما، لم يطلباه من أخيك الصغرى، التي كنت متى طلبت منها أن تشير إلى الشمال، كان احتمال أن تجib بشكل صحيح هو الرابع. أما أنت، بروحك التنافسية الممزوجة بنزعة نحو الكمال والمثالية، فقد كنت تسهر طيلة الليل تذاكر استعداداً لامتحان الكيمياء. كما أن هذا المشروع الرائع الذي نفذته في مادة العلوم لم يرق إلى مستوى توقعاتك فقط.

فلنواجه الأمر: إنك بارعة في اكتشاف عيوب الآخرين، لكنك أكثر قسوة على نفسك. بل إنك تتذكرين بوضوح أنك أفضيت إلى صديقتك على الغداء خلال سنتك الأخيرة لأنك شعرت بأنك محظوظة، لأنك حصلت على مثل هذه الدرجة العالية في اختبار اللغة الإنجليزية. لقد واجهت صعوبة كبيرة في تصديق أنك كنت طالبة جيدة، لأن صوتك خافتًا بداخلك يقول لك إن بإمكانك أن تفعلي الأمر على نحو أفضل.

”الراحة والاسترخاء“، ليسا من سماتك. ولو أنك صريحة مع نفسك، فإن كونك ”مدفوعة“ هو وصف دقيق لك، أليس كذلك؟ ولا عجب! فقد كان والدك يتحدث دائمًا عن مدى فخره بك. كما أصر على أن تتقدمي إلى أرقى جامعة في الولايات المتحدة، رغم أن التحاقك بها قد كلفه معظم ما تقاضاه لدى تقاعده، أو ربما كان والدك مُصرًا على أنك ستفوزين بالجائزة الكبرى في رمي كرة البيسبول. لقد سمعت والديك يتحدثان عنك، وازدادت دافعيتك.

### سنوات نموك:

هل نشأت في منزل اعتاد فيه أبواك أن يخبراك بما يتعين عليك فعله، وكيف ومتى تفعله، وهدداك بعواقب وخيمة إذا لم تفعل ما قالاه؟ لو كنت نشأت مع أبوين لا يتفقان حتى على زرقة السماء، فإنك تحصل على جرعة مضاعفة مدمرة من النزوع للسيطرة، أم هل نشأت في منزل تفتلت فيه من عاقبة أي خطأ تفعله، مهما يكن؟

ما هي الأفكار العامة عن الحياة التي كونتها نتيجة لذلك؟

لاأشعر بقيمتى إلا عندما أفعل ما يفترض أن أفعله، عندما أجعل الآخرين سعداء.

لاأشعر بقيمتى إلا عندما أكون مسؤولاً.

إن للأفكار العامة عن الحياة التي طورتها علاقة وثيقة بكيفية تربيتك لأطفالك.

هل طفلك لا يشعر بأهميته إلا إذا أحرز هدفاً في مباراة السلة، أو فاز بمنحة الجدار الوطنية، أو إذا التحق بمدرسة مرموقة، أم أنه يشعر بأهميته، لأنه مخلوق فريد من نوعه، خلقه رب بديع، ولأن لديه مواهب وقدرات يقدمها للعالم ليجعله مكاناً أفضل؟

إذا كانت علاقتك سيئة مع أبيك أو أمك، فخمن من سيدفع الثمن؟ هؤلاء القريبون منك، في منزلك الآن. ستكون سريع الاتساع، تغضب بسهولة، وعرضة لصراعات السلطة مع طفله، ذلك الطفل الذي يشبهك كثيراً.

ولو كنت طفلاً يسعى لجذب الانتباه، ثم أصبحت طفلاً تحركه نزعة السيطرة، فستكون على الأغلب ذلك الأب الذي يتناطح مع طفل القوي. الأطفال الأقوياء لا يحبون الأشخاص الأقوية الآخرين، لكنهم يحترمونهم.

إذا كان والداك يسيطران عليك بشكل صارم، فستميل إلى أن تكون أبياً استبدادياً.

إذا كنت قد عشت في منزل شعاره "كل شيء على ما يرام"، فستميل إلى أن تكون أبياً متساهلاً.

دائماً ما نقول إننا لن نربى أبناءنا كما ربّانا آباءنا، إلا أننا نرتكب نفس الأخطاء التي ارتكبوها مراراً وتكراراً، ما لم نتخذ قراراً واعياً بأن نكون مختلفين، وأن نتصرف بطريقة مختلفة.

### الأب المستبد: «الأب أعلم!»

نحن الكبار أسرى للعادة. نفترض أننا نعرف أكثر من أطفالنا لمجرد أننا أكبر منهم. و يجعلنا هذا أعلى شأناً، ويجعلهم هم أقل شأناً، أو هكذا يستدعي المنطق. نعرف ما هو الأفضل لأطفالنا، ولذلك نضع مطرقة السلطة الأبوية

فوق رؤوسهم. هذا هو ما يُدعى النظرة السلطوية للأبوة، وهي تخلق طغاة يسعون جاهدين لاستعادة بعض السلطة إلى ساحتهم.

الآباء المستبدون عنيدون كأطفالهم. يقابلون السيطرة بالسيطرة. قد ينجح الموقف الاستبدادي عندما يكون أطفالك صغاراً، ويمكن السيطرة عليهم، لكن عليك أن تحترس عندما يكبرون، فسوف يتمرسون بطرق أكثر مما تخيل. تعتمد معظم العملية التربوية على نمط العلاقات “الأعلى/الأدنى”:

- ”تناول هذا الطعام، فهو مفيد لك“.
- ”لا تستلق على مقعدك على هذا النحو، وإلا انكسرت رقبتك“.
- ”انتعل حذاءك، فالحافلة قادمة، وستتأخر“.

فما الذي يقوله ذلك الأب بعباراته تلك؟ يقول: الراشدون أكبر من الأطفال، ولذا فهم أفضل منهم. هذه هي النظرة التقليدية للأبويين. على سبيل المثال: في عام 1960، عندما كان كينيدي رئيساً للولايات المتحدة، كان الرجال يعتبرون أفضل من النساء، والنساء أفضل من الأطفال.

وكان معنى هذا أنه من المقبول أن تخرج طفلك إحراجاً كبيراً من أجل تحقيق أهدافك. ”جوني، لقد أعطيت السيدة سميث هدية رائعة للتو، وعليك أن تقول: شكرًا لكِ“.

إنك خير معلم لطفلك. والسؤال هو: ما الذي تعلمه بالضبط؟ إذا كنت تخبر طفلك على الدوام بما يجب عليه فعله، وتتخذ القرارات نيابةً عنه، فإنك لا تحترمه على الإطلاق، فحينها سيرى طفلك ذلك على أنه قهر، وهو محق في ذلك.

في مجتمع ديمقراطيٍ، إذا كان من حقك أن تقهري، فما حقي؟ أن أقهرك. لا عجب أن ينجب الكبير النازع للسيطرة طفلاً نازعاً للسيطرة. صحيح أن طفلك لا يمكنها شراء ملابسها الداخلية لولا شراؤك لها، ولكن لا تنسي أن هذه الطفلة ستكون هي المسئولة عن مشترياتك في يوم من الأيام.

## الوالد المتساهم: (شعاره: «كيفما شئت عزيزي»)

عادةً ما تؤدي الطريقة المتساهلة في التربية إلى صناعة شيء واحد.. الطغاة. إذا كان لديك طفل كثير المطالب، فلعل ذلك بسبب أن أحد أبويه متساهم؛ يفعل كل ما في وسعه ليظل صغيره المدلل المتعطش للسلطة سعيداً، لأن تعطيه مفاتيح السيارة رغم أنه حصل على مخالفتين للقيادة بسرعة كبيرة.

ولكن كما قلت في كتابي "Have A New Kid by Friday" (كيف تغير سلوك طفلك): الطفل غير السعيد طفل صحيٌ. فهناك أوقات يتعمّن فيها أن يكون طفلك النازع للسيطرة غير سعيد، لأنه تصرف بشكل غير لائق وغير محترم، ولأنك تريد كبح جماحه. إذا أراد حقاً أن يحيا حياة سعيدة، فعليه أن يعرف أنه ليس مركز الكون. فالحياة لا تتمحور حوله، وأفكار الآخرين وأراؤهم جديرة بالاهتمام، إذ بإمكانه أن يتعلم منهم.

أخبرتني أم غاضبة أن ابنها لا يحبه أقرانه. وعندما أسهبت في التوضيح، عرفت السبب. فقد اتضح أن الطفل وجد نازع للسيطرة، فمن يحب أن يكون صديقاً لطفل كهذا؟!

قلت لها: "لعل هذه لحظة تعليمية لطفلك، فمن المفترض أن يُلفت انتباذه إلى سبب عدم حب الأطفال الآخرين له، إذ لا أمل لديه في التغيير ما لم يعرف السبب".

جُن جنون الأم: "كيف تجرؤ على قول هذا! إن ابني بخير، والمشكلة في سائر الأطفال!".

فقلت في نفسي: "عفواً سيدتي، إن مشكلة ابنك هي أنت، لا أحد سواك". لقد كانت الأم في حاجة إلى التوقف عن حماية الصغير، واحتلاق الأذار له. وإلى أن يحدث هذا، فلا مجال لإحرار أي تقدم.

من واقع خبرتي أعرف أن العديد من الأمهات اللواتي يُظللن أطفالهن بحماية فائقة، ويدعنن أطفالهن الأقوباء يخدعونهن، ويتلعبون بهن هن أنفسهن؛ كُنْ ضحية لمعارك الحياة. إنهن جريحات، ولطالما تعرضن للإساءة، في سنوات طفولتهن أو حتى في زبحة حالية، أو سابقة.

الآباء المتساهلون هم من ترتعش أيديهم، وهم يجررون طفلهم المتمرد، ويقصدون طيباً نفسياً يكلفهم 225 دولاراً في الساعة، ليقول إن الطفل يعاني من "اضطراب المعارضة والتحدي ODD"، كل هذا من أجل إيجاد مبرر لسلوكه، في حين أن ما يحتاجون إليه حقاً هو إمساك الطفل، والتحدث إليه بصرامة: "بني، هناك أرضية مشتركة يجب أن نسير عليها جميعاً في هذه العائلة. لا بد أن نحترم بعضنا بعضاً. وإذا أردت الحقيقة، فأنت في الثامنة عشرة من عمرك، ويمكنك أن تجد لنفسك شقة، وأن تفعل ما تشاء، ولكن ما دمت تعيش تحت هذا السقف، فلن تتحدث مع أي شخص في هذا المنزل إلا بكمال الاحترام، وستعيش وفقاً لما اتفقنا عليه من قواعد".

يبدو أن آباء اليوم يشعرون بحاجة مبالغ فيها إلى أن يحبهم أطفالهم. بل إن بعضهم يبذل قصارى جهده ليكون "رائعاً" لعل طفله يحبه. علينا أن ندرك أن هذا غباء شديد. يمكن لطفلك أن يحظى، وسيحظى بكثير من الأصدقاء في حياته، ولكنه لن يكون له سوى أب واحد وأم واحدة.

أنت أبها الأب أو أيتها الأم، مفتاح نجاح طفلك. إذا سمحت لطفلك بإطلاق العنان لنزعته نحو السيطرة، فسوف يكون كسمكة قرش كبيرة تلتهم فريستها. لن تقدر على إمداده بما يكفي من الطعام. يتغذى الأطفال الأقواء على المواقف التي يخرجون منها فائزين، مما يعني بالطبع أن هناك شخصاً خاسراً، وهذا مدمر للعائلة بأسرها.

### الأب العازم: النظرة المتوازنة

قد لا يحب الأطفال أبوיהם طيلة الوقت، لكنهم يتوقفون إلى شخص يضع القواعد والإرشادات، فالقواعد تعني السلامة، ودون قواعد وحدود، يشعر الطفل بعدم الأمان. ونحن كبالغين، عشنا عمراً أطول، وخبرنا من الحياة ما لم يخبره أبناؤنا. لا يعني هذا أن أطفالنا أقل قيمة، لكن يعني أنهم لم يواجهوا نفس القدر من العواقب المترتبة على الفعل كما واجهنا نحن.

ليس هناك إنسان أفضل من آخر، ولكن بصفتك أمّا، فأنت قد وافقت على تحمل حزمة مختلفة تماماً من المسؤوليات. إذا كنت تظن أن هذا غير صحيح، فأطلق نظرة على الفرق بين الطريقة التي يُعامل بها القاصرون والبالغون عند ارتكابهم نفس الجريمة.

إذن فأنت البالغ هنا، فتصرف من هذا المنطلق، فلتكن الوالد الذي عليك أن تكونه. إن لم تفهم هذا المبدأ الأساسي، فلن تمضي الحياة على ما يرام، لا معك ولا مع أبنائك، لا في الوقت الحالي، ولا في المستقبل.

عندما تكون أبياً حازماً، فمعنى هذا أنك تدرك أن دورك هو أن تمارس القدر المناسب من السلطة على أطفالك، وأنك تحبهم، فإنك توفر لهم المسكن، والغذاء، والأمن، والتعليم، وبعض وسائل الراحة في الحياة، ولنفس السبب تسهر عليهم عندما يمرضون، وتغسل ثيابهم وقاذوراتهم، وتُقلّهم عندما يتصلون بك، وهم بأماكن لا يعرفون كيف ذهبوا إليها، وانتهى الحال بهم فيها.

كآباء، بدلاً من إصدار الأوامر النافذة من على، علينا أن نمنح أطفالنا خيارات مناسبة لأعمارهم. وأن نعلم أنهم سيختارون بحكمة في بعض الأحيان، وأنهم سيسيئون الاختيار في أحيان أخرى، ومع هذه الاختيارات تأتي العواقب خيراً بخير، أو شرّاً بشر.

إن نجح سلوك طفلك، فسيستمر في فعله، إلى أن يتوقف سلوكه عن تحصيل النتائج المرجوة.

### أساس متين:

ستخبرك زوجتي الجميلة، السيدة أبينجتون، أنني لست ذا جدوى كبيرة في المنزل. بل إنني لم أزل أحاول حفظ أسماء الأدوات المنزلية حتى يمكنني أن أحضر لها الأداة المناسبة متى طلبتها. ورغم ذلك، فقد أمضيت ستة عقود على هذه الأرض، وأعرف أن أي مبني في حاجة إلى أساس متين، فإذا لم يكن الأساس مناسباً، فسينهار البناء.

منذ سنوات بعيدة في طفولتي، حفظت أغنية كلماتها: "بني الرجل الحكيم منزله على الصخرة، وبني الجاهل بيته على الرمال". وكلنا يعرف قصة ثلاثة خنازير صغيرة. واحد فقط من هذه الخنازير كان ذكيّاً بما يكفي لبناء منزله من الطوب. نعم، استغرق الأمر وقتاً أطول، لكنه كان جديراً بهذا الوقت.

إن المجتمع الذي نعيش فيه اليوم مجتمع خطير، فما أكثر الذئاب الشريرة التي قد تلتهم طفلك دون أن يرمش لها جفن!

ما نوع الأساس الذي تقدمه لأطفالك؟ رمل؟ قش؟ أغصان أشجار؟ أم كتل أسمنتية؟ إذا كنت تستخدم أي شيء آخر غير الأسمنت، فليس هذا بفكرة صائبة. أعرف ذلك، لأن السيدة أبينجتون، ميكانيكي المنزل، أخبرتني به، بل أثبتته لي وهي تبني سورا حول المنزل، وأنا أستمتع ببعض البيبيسي.

فما أهم ما يريده طفلك؟

• الشعور بالتقدير.

• أن يكون محبوبًا دون قيد أو شرط.

• أن يؤخذ على محمل الجد.

• أن يساهم في عائلتك.

تلك هي الأساس التي تشبه الكتل الأسمنتية: أساس صلبة وُضعت لتذوم. فأي نوع من الآباء تميل إلى أن تكون الآن؛ سلطويًا مستبدًا أم متسامهلاً؟ كيف يمكنك أن تتغير لتصبح ذلك الوالد المتوازن، الحازم الذي عليك أن تكونه، من أجلك ومن أجل طفلك؟

### أفكار قوية ناجحة:

لم يكن لدي أي فكرة عن القدر الذي أثرت به تجربتي مع والدي المسيء في علاقتي مع ابني، حتى العام الماضي. لطالما كان "هال" طفلاً يصعب السيطرة عليه، وازداد الأمر سوءاً عندما انفصلنا أنا وزوجي. في تلك الأيام لم يكُن "هال" يرى أباء. وبمرور الأيام راح احترامه لي يقل، حتى إنه راح يشتمني أحياناً. تغافلت عن الأمر، فاستفحلا.

ثم سمعتكم تتحدثون عن كيف أن النساء اللواتي تعرضن للإيذاء في أثناء نشأتهن غالباً ما يتحملن مسؤولية ليست مسؤولياتهن، قلت إنهن لم يأتين إلى هذه الدنيا ليُكَفَّرُوا بمنزلة ممسحة أرض لإنسان ما، فعقدت عزمي، واتخذت موقفاً صارماً، وقلت لابني إنه ما دام يعيش تحت سقفي، فعليه أن يتعامل معك بمنتهى الاحترام. نظر إلى مصدوماً، وسبني بما لعن أكرره، فطردته من المنزل. وبعد أن قضى لي ليلتين بمنزل صديق من أصدقائه، عاد إلى المنزل معتذراً.

والآن قد مرت ثلاثة أشهر منذ عودته، فلم يعد يلومني على رحيل أبيه، كما  
أني لا أراه صورة من أبيه. وهذه بداية جديدة جيدة لي وله.  
ماريلي، وايومنج

### نقاط القوة:

- السلوك شيء يُتعلم.
- غالباً ما يقول الأب، ويفعل نفس الأشياء التي قالها، أو فعلها له أبوه وأمه (حتى إن قال لنفسه إنه لن يقول أو يفعل هذه الأشياء مع أطفاله أبداً).
- عليك أن تكون الأب الحازم الذي تحتاج إلى أن تكونه.



## 13

### أي نوع من الأطفال تريده؟

اقتراحات ناجحة لك وله، لإخراجك مما أنت فيه إلى حيث تريده.

في أثناء قيادتي للسيارة في شارعي في أريزونا ذات يوم، لاحظت ما يبدو كصخرة صغيرة، غير أنها كانت تتحرك. ترجلت من السيارة، وبدنوت لأجد سلحفاة صحراوية، ففعلت ما يفعله كل جدّ: أخذت السلحفاة فرحاً إلى حفيدي كونر، فهو يعيش السلاحف الصحراوية.

سعد كونر بالسلحفاة أيمًا سعادة، ولم تمض لحظات حتى كان في الفناء الخلفي، يبني بيئاً لها، ويلهو معها. أسمها جورجينـا، واعتنى بها كما لو كانت ملكة. ومضىاليومان التاليان على أطيب ما يكون.

ثم تلقيت مكالمة من كريسي: “أبي، هل رأيت اللافتة التي وضعـت في حينـنا؟ إنـها تقول إنـ السلحفاة مفقودـة.”

قلت لنفسي لا بد أنها هي السلحفاة التي وجدتها، وقلت لكريسي: ”سيحزن هذا الأمر كونر حزناً شديداً، ولكن عليك أن تفعلي الصواب على كل حال.”.

كان المسكين كونر في السادسة من عمره في ذلك اليوم.

فكرت كريسي، وهي الأم المتوازنة والناضجة التي تمرست على أساليب آل ليمان، فكانت نعم الأم الحازمة، ولم تكن متساهلة ولا مستبدة؛ فكرت كريسي كيف تعرض الأمر على ابنها.

فقالت له: ”كونر، هناك شيء أريد أن أخبرك به. أريدك أن تأخذ جولة معي في السيارة“، وعبرت به بجوار اللافتة: ”سلحفاة مفقودة“.

لقد قال وجه كونر كل ما يمكن أن يُقال: ”علم أن اللافتة تقصد سلفاته، ولم يكن يريد بأي حال أن يعطي جورجينا لأي أحد، لأي سبب“.

فقالت كريسي بلطف: ”أتعرف يا كونر، ربما تكون السلفاة التي عثر عليها جدك هي سلفاة ذلك الشخص“.

شعر كونر بحزن كبير.

لو أن كريسي تقمصت دور الأم المستبدة لقالت: ”كونر، هذه ليست سلفاتك. إنه تخص شخصاً آخر. علينا أن نتصل بهذا الرقم، ونعيد السلفاة لصاحبها“.

وهذا التصرف شبيه بأن تمسك بالطفل من خناقه، وتتخذ قراره نيابةً عنه، دون أن تأبه لرأيه، كأنك تُملي عليه القرار النافذ الذي لا يمكن أن يرد.

ولو أنها تقمصت دور الأم المتساهلة لقالت: ”أوه، عزيزي، أنا على يقين أنها ليست السلفاة نفسها، وحتى لو أنها هي، فقد أصبحت ملك الآن“.

ولن يكون تصرف كهذا سوى إخفاء لكل قاذورات المنزل تحت السجاد، والظاهر بأنها غير موجودة، إلى أن تنبت بذور طعام طائرك التي كانت في تلك القاذورات وتخرج عبر سجادتك. لا، لم تفعل كريسي هذا، فقد كانت أمّا حازمة، بل لعبت دور الأب، وتركت الكرة في ملعب ابنها. أخبرته بالحقائق؛ كيف وجدت السلفاة، وأين وجدتها، وأنها لم تتمكن عنده سوى ثلاثة أيام، وأن هناك شخصاً في الجوار عاشت لديه لسنوات، ثم تركته يفعل ما يراه الصواب. ولم تقل له سوى: ”كونر، عليك أن تتصرف التصرف الصائب“.

لا، بدلاً من ذلك، كانت كريسي أحد الوالدين الموثوقين. كانت الشخصية الأبوية، لكنها وضعت المسؤولية في محكمة كونر. أخبرته ما هي الحقائق حول كيف وأين وجدت السلفاة، وأنهم حصلوا عليها لبضعة أيام فقط، وأن

هناك رجلاً في الحي لديه سلحفاة لسنوات عديدة. ثم تركت الأمر له ليقرر ماذا يفعل. كل ما قالته كان: «كونر، عليك أن تفعل الشيء الصحيح». استغرق كونر يوماً للتفكير في الأمر. كان بإمكانه فعل ما يشاء، لكنه اختار أن يفعل الشيء الصحيح.

كان الرجل يعيش على بُعد شارعين. شعر بسعادة كبيرة عندما تلقى المكالمة، وقال: «سأتأتي على الفور». لم تمضِ لحظات حتى جاء شخصان؛ جد وشاب. كانوا متلهفين لرؤيه سلفاتهما مرة أخرى، إلا أنها لم تكن سلفاتهما، فجورجيما كانت أكبر.

لقد حسب الجميع أنها سلحفاة الرجل، بل إن الرجل كان على يقين من أنها سلفاته، حتى إنه أحضر سلفاتين صغيرتين؛ واحدة لكونر، وواحدة لأخته أديلاين.

وهكذا لم يفعل كونر الشيء الصائب وحسب، بل احتفظ بجورجيما كذلك. هل سبق لك أن رأيت طفلاً يلتهم شطيرة زبدة الفول السوداني والمربي، ملطخاً وجهه، أو طفلاً قد تناول لتوه مخفوق الشوكولاتة؟ إذن فأنت تعرف كيف تبدو جورجيما عندما تأكل غدائها المفضل. في كل عام تثمر صبارتنا القبيحة أجمل الثمار الحمراء، والسلاحف تعشق تلك الثمار. إنه منظر مبهج، ولا أدرى، عندما أنظر إلى الصور، أيهما صاحب الابتسامة الأجمل: جورجيما وقد تلطخ وجهها بالأحمر، أم كونر وهو يحملها على ذراعيه؟!

كلما رأيت كونر مع تلك السلحفاة،أشعر بالسعادة لثلاثة أسباب: المتعة التي يحظى بها كونر، ولأمه التي جعلت من الموقف مناسبة لتعليمه درساً قيماً، ولكونر لأنه اختار أن يفعل الصواب.

### ألي نظرة خاطفة على طريق طفلك...

سلّي نفسك هذا السؤال: «ماذا أطمح إلى أن يصبح طفلي بعد كذا سنة من الآن، وهو يغادر عُشي، فيما يتعلق بأخلاقيات عمله، وسلوكه، وزناهته، وأخلاقه عامة؟».

ولو كان بإمكانك اختيار خمس سمات أو صفات شخصية لطفلك، فما هي؟ فكري في الأمر بضع دقائق، ودونيها هنا:

•  
•  
•  
•  
•

إذا كان هذا هو الطفل الذي تريدينه، فكيف تحققي ما تستعينين إليه؟ كيف تنتقلين من الحاضر الواقع، إلى المستقبل المرغوب؟ من الطفل ذي الثمانية عشر شهراً، أو ذي السنوات الخمس، إلى ذي الثمانية عشر عاماً الذي يخرج من منزلك؟

إذا كنت تريدين طفلاً صادقاً، فكيف ستزرع فيه هذه الخصلة؟  
إذا كنت تريدين أن يكون طفلك لطيفاً ومراعياً للأخرين، فكيف ستعلمه ذلك؟  
إذا كنت تريدين طفلة مجتهدة، مثابرة، تتم ما شرعت فيه، فكيف يتحقق هذا؟  
إذا كنت تريدين طفلاً مسؤولاً، يصبح عضواً مساهماً في المجتمع، فما السبيل؟

دائماً ما كان القائد المحترم ستيفن كوفي يقول: «ابدأ من النهاية». وهذا يعني أنك إذا كنت تريدين طفلاً صادقاً، فتأكد أولاً من أنك صادق، وأن يرى طفلك أنك صادق في كل صغيرة وكبيرة. فأنت تعيد المال الزائد الذي أعطيه لك عامل النقدية في المحل، مهما يصغر، تخبر رئيسك على الهاتف بالسبب الحقيقي لتأخرك عن العمل. فأنت قدوة لطفلك على كل حال، ولطفلك أذن تسمع، وعين ترى.

إذا كنت تريدين أن يكون طفلك لطيفاً ومراعياً لمشاعر الآخرين، فلا بد أن تكون كذلك. تجتهد من أجل مساعدة الناس، وتتوفر لطفلك فرصة لمساعدتهم: «هيا نعد بعض الكعك للجيران اليوم، ما رأيك؟» فهم يمرون بوقت عصيب، وأنا أعلم أن ذلك سيسعدهم ويرفع من معنوياتهم»، كما يمكنك أن تتطلع بالخدمة في مطعم يقدم الحساء مجاناً للمحتاجين.

إذا كنت تريدين أن يعمل طفلك بجد، وأن يُنهي ما بدأه، فلا بد أن تعمل أنت بجد. يمكنك بدء المشاريع في جميع أنحاء المنزل وإنهاوها، وكلما كان

لطفلك مساهمة في العمل، أصبح الأمر أكثر جدوى. قل له: «لا بد أنك تشعر بسعادة عارمة لحصولك على تلك الدرجة العالية في مشروع العلوم. لقد عملت بجد حقاً على مشروع بتلك الصعوبة».

إذا كنت تريدين طفلاً مسؤولاً، فكن مسؤولاً. ألق عليه بعض المسؤوليات، لأن يطعم السمك في حوض الزينة، أن يُخرج القمامه، أو ينظف غرفته. وعلمه أنه قد لا يحب ما يتبعه عليه فعله في بعض الأحيان، ولكن عليه أن يفعله على كل حال، إذ إنه مسؤوليته.

ولا تننس أن كل طفل فريد. ويعني هذا أن ما أفلح مع الطفل الأول لن يفلح مع الثاني. ويرجع هذا، كما قلت سابقاً في هذا الكتاب، إلى أن الطفل الثاني سيتخذ اتجاهًا مغاييرًا للأول، لأنه لا يستطيع المنافسة على نفس المستوى. والأطفال الأقوية يتخذون واحداً من سبليين: إما أن يصبحوا متمرذين حول ذواتهم، لا يفهمون سوى متعتهم، ولو قلبو حياة الآخرين رأساً على عقب، فيأخذون ولا يعطون، وإما أن يصبحوا أطفالاً مصممين، متوازنين، عرفاً أنهم ليسوا مركزاً للكون.

إن للأطفال الأقوية نهماً للانتباه، والقوة، والسيطرة. يمكن أن يصبحوا بالغين أقوية، يلتهمون كل شيء أو شخص في سبيلهم. وإذا استشرعوا منك ضعفاً دهسوك.

كما قد يصبحون كباراً لا هم سوى إحداث فارق في حياة كل ساكن من سكان هذا الكوكب. وسوف ينهون المرحلة الثانوية والجامعية على خير ما يرام، لأن لديهم أباً أو أمّا تؤمن بهم وبقدراتهم، ويعملون بمنزلة قاطع الدائرة في تجاربهم الحياتية. سوف يكون لديهم رغبة عارمة في التعلم والتفوق، وسيكونون لطفاء مع الآخرين، ويقفون إلى جانب كل مظلوم. إنهم أطفال بوسعهم أن يحققوا الكثير في سبيل الخير.

هكذا قد يصبح ابنك القوي ذات يوم.

لست طباخاً ماهراً، لكنني أعرف من زوجتي الذواقة شيئاً مهماً؛ إذا أردت أن تصنع طعاماً جيداً، فعليك أن تستخدم المكونات الصحيحة، وإنْ فلن يكون طعمه كما يفترض به بحال من الأحوال. لا يمكنني أن أحصيكم مرتة أرسلتني ساندي إلى متجر البقالة بحزمة من التعليمات الصارمة: "أحضر مزيج كعكة كذا، ويجب أن يكون من النوع كذا. إياك أن تحضر صنفاً آخر، مهما تكون علامته التجارية!".

وكما هو الحال في إخراج وصفة طعام جيدة، فإن هناك أموراً أساسية.. بعض المكونات الأساسية التي يجب أن تستخدمها مع طفلك:

- التشجيع، لا المدح.
- التأديب، لا العقاب
- التوجيهات العامة، لا التفاصيل، ولا الإملاءات.
- الرحمة (المزيد عن ذلك في الفصل التالي).

ولا يجب أن تتوافر المكونات وحسب، بل يجب أن تُحضر بشكل صحيح، وأن تُطهَّى في درجة حرارة مناسبة. فالفطير لا يحلو مذاقها ما لم يكن بالقشرة مكوناتها الصحيحة، أو إن كانت غير ناضجة، فالقشرة أساس الفطيرة.

لذا فلنلقِ نظرة ثانية على تلك القائمة التي كتبتها بنفسك. اصنع لكل سمة شخصية ورقة منفصلة على النحو التالي:

### السمة الشخصية:

- ما حال تلك السمة في طفلي الآن؟
- ما أحب أن أراه في طفلي؟
- أفكار لتحقيق الهدف المرجو.

كن صادقاً تماماً. هذه الورقة مخصصة لك فقط أيها الأب، أو الأم. في قسم "ما حال تلك السمة في طفلي الآن؟": إن كان لدى طفلك مشكلة حقيقية في هذه الناحية، فدون لم وكيف تعتقد أنه يعاني.

انتقل إلى ”ما أحب أن أراه في طفلي“. وهذا فرصتك لتخالم.. لتختصور كيف سيكون حال طفلك بعد خمسة، أو عشرة، أو خمسة عشر، أو عشرين طفلًا في تلك الناحية. وكيف سيؤثر هذا في حياته؟

ضمن ”أفكار لتحقيق الهدف المرجو“، دون الطرق التي يمكنك من خلالها مساعدة طفلك على تطوير هذه السمة، ابتداءً من اليوم. دون أشياء صغيرة، وأخرى كبيرة، وخطوات عملية وأفكاراً.

لتأخذ سمة الصدق كمثال. هذا هو الشكل الذي قد تبدو عليه صفحاتك:

### الأمانة:

كيف تبدو الآن في طفلي؟

• سرق طفلي 10 دولارات من محفظة جده الأسبوع الماضي.

إنه يريد بعض المال لنفسه؟ هل هو طفل مخادع، غير أمين؟

• لقد كذب عندما سأله إذا ما كان قد أطعم الكلب.

لم يرد أن يفعل ذلك؟ هل انزعج لأنه نسي، ولم يعرف كيف يخرج من الموقف؟

• قال إنه يشعر بالتعب عندما طلبت منه مساعدتي في تنظيف المنزل.

وبعد نصف ساعة وجدته يلعب ألعاب الكمبيوتر، ويتناول المقرمشات.

هل كذب، أم كان كسولاً؟ هل عصاك مباشرةً، أم أراد أن يتحكم في جدوله،

وكنت ألح عليه؟

• قال لأحد أصدقائه إنه لا يمكنه اللعب الآن، رغم أنه لم يكن مشغولاً،

وكل ما في الأمر أنه لم يرد أن يلعب مع هذا الولد.

هل هو في مرحلة يُغير فيها أصدقاءه، إلا أنه لا يعرف كيف يخبر الطفل

بذلك؟ هل شعر ببعض الكسل؟ هل كان متعباً وكل ما أراده هو أن يقضى بعض الوقت بمفرده؟

إن التركيز على الاحتمالات المختلفة لتصرفات الطفل يعزل عواطفك

(التي غالباً ما تكون الغضب في حالة تصرفات الطفل القوية)، ويُشرك عقلك في التقييم، مما يمكنك من التفكير في استراتيجية بيتك بشكل فعال.

## ما أحب أن أراه في طفلي:

- أن يكون شخصاً يحسن إنفاق المال، وأن يكون أميناً طيلة الوقت.
- أن يكون شخصاً يعترف عندما ينسى فعل شيء، ثم يفعله.
- أن يكون شخصاً يقول الحقيقة بحب، حتى ولو كانت الحقيقة قاسية بعض الشيء.
- أن يكون شخصاً يمكن الوثوق به، لأنه صريح، ولا يكذب.

## أفكار للانتقال من هنا إلى هناك:

- أخبره صراحة أنه تعرف أنه سرق 10 دولارات من جده، وسله لم فعل ذلك. أخبره أنه تعتقد أنه سيفعل الصواب، وحمله مسؤولية الحديث مع جده، وتحديد إذا ما كان سيعيد المال أم لا.
- امنحه مصروفًا ( فهو في التاسعة، وقد حان الوقت لهذا) على أن يحصل عليه كل أسبوع مقابل كونه جزءاً من العائلة.
- افتح حساب توفير، واتركه يُجري كل العمليات الحسابية والمحاسبية.
- إذا لم يطعم الكلب، فلا تُلح عليه. واقطع دون إخباره بشيء 50 سنتاً من مصروفه، مقابل كل مرة تطعم فيها أنت الكلب عندما ينسى. واحتفظ بحساب الأوقات على مظروف مصروفه، وسوف يكتشف الأمر بنفسه بعد بضعة أسابيع.
- دعه يتحمل عواقب أكاذيبه، فعندما يقول إنه يشعر بأنه مريض، قل له: "آسف من أجلك حقاً. إنني أصنع حلواك المفضلة لبعد العشاء. إذا لم يأكلها إخوتك كلها، فقد يتبقى لك القليل للغد، إذا شعرت بتحسن".
- دعه يتعامل مع صداقاته، لكن قل: "سمعتك تخبر جايك أنه لا يمكنك اللعب. هل هذا لأنك متعب وتحتاج إلى وقت لنفسك، أو لأنك تعبت من اللعب معه؟ كل شخص يحتاج إلى وقت بمفرده، لذلك يمكنك أن تكون صريحاً، وتخبره بذلك. وإذا سئمت من اللعب معه، فعليك أن تكون لطيفاً، لكن صادقاً، ويمكنك أن تقول له: "جيـك، لا يمكنني اللعب معك كل يوم. أحـتاج إلى وقت بمفردي، ووقت أقضيه مع أناـس آخـرين".

رأيت كيف تفعل الأمر؟ يمكنك أن تجرب تلك العملية الآن بسمات الشخصيات الخمسة التي تود أن تراها في طفلك. ولا تقلق، فأنا في انتظارك حتى تفرغ!

الآن، وقد أكملت هذا التمرين، تهانئي! لقد أصفت نفسك خريطة طريق للوصول إلى المصير الذي تحب أن يكون عليه طفلك، وابنك الراشد أيضاً في المستقبل. إن مشوار الألف ميل يبدأ بخطوة، فلست في حاجة إلى أن تفعل كل شيء مرة واحدة، ولكن بما أن أفكارك قد انطلقت، فإليك ما يمكنك فعله لنفسك، وما يمكنك فعله لطفلك...

### ما يمكنك عمله لنفسك:

• توقف عن تأنيب نفسك، وإكثارك من قول "كان يجب عليّ أن أفعل هذا، وكذا"، أو "ليتني...!"، قد يكون شعورك بالتقدير شعوراً حقيقياً لخطأ ارتكبته، كما قد يكون ذنباً زائفاً، لا يدل لك فيه.

• إن ما حدث في الماضي قد ولّى، ولا يمكنك تغييره، أما ما يمكنك عمله هو سلوك السبيل الصحيح من الآن فصاعداً. لا تدع الماضي يدفعك إلى الشعور بالذنب.. تأنيب الضمير، واليأس، وإن فستظل ملزماً لمكانك الذي لا تحبه، ولن تتحقق أي شيء.

• اطلب من صديق، أو زوج، أو قريب أن يحاسبك على متابعة أفكارك، وتأكد إجراء مناقشة أسبوعية لما أفلح، وما لم يفلح من أفكار، كل ذلك مع شخص يهمه أمر طفلك.

• سجل انتصاراتك، فهي إنجازات رائعة، وليس ذلك لمجرد أن تفرح بها، ولكن لتتفكر فيها في لحظات الأبوة الصعبة.

• كن مستعداً على الدوام، ولكن إليك أن تبدأ الحرب أو أن تخوضها، وإن فابنك هو من سيفوز في كل مرة. اهداً أنت أولاً، فيهداً ابنك، لأنه متى وجد أنك لن تتعارك معه، فلا معنى لخوضه تلك المعركة، فكل ما يريد هو الانتباه والسيطرة، وبانسحابك من المعركة وعدم تأجيجها، فإنك تحرمه الأمرين.

- اعترف بخطئك. ليس هناك أحلى من قولك: ”أنا آسف، كنت مخطئاً.“ أرجوك سامحني“، متى كنت مخطئاً، تقولها بهدوء لطفل يتوق للسيطرة، فتنزع بهذه العبارة البسيطة فتيل معركة محتملة.
- دع المشكلات القديمة مدفونة، ولا تُعد إحياءها.
- لا تُمكّنه.

أخرج نفسك من موقع التمكين. لا تشعر بالسوء حيال مشكلة طفلك لدرجة أن يجعل هذا الشعور بالذنب دافعاً لما تتخذه من قرارات. كتلك المرأة التي وصل عدد ما تحصل عليه ابنها ذو الثمانية عشر عاماً من سيارات إلى ثلث، ولا أدرى كيف لم ينزل لديه تأمين صالح! وخمن ما الذي تريد أمه أن تفعل (رغم اعتراض والده الشديد)؟ إنها تريد أن تشتري له سيارة موستانج جديدة، ذات محرك كبير، لأن هذا ما يريده. الآن دعني أسألك: من هو المجنون؛ الطفل أم الأم؟ قد يكون الطفل نصف مجنون، أما الأم فلا شك أنها الجنون ذاته!

لو صدم ابنك سيارته، أو أخذت منه، فلا تُقله إلى العمل، ودعه يجد سبيلاً للوصول إلى عمله بنفسه، سواء كان هذا بدراجة، أو على قدميه، أو بالحافلة. هل سبق لك أن لاحظت كثرة الآباء الذين يصطوفون في المدرسة لاصطحاب أطفالهم عندما يكون الجو مطرياً، وقارنت هذا العدد بالأيام العادية؟ إن المطر ليس كارثة يتquin علينا حماية الأطفال منها، ولو سألتني لقلت لك إن جين كيلي أدت عملاً رائعاً عندما غنت: Singing in the Rain

وهناك أيضاً تلك الأم التي تريد أن تُلحِق ابنها بجامعة مرموقة تُكلفها 50 ألفاً في السنة، رغم أنه يتعاطى الحشيش، ويشرب الخمر، ولا يحترم هذه الأم. ومرة أخرى أسألك، من الخارج عن حدود العقل هنا؛ الأم أم الابن؟ كلاهما، إلا أن الأم هي الأولى باللوم.

يفرط كثير من آباء اليوم في حماية أطفالهم، فيضرونهم ضرراً كبيراً بفعلهم هذا.

لنفترض أن لديك طفلة في الخامسة عشرة من عمرها، وهي مزعجة ولا تتعاون في شيء من أمور المنزل، وهي كذلك تتصرف بوقاحة مع إخواتها، وتظن أن أباها وأمها طوع بنانها. أرى أن "الأميرة المدللة" في حاجة إلى جرعة من الواقع: "اسمعي، لم يعد لديك إلا ثلاثة سنوات تقضينها معنا في هذا المنزل، يمكنك أن تجعلها أفضل ثلاثة سنوات في حياتك، أو أن تجعلها جحيمًا مستعراً؛ الخيار خيارك. ومهما يكن قرارك، فهناك أمور أساسية ستحدث ما دمت تعيشين تحت هذا السقف:

أولاً: ستساعدين في أعمال المنزل، فهو منزل، لا نزل، ولا منتجع، علينا جميعاً أن نحافظ عليه في أفضل حال.

ثانياً: هناك قواعد أساسية لاحترام المتبادل سنلتزم بها جميعاً. وعندما تختلف هذه القواعد، فهناك عواقب لن تحبها، ولن أحبها كذلك، ولكنها موجودة.

ثالثاً: لن تستمري في الغياب عن المدرسة كما تفعلين الآن. أعرف ما يمكنك فعله، لكنك تبخسين نفسك حقها، ولا أعرف لم تفعلين هذا؟! خلاصة القول: إن الطريقة التي تعيشين بها حياتك تخصك وحدك. أما الطريقة التي تحبين بها حياتك في هذا المنزل، فتخصك وتخصني".

الحقيقة هي أن طفلك لن يحصل حتى على ملابسه الداخلية وجوارب إلا من خاللك، فأنت له بمنزلة البنك، والمستشار، والمحامي، ومقدم الرعاية الأساسية، والممارس الصحي، والليموزين الشخصي، وأكثر من هذا.

إن أفضل مكان يتعلم فيه طفلك دروس حياته هو داخل حدود منزلك، في تلك البقعة التي لا يتوقع فيها الفشل فحسب (فكنا بشر)، بل وتشجعينه أيضًا، لأن الفشل والخطأ هما خير معلم. يجب أن يكون المنزل مكانًا آمنًا.. مكانًا رحيمًا، به أب وأم يعرفان ويفهمان أن الفشل جزء لا يتجزأ من الحياة.

• تعامل بحكمة وحزم، ولا تكون أباً سلطويًا، ولا متساهلاً:

أتلقى كثيراً من الأسئلة من آباء يقولون إن أطفالهم كانوا يبدون على ما يرام؛ مؤذين وجيدين في الدراسة، ثم انقلب الحال فجأة، فأصبحوا

مشاكسين، ومتمردين، وانخفضت درجاتهم، وصاحبوا أصدقاء مختلفين. يبدو الأمر وكأنه حدث في طرفة عين. إن أحد الأسباب الأكثر شيوعاً لحدوث ذلك هو أن يكون أحد الآباء مستبداً أو متساهلاً.

إذا كنت أبياً استبدادياً، فإن قوتك وسلطتك تكفيان للتحكم في طفلك لفترة من الزمن، فالقوة قد تجدي مع الأطفال، لكن المشكلة تحدث عندما يصلون إلى العمر الذي يمكنهم فيه أن يصوتوا في الانتخابات، أو أن يقودوا أو يشتروا سيارة، وغيرها من الأمور، فإذا كانوا قد نشأوا في ظل صراامة ورقابة لم تسمح لهم باتخاذ القرارات بأنفسهم، فسيتمردون. إنها مسألة وقت فقط. و”ابنة القس“ خير مثال.

إذا كنت أبياً متساهلاً، فقد ربيت طفلك وهو يظن أنه يجب أن يكون سعيداً طيلة الوقت، ولكن هذا الطفل أيضاً سوف يتمرد، لأنه لم يكن هناك أي قواعد أو إرشادات تريه كيف يسير في دروب الحياة.

إن الكثير من التنظيم والتحكم يؤدي إلى التمرد، وكذلك التساهل وترك الطفل يفعل ما يشاء معتقداً أن سعادته هي أهم شيء في الدنيا.

إن نقطة الوسط هي الأبوة الحازمة، حيث تكون أنت، بصفتك الأب /الأم، المتحكم في أمور في المنزل. لا يقلل هذا من شأن طفلك، فأنتما متساويان في نظر رب، لكن لكل منكما دور مختلف في المنزل. هذا يعني أنك لا تظهر طفلك، ولا تدعه يقهرك. وعندما يحدث خطأ، فهذا أمر وارد. تعامل مع طفلك برحمة، تماماً كما فعل معك ضابط الشرطة منذ بضعة أيام عندما حذرك عند مخالفتك لقاعدة المرور، بدلاً من أن يسجل عليك غرامة.

### أن تصبح حقيقةً:

هناك قصة أطفال رائعة تسمى: ”ذا فيلفتين رابيت“ (الأرنب المحملي)، من تأليف مارجري ويليامز. كُتبت هذه القصة سنة 1922، وهي قصة كلاسيكية عن دمية أرنب رائعة منحت كهدية لطفل صبيحة عيد الميلاد. مع مرور السنين، حظي الأرنب بقدر كبير من الحب من صاحبه، وبدت عليه علامات الكبار، وكذلك صديقه (ذا سكين هورس)، الذي عاش حتى أكثر مما عاشه الأرنب، حتى إنه أصبح حكيمًا يشارك حكمته.

وذات يوم سأله الأربن: "ما هو معنى أن تكون حقيقياً؟ هل معنى ذلك أن تكون هناك أشياء بداخلك تُحدث بعض الضجيج، و...".

فأجابه (ذا سكين هورس): "كونك حقيقياً لا علاقة له بكيفية صناعتك، بل هو شيء يحدث لك، ويطرأ عليك، فعندما يحبك طفل لفترة طويلة؛ يحبك... لا يلعب معك فحسب، ولكن يحبك (حقاً)، تصبح حقيقياً".

فأسأله الأربن: "وهل الأمر مؤلم؟".

فقال الحصان: "أحياناً ( فهو حصان صادق دوماً، إلا أنه تابع حدثه) لكن عندما تكون ( حقيقياً)، فلا مانع لديك من أن تتأذى".

فأسأله الأربن: "هل يحدث هذا مرة واحدة، أم شيئاً فشيئاً؟".

فقال الحصان الحكيم: "لا، فأنت تتحول إلى ( حقيقي) في وقت طويل. ولذا فإن الأمر لا يحدث غالباً لمن يستسلمون بسهولة، أو من يصعب التعامل معهم، أو من يجب المبالغة في الحفاظ عليهم. وعموماً فبحلول الوقت الذي تكون فيه ( حقيقياً) يكون معظم شعرك قد تساقط من التربيت عليه، وتكون عيناك قد جحظتا، وارتخت مفاصلك، حتى أصبحت تبدو في حالة رثة، لكن حينها لا يعنيك أي شيء من هذا، فأنت ( حقيقي)، ولا يمكن أن تكون إلا جميلاً، ولن يراك قبيحاً من الناس إلا من لا يفهم".

إن كونك حقيقياً هو عنصر أساسٍ لكونك أباً صالحاً. إن النقص سمة بشرية لا مرأء فيها. ورغم ذلك تجد الكثير من الآباء يحاولون أن يظهروا بمظهر من يعرف كل شيء، ولسان حاله يقول: "لم أخطئ في حياتي كلها قط!".

إن سعيك للظهور في شكل مثالي لا مردود له سوى استفزاز طفلك النازع للسيطرة كرد فعل منه ليثبت لك أنك لست كما تدعى، وليسقطك من على صهوة مثاليلك. لو أنك تحدثه من على الأرض، وتعامل بواقعية، فليس بإمكانه أن يوقعك على الأرض، فأنت تحدثه من عليها.

أن تكون حقيقياً يعني أنه عندما يكون أداء طفلك متواضعاً إلى حد ما، فإنك لا تقول له إن أداءه كان رائعاً، بل يمكنك أن تقول: "لقد كان يوماً صعباً، ولم تسر الأمور على النحو الذي خططت له (ثم تلف ذراعك حوله، وتنتمشى

معه إلى السيارة، وتقول له في الطريق) أتعرف، إننا نحبك على كل حال، سواء فزت أم خسرت". تقول له ذلك بحنان وشفقة، ولكن كما فعل (ذا سكين هورس) عليك أن تكون صادقاً.

ولأنك واقعيٌ مع طفلك الباحث عن الاهتمام والمدفوع بالسلطة، وتشاركه لحظات إخفاقك البشرية، فسيفكر هذا الطفل فيما حكيت له من بعض إخفاقاتك، كتلك المرة التي وضع فيها علامة (X) بالقلم الأسود على جوربه حتى يرتديه مرة أخرى قبل أن يوضع في سلة الغسيل، ثم وضع قدمه على أرضية المطبخ.وها هي الـ(X) لم تزل على أرضية المطبخ! لقد جُنّ جنون أبي حينها، ولام نفسه على حماقته، وراح يرقص في أرجاء المطبخ لبعض دقائق. فجأةً تصبح الحماقات التي فعلها طفلك قادرةً على إكسابه بعض الفهم. فها هو الأب المهووس بالكمال يرتكب خطأً أخيراً، فليست الأمور بهذا السوء على كل حال، هكذا يقول لنفسه، بل ويوضح وهو يتذكر هذا المشهد. إن منحه هذا المشهد الذي تخطئ فيه، وكونك واقعياً لكتفلاً لأن يكبحا نزعة السلطة عنده.

لذا شارك إخفاقاتك مع أطفالك، فهذا الطفل الباحث عن السلطة، بقدر ما قد يضايقك في بعض الأحيان، يعتقد أنك مثالٍ، وأنك قادر على السير فوق الماء. ليس بإمكانه أن يتصور أنك تفعل أي شيء على نحو غير صائب، أو ترتكب الأخطاء، وإن كان يحب أن يتهمك بهذا الأمر كثيراً، فأخبر طفلك أنك واجهت مشكلة كبيرة، لأنك كذبت على أبويك، أو لأنك ضيّعت وأنت تسرق عندما كنت طفلاً.

دائماً ما تطلب مني حفيدي أدللين أن أقص عليها قصصاً من طفولتي. وحينئذ تغمز لي ساندي بنظرة الجدة، كأنها تقول لي: "حسناً، قص علينا بعض القصص، ولكن من الأفضل أن تنتقي ما تقصه عليها"، لأنها تعرف كم كنت طفلاً صعب المراس.

لذلك أخبر أدليين بقصص أضيف إليها بعض الرتوش التجميلية أحياناً، فهذا ما يفعله الآباء والأجداد على أي حال، لكنني ومن خلال تلك القصص، أشارك حفيدي الأخلاق والدروس التي تتعلمهها لتنفيذها في حياتها كلها.

من الصعب التخلص من العادات السيئة، سواء كانت عادات أم عادات طفلك. ولهذا فمن المهم أن تبقي خطتك بسيطة:

- لا تطرح الأسئلة.
- تحرّ الاستجابة لا رد الفعل.
- لا تنس الأهداف بعيدة المدى.

عندما تغير سلوكك كأب، فهذا يستلزم أن يغير طفلك سلوكه، ويعني هذا أنه سيغير شعار حياته أيضًا: “أشعر بقيمتى عندما...”.

دعوني أخبركم بأمر فتاتين في جمعية الشرف الوطنية، كانتا تبدوان ظاهريًا ناجحتين وذكيتين، ذلك النوع من الأطفال الذي ترغب الشركات في توظيفهم عندما يكبرون.

(مينا) هي الفتاة التي تلفت الانتباه في أي مكان تحل به، فهي ذات عزيمة قوية وبراقة، وقادمة بالفطرة، لديها الدافع للتفوق في كل ما تفعله، لدرجة أنها تتخذ أحياناً طرقاً مختصرة، فلا تتورع عن الغش من أجل النجاح، فهي مضطربة إلى تحقيق توقعات أبيها رجل الأعمال المهووس بالكمال، الذي خطط للاحقة بشركته بعد تخرجها في الكلية، لكنها عندما كانت تخطو على خشبة المسرح للانضمام إلى جمعية الشرف الوطنية، لم يكن بإمكانها التفكير إلا في الورقة التي سرقتها من على الإنترنت لإنها مشروعها العلمي، وكل ما دار في رأسها في تلك اللحظة هو: ”إذا اكتشف أحد ما فعلته، فقد قضى علىي، فأبى سيغضب غضباً شديداً“، لكنها تستجمع قوتها، وتمضي بعزم، لأن لديها خططها الخاصة، التي ليس من ضمنها أن تعمل مع أبيها.

أما (أدي) فقد بذلت كل جهدها للانضمام إلى جمعية الشرف الوطنية، لأنها طفلة قوية العزيمة، وهي تنحدر من عائلة تتمتع بأخلاقيات عمل راقية، وتعلم أن الوجود في جمعية الشرف الوطنية سيساعدها على الالتحاق بالكلية التي تخترها، لكن الحياة الأكاديمية ليست هي كل ما تسعى إليه، فهي تحب العمل من أجل المشردين ومساعدتهم، وقد اعتادت على مر السنوات الأربع الماضية هي وأخوها الصغير وأبواها، إعداد عدد كبير من الشطائر منزلية الصنع، وتوزيعها على المشردين في حديقة قريبة كل يوم سبت.

لم يكونوا يقدمون لهم الطعام فحسب، بل الملابس والمشورة أيضاً. ولقد أعن أبوها مؤخراً محاسباً يواجه أوقاتاً عصيبة على العثور على وظيفة. عندما ينظر أبواً (أدي) إليها وهي تمشي على المسرح ليُعلن عن التحاقها بالجمعية، تنهمر من أعينهما دموع الفرح، فهي ليست فقط تلك الطفلة التي كانا يحلمان بها عندما لم يتعد طولها العشرين بوصة يحملانها على أذرعهما، بل لقد تجاوزت أحالمهما بكثير. فها هي قد أصبحت طفلة ذكية مجتهدة، وقبل كل شيء طفلة تهتم بالآخرين.

كلتا الفتاتين طفلتان قويتان. منذ خمس سنوات، مر والدا (أدي) بفترة عصيبة معها، حيث كانت تتجاذب معهما باستمرار، وتتشاجر مع شقيقها، ولكن بالهدوء والصبر تجاوزوا تلك الفترة، كعائلة. بل إن تلك الفترة كانت هي التي شهدت انطلاق فكرة الشطائير التي أحبوها جميعاً. لقد تمكنـت (أدي) بمساعدة والديها من تحويل سلوكها الساعي خلف الاهتمام والمدفوع بالسلطة إلى مهارات مفيدة للآخرين.

### فأي نوع من الأطفال تريده؟

لنعد الآن إلى تشبيه الفطيرة. ظاهرياً تبدو كلتا الفتاتين بُنيتين (ناضجتين) تماماً؛ القشرة رائعة وفاتحة للشهية، لكن في الداخل، المكونات مختلفة تماماً، فـ(مينا) مصنوعة من مكونات لا يرغب أحد أبداً في وضعها في فطيرة، أما (أدي) فمصنوعة من مكونات مخلوطة على نحو رائع حقاً.

والدليل على دقة المكونات يظهر في تلك القضية الأولى من الفطيرة، فإما أن تحصل على استحسان مقرنون بالرضا عن الهيئة والنكهة، وإما أن تحصل على الصدمة، والاستغراب، ولسان الحال: "من أي شيء بحق السماء صنعت هذه الفطيرة!؟".

هل أنت تربى طفلة منغمسة في ذاتها، وتعتقد أنها أفضل شيء في الدنيا؟  
هل تمنحك أدوات من واقع الحياة يمكنها أن تستخدمها، أم تدع نفسك تنجر مع الركب؟

إن ما تضعه في فطيرة طفلك يحدث فرقاً كبيراً في العطر الذي سيفوح منه في الطريق.

هل ستكون فطيرة طينية، أم فطيرة عطرية منزليه الصنع، تذوب في الفم؟

إن الاختيار أيها الأب، راجع إليك ما دام هذا الطفل لم يزل في منزلك.  
أما بعد ذلك، فالخيار خياره هو.

### أفكار قوية ناجعة:

كان ابني (بيتر) في السابعة من عمره عندما سُوِّي بالأرض طفلًا حاول أن يضع الكرة العلوية على رجل الثلج الذي كان يصنعه. وفي التاسعة من عمره، طُرد من رحلة ميدانية مدرسية، لأنه دفع طفلًا آخر في بركة ماء، وهم يتجلولون في إحدى الحدائق. وعندما كان في الثالثة عشرة، طرح نفس الصبي أرضاً، فأفقده الوعي بعد أن علّق تعليقاً مسيئاً على بشرة بيتر السوداء.

لقد ذهبت إلى مكتب مدير المدرسة أكثر مما يحصى، فبيتر طفل ذو بنية جسدية قوية للغاية، وغالباً ما يكون رد فعله سريعاً متى ظن أنه قد وقع عليه ظلم. كنت مثله في صغرى، ولذلك فقد تفهمت الأمر، إلا أنني لم أخبره بذلك فقط.

اصطحبته لقضاء العطلة الأسبوعية وحدنا في كوخ سمح لنا صديق لي باستخدامه مجاناً، وشوينا النقانق، وحمّصنا أعشاباً من الفصيلة الخبازية، وخضنا معارك كرة الثلج. كما جلسنا حول النار كثيراً وتحديثاً، أخبرته بالمشكلات التي وقعت فيها في طفولتي، وأخبرني عن مدى انزعاجه من ذلك الطفل في المدرسة الذي يعيشه بلون بشرته. حكى له عن تجربتي الخاصة في نشأتي كـ «حثالة بيضاء لا قيمة لها». تحدثت معه عن الأوقات التي تعاملت فيها مع الأمر على نحو سيء، ثم حدّثته عن مدى شعوري بالرضا عندما أدركت مدى ضعف هؤلاء الآخرين، وأنني كنت أمنحهم بال العراق معهم ما يريدونه تماماً. وفي تلك اللحظة رأيت لمعة في عينيه، عرفت منها أنه أدرك ما أعني.

والآن قد مر شهراً من خاليان من أي شجار، بل لقد حكى لي بيتر عن ذلك الطفل الذي حاول أن يستثير غضبه في المدرسة، فما كان منه إلا أن هز كتفيه وتتجاهله، وقال لي إنه سمع الطفل يمضي في سبيله، وهو يقول:

”هم! لم يفلح الأمر هذه المرة“، وضحكنا معاً على هذا الموقف. لا شك أن سماع الضحكات في المنزل بدل الصراخ أمر رائع. لامبرت، أوريجون

### نقاط القوة:

- ابدأ، والنهاية نصب عينيك.
- تمسك بالخطة.
- كن واقعياً.
- أبق الخطة بسيطة.

## مكتبة الطفل

[t.me/book4kid](https://t.me/book4kid)

إهدى قنوات

مكتبة

## 14

### التربية القائمة على الرحمة

من أجل (الابن الضال) في حياتك.

هل شاهدت يوماً كلباً يبحث عن عظمة دفنتها في الفناء الخلفي؟ إن ذلك المخلوق يبحث بحثاً لا هوادة فيه، فيتشمم كل شيء، ويقلب كل حجر، إلى أن يجد تلك العظمة، ثم إذا به يفعل شيئاً مفاجئاً؛ ينظر حوله ليتأكد عدم رؤية أحد لكتنذه، ثم يدفنه مرة أخرى! لكم يحيرني هذا الأمر، رغم أنه سلوك كلبي نموذجي. لماذا يدفن أحد عظامه، ثم يستخرجها ليدفنه مرة أخرى، وهو لا يفعل هذا مرة أو مرتين، بل طيلة الوقت؟

تشبه الكلاب البشر شيئاً كبيراً في بعض الأحيان، أليس كذلك؟

ستجد بالغين ينشون العظام في كل جيل وفي كلا الجنسين. وهؤلاء هم الأشخاص الذين يبدو أنهم يتذكرون كل انتهاك لقواعد الأسرة ارتكبه ابنك أو ابنته طوال فترة وجودهم في هذه الحياة. يمكننا جميعاً التعلم من كتاب صديقي (تيم كيميل) الرائع: “Grace-Based Parenting” (التربية القائمة على الرحمة). إن الرحمة والمغفرة (المسامحة) أمران رائعان، فعندما يخطئ أطفالك، فإنهم يحتاجون إلى رحمتك، ومغفرتك، وعندما يحصلون عليهما، فإن مسؤوليتك تتحم عليك أن تدفن تلك العظام إلى الأبد. لا يمكنك أن تحذو حذو ذلك الكلب الذي يخرج في الفناء الخلفي، ويبداً في الحفر بحثاً عن تلك العظام القديمة القدرة. ورغم ذلك لا يقتصر الأمر على بعض الآباء بنبش تلك

العظمة مرة واحدة، بل ينبعونها مراراً وتكراراً، ولا يكفيون عن تذكير البن بـإخفاقاته. إذا أردت أن تغلق باب الحوار مع أطفالك إلى الأبد، فليس عليك إلا أن تستمر في النبش واستخراج الأخطاء مرة تلو المرة، فهو سلوك مدمر لعلاقتك بهم، تماماً كـرش مبيد الحشرات على صرصور من بعد سنتيمترتين. إن عنصري الرحمة والمغفرة مهمان للغاية، وهما أكثر أهمية في التعامل مع الطفل القوي الذي يضل طريقه.

ماذا ستفعل لو...؟

تلقيت مكالمة من السيد ميرفي، مساعد مدير المدرسة الإعدادية، يطلب منك أن تذهب إلى المدرسة للحديث بشأن واقعة حادث اليووم، وتورطت فيها ابنته، سامانثا.

”ماذا جرى؟“، هكذا تقولين، فيجيبك: ”لعله من الأفضل أن نتحدث عن الأمر وجهاً لوجه“، ”أريد أن أتحدث معك أولاً، ثم معكما معاً، إن كان هذا مناسباً.“.

تدهبين إلى المدرسة، ويحييك السيد ميرفي بحرارة، ولكنك تشعرين بأنك على وشك أن تسمع ما لا يُسرك.

يسالمك ملحوظة كتبها ابنته بشأن إحدى الفتيات، وتناقلتها فتاتان آخرتان. في تلك الملحوظة، تسب سامانثا الفتاة بألفاظ قبيحة، وتهدد الفتاة بأنها ستندم بقية حياتها إذا حاولت التحدث مع ابنته.

(بالمناسبة، هذه خصلة معهودة جداً لدى الأطفال في المرحلة الإعدادية، خاصة الفتيات. الفتيات يملن إلى استخدام تلك اللغة البذيئة، أما الأولاد فغالباً ما يفضلون خوض المعارك الجسدية لإثبات قوتهم وهيمتهم، التي تحاول الفتيات البرهنة عليها بالكلمات).

تفغرين فاك، فهذا أكبر من مجرد قولها: ”لا أحب تلك الفتاة“، بل إنك لا تعرفين من أين تعلمت ابنته مثل تلك الكلمات، فلا أنت تستخدمينها في المنزل، ولا تعرفين أحداً يستخدمها؛ تشعرين بصدمة كبيرة! ثم تُحضر ابنته إلى المكتب، وعليها نظرة الفزع.

يطلب منك السيد ميرفي أن تقرئي الملحوظة التي كتبتها ابنتك بصوت عالٍ.

تشرعين في القراءة، فتنفجرين بكاءً.

يقول السيد ميرفي بهدوء: ”يبدو أن الأمر شاق عليك، فلماذا لا تقرئين أنت يا سامانثا؟“.

تقرأ سامانثا الكلمات، والعبرة تكاد تخنقها.

ولأن المدير المساعد رجل ذكيٌّ، فهو يقول: ”سام، هل تعبّر هذه الورقة حقًا عن شخصيتك؟“، فلا تجد سامانثا ردًا.  
وأخيرًا ينتهي الاجتماع.

النتيجة رقم (1):

تلوذين أنتِ وابنتك بالصمت التام طيلة الطريق إلى المنزل، ويسيطر عليك الغضب والإحراج حتى إنك ترتعشين، هي تشعر بالخجل والخوف، فتشيخ بوجهها نحو نافذة السيارة، حتى لا ترى الدموع تترفق في عينيها.

وبمجرد أن تصلا إلى المنزل، تدقين مسمارًا في نعشها: ”أيتها السيدة الصغيرة، كيف تجرئين على كتابة مثل هذا! أنت معاقبة مدة شهر، بل شهرين، ولو قلت أي كلمة، فسيطول بك العقاب أكثر من هذا“.

ثم يموت الحديث، ويمضي كلُّ منكما لحاله، والغضب سيد الموقف.

النتيجة رقم (2):

ابنتك هادئة في السيارة، وأنت كذلك. عندما تصلان إلى المنزل، تواجههِ بعض الدموع والاعتذار، وبالكثير من الإحساس بالذنب، لأنها تدرك أن أمها قد رأتها للتو على حقيقتها.  
ولكن... أهذه طفلتك حقًا؟

إذا كنت ذكية، فستقبلين اعتذارها، وتخففين من بكتها، وتتركين فسحة من الوقت قبل أن تحدثيها عن الأمر لاحقًا. تتصرفين على هذا النحو، لأن هذا الموقف يجب أن يُشكل لحظة تعليمية، تحتاج فيها إلى طفلك القوية، التي

يبدو جلياً أنها زعيمة الثوار القوية بين أصدقائها، إلى أن تفهم أن ما تفعله يؤثر في الطريقة التي ينظر بها الآخرون إليها.

وبعد ساعتين تجلسين مع ابنتك، وتحظيان ببعض الحديث، الذي قد يسير على هذا النحو:

”لقد طرح السيد ميرفي سؤالاً وجبيها يا سام: هل هذه الورقة تعبر عن حقيقتك؟ سيظل الناس طيلة عمرك يصدرون أحكاماً عليك بناءً على ما تقولينه أو تفعليه. وفي غضون ست سنوات تقريباً، سوف ينظر مسؤول القبول بالجامعة نفي ورقة صغيرة أو شاشة كمبيوتر، ويصدر حكمه على سامانثا كلارك. ولذا فمن المهم أن تتوافق أقوالك مع أفعالك.“.

إذا كنتِ تتحدررين من عائلة متدينة، فلعل من المناسب أن تذكري بعض المؤثرات عن الخير والشرف، والصواب والخطأ.

ثم تواصلين حديثك: ”عزيزي، إن الجميع عُرضة للوقوع في الخطأ، وقول ما لا ينبغي قوله، أو تعلمين، عندما كنتِ في مثل سنك فعلت...“.

ثم تشاركين معها بعض الأمور السيئة التي فعلتها، وتوضحين لها أن هذه السلوكيات كانت نابعة من قلة النضج، ومن الأذانية، ومن خوفك من لا تكوني الأقوى بين أقرانك.

”إنك لا تعرفين أبداً على من سيكون الدور بين الأصدقاء في التعرض لسخافات الآخرين. كل ما تأملينه هو ألا يكون الدور عليك أنت. عليك أن تفهمي أنني اتخذتُ الكثير من القرارات السيئة في حياتي، ولستِ وحدك من يسيء اتخاذ القرار أحياناً.“.

ثم تدسين لها ما أسميه (الإعلان التجاري)، فتقولين: ”إنني أعرفك يا سام، وأعرف أن تلك الورقة لا تعكس حقيقتك بأي حال من الأحوال. أعلم أن لديك قبلباً طيباً، فقد رأيت حقيقته المرة بعد المرة، لكنني سأظل دوماً أتوقع أحسن ما عندك. أعرف أن فعلك الأفضل والصواب ليس سهلاً دائماً، ففي كثير من الأحيان ستتجدين حولك أناساً يحاولون أن يدفعوك نحو عمل الشر دفعاً لا هوادة فيه.“.

”فلنطِ هذه الصفحة السيئة، ولنمسحها من ذاكرتنا، فأنت ابنتنا، ولن نتخلى عنك أبداً، وسنظل نتوقع منك أجمل ما فيك دائماً.“.

ما الذي تقدمينه لطفلك هنا؟ عبارة إيجابية وتطلّعية، مفادها: «لن أنبش تلك الحادثة مرة أخرى، ولن أضرب رأسك بذكرها. إنّ الرب يأمرنا بـألا ننصرد حكاماً على الآخرين، ولذا فلن أصدر عليك حكماً. عليك أن تعرفي أننا نحبك، ونؤمن بك، وأن الحياة ماضية في سبيلها».

إنِّك، بفعلكِ الأمر على هذا النحو، تنزعين فتيل الطاقة التي كانت على وشك التدفق إذا ما شعرت ابنتك أنك أمها، تقفين ضدها، وأنك ستنهيin على رأسها بالمطرقة.

وهكذا، تصرفت مرة أخرى كقاطع للدائرة، فأنهيت المشكلة قبل استفحالها.

### توقف، وانظر، وأنصِت:

منذ سنوات، وقبل اختراع الإشارات الوامضة على خطوط السكك الحديدية القديمة، كان هناك لافتاً بسيطة يقول: «توقف، انظر، وأنصِت». وكانت القطارات تطلق أبوابها قبل وصول القطار إلى تقاطع، ويعني هذا أنك إذا كنت تقود سيارتك أو تمشي، فعليك التوقف، والنظر، والإنصات.

وفي التعامل مع طفالك الضال، فإن التوقف يعني أن تقييم ما تفعله عادةً قبل أن تفعله. ماذا كنت لتفعل بصفتك الأب القديم في هذا الموقف؟

أما النظر فمعناه أن تتضرر بتمعن إلى شخصيتك الجديدة كأب، وإلى ما ستفعله الآن على نحو مختلف، ثم تفعله.

أما الإنصات فيعني أن تنصت بهدوء وبقلب حان إلى ما قد يفكر فيه، أو يشعر به طفلك، في نفس الوقت الذي لا تدع فيه هذا يؤثر في خطواتك التالية، بل تترك الموقف يكتمل.

### ما يمكنك عمله:

- لا تتحمل أبداً ما لا ينبغي لك تحمله:

لا تحمل نفسك المسؤولية التي يجب على طفلك أن يتحملها. إن اللحظات التعليمية لا تؤتي ثمرتها ما لم يصحبها ألم العواقب.

- لا تفترض شيئاً:

فحتى ”الحقائق“ يمكن تفسيرها بشكل مختلف، متى فسرها أطراف مختلفون. استمع إلى الحقائق من جميع الأطراف، ثم سل السداد من الله القدير. والآن نعود إلى سام. بعد أن تحدثت معها، عاودت الاتصال بالسيد ميرفي في اليوم التالي، وأكّد لك أنه سيجمع الفتيات اللائي تناقلن الملحوظة، بما في ذلك سام نفسها في مكتبه، لمعرفة ما حدث. ولا شك أنه سيقول لهن إنّ عليهن أن يعاملن الآخرين كما يحببن أن يتعامل الآخرون معهن. كما أنك تطلبين منه أن يبقى على اتصال معك بشأن ابنتك: ”أود أن أرى ما يحدث معها في الفصل، وأن أعرف إذا ما كان لحديثك وحديثي معها من أثر“.

وتصوري دهشتك عندما يتصل بك السيد ميرفي بعد أسبوعين، فتتأكدين من المكالمة أن سام هي حقا الفتاة التي كنت تحسينها. وعندما انتقلت إلى الفصل فتاة جديدة، كانت لتعاني معاناة شديدة في التكيف مع زميلاتها، كانت سام هي من جلست معها على طاولة الطعام، كما أنها عرفتها على بقية الأطفال في المدرسة.

حينئذ تتنفسين الصُّعداء، فقد عادت ابنتك الضالة إلى المسار الصحيح.

### لاتراجع ولا تلن:

في إحدى الندوات المسائية في تكساس، أخبرتني سارة، مديرية مدرسة ابتدائية، أن طالبة في الصف الثالث في مدرستها عوقبت ثلاثة مرات، لأنها تضرب الأطفال وتسبهم.

فقلت لها: ”ألن يأتي يوم تضربها فيه طفلة أخرى أو تسبها؟“.

فتنهدت سارة قائلة: ”إن الجميع يخشها“.

فقلت لها وأنا أدخل في مزاج المحلل النفسي: ”فماذا يفعل والداها؟“. فزفرت زفراً حاراً، وقالت: ”لا شيء، إلا أن الأم تقول لي إنها حرمتها من الخروج من المنزل“.

ومضت في حديثها، قائلة إنها تلمست مبرراً لإيصال شيء إلى الأم في المنزل، حتى ترى إذا ما كانت الأم تعاقبها في المنزل حقاً، لتجد الأم تتذرع بشتى الحجج، حتى إنها قالت إن حرمانها من الخروج من المنزل كان أمراً شائعاً على العائلة، فسألتها الأم: ”وأين هي الآن؟“، لتقول لها إنها قد خرجت من المنزل.

”فاذهبي إذن وأحضريها“، هكذا كادت سارة تقول للأم، ولكنها أدركت في تلك اللحظة أن الفتاة ستستمر في سلوكها المدفوع بالقوة لغياب القواعد والإرشادات، ولعدم وجود من يردعها.

لقد زارت هذه الطفلة بالفعل 16 أو 17 ”خييرًا“ للمساعدة في حل المشكلة، لأن الأم أرادت للمشكلة أن تُحل دون أن تفعل هي أي شيء ب نفسها، رغم أن الحل كان ماثلاً أمامها في منزلها.

إن الأعذار والمبررات لا شأن لها سوى إلحاق مزيد من الضعف بالضعف. والطفل المدفوع بالقوة طفل ضعيف بالفعل، إذ لا يرى لنفسه من قيمة إلا عندما يكون زمام الأمور بيده، وشعار حياته هو: ”لا قيمة لي ما لم أكن المسيطر“، إن طفلة الصف الثالث هذه ضعيفة للغاية حقاً.

إن الأشخاص المفرطين في السعي خلف القوة لا يحبون هؤلاء الذين يتعاملون معهم بشكل قويٌّ، إلا أنهم يحترمونهم.

وأفضل شيء يمكنك فعله من أجل ابنك المتسم بهذه السمة هو أن تضع الكراة في ملعبه، ثم لا تتراجع.

### الأبوبة الواقعية:

أحب قصة الابن الضال في الكتاب المقدس. لقد أراد هذا الطفل القويُّ أن يكون له مطلق السيطرة على حياته، فذهب إلى أبيه، وطالب بحقه. كان بإمكان أبيه أن يقول له: ”لن أعطيك فلساً“، لكنه تعامل معه بكرم بالغ، فأخذ الطفل ميراثه كاملاً، وانطلق إلى أرض بعيدة، وبعد ما يكون عن بيته، الذي كان يراه سجناً، ليقطع كل صلة بعائلته، التي سئم منها، إذ كانوا على الدوام يخبرونه بما يتعين عليه أن يفعل، ويطلبون منه أن يكون شخصاً مسؤولاً كأخيه. أما هو فلم يرد سوى أن يتمتع بالحياة.

فكان هذا قراره؛ أن يستمتع بالحياة، فأنفق المال على ملذاته حتى نفد، ثم اكتشف أن أصدقاءه لم يكونوا كما يحسب، فبدأ يفكر في ذلك السجن.. المنزل، الذي لم يعد يبدو في عينيه سجناً بعد ما عانى ما عانى، بل بدا مكاناً جيداً مقارنة بالمكان الذي أصبح يعيش فيه الآن.

لكن وجب على الطفل أن يصل إلى الحضيض قبل أن يمضي في سبيله تجاه بيته القديم. لزم أن يعرف أن عمال مزرعة أبيه كانوا خير حال منه. كان أبوه أباً ذكياً، فلم يبحث عن ابنه، لأنّه يعرف أنه إن لاحقه فسيبتعد أكثر. اتخذ الأب القرار الأصعب، فراح ينتظر وينتظر، تاركاً الأنوار مضاءة والأبواب مشرعة، وداعياً ربه أن يعود ابنه. إن تلك الأبوة الواقعية هي ما تجعلني أوصي الآباء بقولي: «عندما يفر منك ابنك الضال، فلا ترسل إليه مألاً، ولا حتى بطاقة تهنئة بعيد ميلاده، وأغلب الظن أنك لا تعرف عنوانه حتى ترسل إليه أي شيء»، فأي مجهد تبذله لن يرى فيه إلا أنك تسعى للسيطرة على حياته، وسيفر منك ابنك القويُّ بشكل أسرع وأشد، فافعل الصواب، وإن كان أكثر صعوبة. اقعد ولا تفعل شيئاً، وادع لطفلك. خاصة إنه في خطر منذ اللحظة التي يرى فيها أنه يعرف أكثر منك، وأنه يريد أن يعيش حياته حسب هواه، دون اعتبار لأي شخص آخر. وبمجرد أن يخرج من دائرة منزلك المريحة الآمنة، فهو في خطر، فإن أموراً سيئة تحدث للأطفال الذين يفرون إلى الشوارع؛ أموراً يدفعون ثمنها على نحو لم يتخيلوه قط. لكن عليك أيضاً أن تفعل ما فعله والد ذلك الابن الضال؛ أن تترك الأنوار مضاءة والأبواب مشرعة».

إن قضاء الوقت في استحضار خطئك مع طفلك لن يجلب لك شيئاً، سوى الشعور بالذنب، والإجهاد، وعلة في القلب.

ما مضى قد مضى، ويجب أن يظل مدفوناً، كتلك العظمة الموجودة في فناء بيتك. من الممكن أن تكون والدًا أقرب ما يكون إلى المثالى، ومع ذلك يضل طفلك طريقه.

لا شيء مضمون في الحياة، ولا في الأبوة، إلا رحمة القدير ومغفرته. نفس الرحمة والمغفرة التي تحتاج إلى منحها لابنك الضال.

### أفكار قوية ناجعة:

كانت ابنتنا جين، في السادسة عشرة من عمرها عندما تركت المنزل، وتركت لنا ملاحظة تقول فيها إنها ملّت القواعد، وإننا بحاجة إلى «أن نستفيق ونلحق بالعالم الحقيقي». كنا نعرف أنها لم تكن سعيدة، ولكن لم يكن لدينا أدنى فكرة أنها كانت بتلك التعasse. حسينا أن تقلب مزاجها وصمتها كانا

أمرين مرتبطين بسن المراهقة فحسب، ولم نكن قد واجهنا أي شيء من ذلك مع ابنتنا، الذي يكبرها بأربع سنوات، فلم نكن مستعدين. ظلت زوجتي تبكي لأيام، ورحتنا نتحدث عن طريقة تربيتنا لها، ونبحث عما ارتكبنا من أخطاء. مرت ثلاثة سنوات دون أن نعرف عنها شيئاً. وفي بعض الأحيان كنا نعتقد أنها ماتت، إلا أنها تمكنا بالأمل. وبعد سماعك تتحدث عن الأطفال الأقواء خفّ حزننا، وبدأنا ندرك الأمور التي كان بإمكاننا فعلها بشكل مختلف في أثناء طفولتها، وكذلك الأمور التي لم يكن لنا من يد فيها. وكما قلت: «لا تحمل أبداً ما لا ينبغي لك تحمله».

ومنذ ثلاثة سنوات، اتصلت جين، وكانت تبدو مختلفة، فهي أكثر هدوءاً، ولديت بنفس الجرأة المعتادة، ولكنها أنهت المكالمة بسرعة قبل أن نتمكن من سؤالها أين كانت، فما كان إلا المزيد من الانتظار والدعاء. وبعد شهرين، اتصلت مرة أخرى وطلبت منا المغفرة، وقالت إنها تريد العودة إلى المنزل، وإن هناك شخصاً آخر بحاجة إلينا، فاعتتقدنا أنها ستُحضر صديقاً لها إلى المنزل.

عادت والتقيينا بها، ومعها حفيتنا ذو التسعة أشهر، واستقبلناهما بالترحاب، وها نحن عائلة مرة أخرى، وقد ازدادت واحداً. وستعود جين إلى المدرسة لتكمل دراستها هذا العام بمساعدةنا. شكرنا لك، دكتور ليمان، على نصيحتك التي كنا في أمس الحاجة إليها.

ريتشارد، نورث كارولينا

### نقاط القوة:

- لا تنبش في الماضي.
- لا تحمل ما ليس عليك تحمله.
- لا تلين، وادع لابنك.
- قدّم الرحمة والمغفرة.



# 15

## إعادة ضبط الشبكة في منزلك

ما اعتدت قوله، وما ستقوله الآن بعد أن عرفت كل استراتيجيات طفلك.

حان الوقت لإجراء فحص بسيط. كيف يبدأ اليوم المعتاد في منزلك؟ ما هي أولى الكلمات التي تختار أن تقولها لابنك أو لابنتك في الصباح هل هي أوامر، أم أسئلة؟ هل تبدو كلماتك كأي شيء من هذا...؟

- ”هل أنت أصم أو شيء من هذا القبيل؟ ألا تسمعني؟ عليك أن تنهض على الفور. إنني أسمع صوت الحافلة. لقد وصلت.“
- ”هذه آخر مرة أقول لك هذا. لقد سئمت منك!“.
- ”إن فطائرك تحول إلى مكعبات من الثلج. لا تشكوني أنها قد بردت.“.
- ”لقد دق منبهك وتوقف خمس مرات.“.
- ”يبدو أن عليّ أن أحضر دلوًا من الماء.“.
- ”هل لديك الكلارينيت الخاص بك؟ إنه يوم العزف.“.
- ”لا يمكنك ارتداء هذه الثياب، فدرجة الحرارة بالخارج 37. اذهب وغير ثيابك.“.

- ”إذا كنت تعتقد أنك ذاهب إلى المدرسة بهذا الشكل، أيها الرجل الصغير، فأنت مخطئ. غير تسرحيتك تلك.“.
- ”اسمعي، إذا كنت تعتقدين أنك ستضيعين هذا القرط، فأنت مخطئة. إذا أحببت وضعه مع صديقاتك في عطلة نهاية الأسبوع، فقد أتجاوزت عن الأمر، أما وأنت في طريقك إلى المدرسة، فلا.“.
- ”كم مرة سأقول لك إن عليك أن تهتم بشؤونك الخاصة، أما أختك فبوسعها أن تتخذ قراراتها بنفسها، وليس في حاجة إليك.“.
- ”لا تُشح بيديك!“.
- ”هل تريد الذهاب إلى غرفتك؟“.
- ”لو أن مخك هذا لدى طائر، لتخطب يميناً ويساراً.“.
- ”ستكون سبب موتي“.
- ”إنك تدفعني للجنون.“.
- ”حسناً، ولكن هذه آخر مرة أُقلك فيها إلى المدرسة.“.
- ”لا، لن تحصل على ثلاثة قطع من الشوكولاتة على الغداء، وإن أصبحت بالدينان، وفقدت أسنانك، وحينها سيكون علىي أن آخذك إلى الطبيب.“.
- ”لَكَمْ أنتظر عودة أبيك إلى المنزل، عندما يسمع كل كلمة قلتها لتوك. لن أحسدك على الموقف الذي تضع نفسك فيه.“.
- ”أفكِر في حرمانتك من الذهاب إلى حفلة التخرج.“.

وهنالك أمور يشتهر بها الآباء خاصة:

- ”لا تتحدث مع أمك بهذه الطريقة!“.
- ”لماذا تركت الباب مفتوحاً؟ هل ندفء الحي بأكمله؟!“.
- ”هل تعتقد أن المال ينمو على الأشجار؟“.
- ”غير سحننك هذه، وإن غيرتها لك!“.
- ”لم تزل القمامنة في مكانها، ولن تُخرج نفسها، إنه دورك!“.

• ”أنتما جديران ببعضكم البعض“ (حين يتعارك أخوان).

• ”لا أدرى لم أنجبنا أطفالاً، ليتنا أنجبنا شيئاً أكثر نفعاً!“.

وبهذه التعليقات التي تصدر عادةً منك، تبدأ مباراة الكرة الطائرة على نحو مبشر. إذا لم تبدأ المحادثة، فأنت تميل إلى التصعيد عندما ترتد الكرة.

## حان وقت الضربة الرابعة؟

إن الكرة الطائرة رياضة رائعة. إذا تمنى لك مشاهدة مباراة الكرة الطائرة بالكلية، أو بالمدرسة الثانوية، فسترى كم هي رائعة! يضع أحد اللاعبين (الضابط) الكرة بشكل مستقيم فوق الشبكة، حتى يهم الضارب القويُّ الطويل بضرب الكرة لأسفل حتى ترتطم بالأرض، في الجهة المقابلة من الشبكة، وبهذا يكسب الفريق نقطة، ويسمون هذا بـ ”الضربة الرابعة / القاتلة“.

يشبه هذا إلى حد ما ما يفعله الآباء، إلا أن الأب يؤدي دور الضابط والضارب، في آن واحد. فهو يهيء الطفل للمعركة، ثم يلقي بتعليق يكون بمنزلة الضربة القاتلة؛ يطرح بها الطفل أرضًا.

وعادةً ما ينتهي الأمر بشيء من قبيل: ”انتهى الكلام!“، حتى لتحسب أن يوليوس قيصر بنفسه قد اقتحم الغرفة في كامل أبهته، وأصدر حكمه البات.

فماذا يحدث بعد ذلك؟

لو أن هناك ما قد يثير غضب الأب، فهو أن يصدر إملاءً أو أمراً لابنه القويُّ، فيحصل منه على تلك النظرة التي مؤداها: ”لا يعنيني ما تقول في شيء“، إن هذا يثير حنقك أشد إثارة، أليس كذلك؟ اعترف بالأمر.

لو أنك كمعظم الآباء، فسوف ترد ردًا انفعاليًّا، لترد الطفل إلى مكانه / مكانته.

ولكن عليك أن تسأل نفسك: هل هذا ما تريد فعله حقاً؟

إن عنوان هذا الفصل هو: ”إعادة ضبط الشبكة في منزلك“، فأنت الكهربائي الخبير هنا، وتعرف الفرق بين السلك الأحمر والسلك الأسود،

وتدرك أي شيء يشعل فتيل الحرب. إن بإمكانك أن تستشعر قيامها، سواء كانت معركة بين أخوين، أو بين طفلك الساعي للسيطرة.

عليك ألا تنسى أنك الراسد هنا (انظر الفصل 12). لا يحصل الطفل على الطاقة من فراغ، فهو يتعلم أن يكون مسيطرًا من خلال تفاعله مع أشخاص مسيطرین، قد يكون شقيقاً، ولكنه في أغلب الأحوال أحد الآبوين (أو كلاهما)، وهو ذلك الشخص الذي يصدر كل تلك الأوامر السلطوية المذكورة في أول هذا الفصل.

لكن الخبر السار هو أنه إذا كنت قد تعلمت تلك الطريقة السلطوية القوية في إصدار الأوامر، فإيمانك التخلص منها، ثم فعل شيء مختلف.

والأمر في الواقع بالغ البساطة، وهو يتم على هذا النحو:

- تصرفٌ من ناحيتك.
- وتعديل للسلوك، وتحكم فيه، من ناحيتك أيضًا.
- وإذا بالتغيير قد تم!

### إعادة تصوير المشهد:

دعنا نعيد تمثيل المشاهد المذكورة سابقاً، مع التركيز على هذه الأمور البسيطة. ما الذي اعتدت أن تقوله، وما الذي ستقوله وتفعله على نحو مختلف؟

### السيناريو الأول:

ما اعتدت قوله: ”هل أنت أصم أو شيء من هذا القبيل؟ ألا تسمعني؟ عليك أن تنهض على الفور. إنني أسمع صوت الحافلة. لقد وصلت.“

ما ستقوله وتفعله الآن: ”جوشوا، ربما تحتاج إلى أن تعرف أن الساعة 20:20“، تقولها مرة واحدة، ثم تدير ظهرك، وتمضي.

بل لا تذهب حتى إلى غرفة نومه، فقط أسمعه كلامك. هذه العبارة الجديدة أكثر اعتدالاً، وليس من المناسب الضغط على ما يتثير حافز السيطرة لدى طفلك، فمعظم الأطفال الساعين خلف السيطرة سيجدون طريقة أو أخرى

لفهم ما تقول على نحو سلبيٌّ، لكن لا تضغط عليه. وهذا ما يميل الآباء إلى فعله؛ أن يلعبوا لعبة التفوق الفرديٌّ، وهو ما يسمعونه على أنه: “أنا أكبر منك، لذا عليك أن تفعل ما أطلب منك أن تفعله”， وليس هناك من شيء يستثير المعركة أكثر من النظرة المتعالية.

### السيناريو الثاني:

ما اعتدت قوله: “هذه آخر مرة أقول لك هذا. لقد سئمت منك.”.

ما ستقوله، وتفعله الآن: لا شيء. لا تقل له للمرة الأخيرة، لأنك أخبرته بالفعل. قلتها مرة من قبل، فاجعلها لحظة تعليمية. لا تكرر نفسك أبداً. من قال إن عليك أن تذكر طفلك؟ انظر إلى التذكير، وكذلك التحذير، على أنه أمر فيه كثير من عدم الاحترام. إن الاحترام كله يكمن في تحمل طفلك المسؤولية تجاه ما يفعله.

هل تعلمت من أخطائك في أثناء نموك؟ وهل تتعلم منها الآن كشخص بالغ؟ ما الذي يجعلك تعتقد أن ابنك أو ابنتك لن يتعلموا من أخطائهم؟ يجب أن يكون منزلك المُعاد تشبيكه مكاناً يسمح بوقوع الخطأ، ولا يكون الخطأ فيه نهاية للعالم، لا بد من بيئة رحيمة متسامحة.

### السيناريو الثالث:

ما اعتدت قوله: “إن فطائرك تتحول إلى مكعبات من الثلج. لا تشكُ لي أنها قد بردت.”.

ما ستقوله وتفعله الآن: بعد اثنين عشرة دقيقة يأتي طفلك أخيراً، لتناول الفطور قائلاً: “ما هذا، إن فطائري باردة!“، فتقول: “حسناً، عليَّ أن أخبرك بالحقيقة: لقد كانت فطائري دافئة، ولذيند، عندما تناولتها منذ 12 دقيقة“، إنها طريقة للتوجيه إعلان تجاريٌّ لطفلك. (وهي أفضل مما تريد أن تقوله: “أيها الغبي، لو كنت هنا منذ 12 دقيقة، لاستمتعت أنت وأنا بالفطائر الدافئة واللذيند معاً، ولربما حظينا ببعض الحديث الدافئ كذلك“)، كما يمكنك أن تكون أكثر وضوحاً ومبشرة بأن تقول: «لا شك أنها كذلك. هل يمكن أن يكون

السبب هو أنه عندما ناديتك وكانت الفطائر دافئة وطازجة، اخترت أن تضغط على منبه الغفوة في رأسك، وأن تحصل على بعض دقائق إضافية من النوم؟». لا تبحث عن المشكلات، أو كما أحب أن أقول: «أبعد أشرعتك عن رياح طفلك».

لكل أبي على هذا الكوكب لحظة يتبعه فيها قائلًا: «لن أقول ذلك لطفل يبنفس اللهجة التي قالها لي والدائي». لا تخدع نفسك، فأنت أسيء للعادة، ونحن جميعاً مخلوقات عاطفية، أسيرة للعادة، نميل إلى أن نقول لأطفالنا ما قاله لنا آباءنا. أليق نظرة على الأبحاث التي أجريت على أطفال تعرضوا لسوء المعاملة، وستجد أنك لست في حاجة إلى دكتوراه لتعرف النتيجة، أليس كذلك؟ إن الأطفال الذين تعرضوا للإساءة يكبرون ليصبحوا بالغين يسيئون إلى أطفالهم. إذا كان الطفل يعاني من كثرة النقد في طفولته، فسوف يكبر لينتقد الآخرين أيضًا.

لا تبحث عن مشكلات. كما أحب أن أقول: «أبق أشرعتك بعيدًا عن رياح طفلك».

#### السيناريو الرابع:

ما اعتدت قوله: «لقد دق منبهك وتوقف خمس مرات!»، «حسناً، سأحضر دلوًا من الماء».

ما ستقوله وتفعله الآن: أغلق فمك، وامض لشأنك، واعرف أن طفلك سيتأخر اليوم. سيكون هذا أمراً مزعجاً لك كوالد، ولكن مجرد إنجاب الأطفال إزعاج كبير، بل يمكنك أن تربط حزام الأمان واستمتع برحلتك. إن كونك أباً صالحًا يعني في بعض الأحيان أن تغلق فمك، وتترك الحياة تمضي، أو بعبارة أخرى: أن تدع ابنك أو ابنته تذوق عاقبة قراراتها الخاطئة.

## السيناريو الخامس:

ما اعتدت قوله: ”هل لديك الكلارينيت الخاص بك؟ إنه يوم العزف.“.  
ما ستقوله وتفعله الآن: هل هو الكلارينيت الخاص بك أنت؟ فلماذا تقول  
أو تفعل أي شيء؟ حسناً، أعرف أنك أنت من استأجر الكلارينيت، لكنه لطفلك.  
لا تتحمل ما ليس عليك أن تتحمله. لا تُضعف قدرة طفلك الساعي للسيطرة  
على اتخاذ قرارات سلية، بتدخلك فيما يخصه. هذه إحدى تلك اللحظات التي  
تحتاج فيها إلى السكوت، حتى لو شعرت بالرغبة في فعل غير ذلك.

## السيناريو السادس:

ما اعتدت قوله: ”لا يمكنك ارتداء هذه الثياب، فدرجة الحرارة بالخارج  
37. اذهب وغير ثيابك.“.

أو ”إذا كنت تعتقد أنك ذاهب إلى المدرسة بهذا الشكل، أيها الرجل  
الصغير، فأنت مخطئ. غير تسريرحك تلك.“.

أو ”اسمعي، إذا كنت تعتقدين أنك ستضعين هذا القرط، فأنت مخطئة. إذا  
أحببت وضعه مع صديقاتك في عطلة نهاية الأسبوع، فقد أتجاوزت عن الأمر،  
أما وأنت في طريقك إلى المدرسة، فلا“.

ما ستقوله وتفعله الآن: على الرغم من صعوبة ألا ترى نفسك كمصمم  
أزياء، فكر في كل الملابس الحمقاء التي ارتديتها عندما كنت طفلاً. إن لكل  
جيل أسلوبه الخاص في ارتداء الملابس. كان جيلي يرتدي سراويل ضيقة  
عند الكاحلين وفضفاضة فيما فوق ذلك، ويا حبذا لو كانت زرقاء. وكلما كان  
الشعر أكثر دهنية، كان ذلك أفضل، ولو أن لك خصلة من الشعر جعداء على  
جبهتك يجعلك تبدو كالراحل توني كيرتس، فما أروع هذا!!

مظهرك أحمق، لا شك، ولكنه حينئذ رائع!

ألا يُسرّك أن لدينا صوراً تذكرنا بكيف كان شكلنا في تلك الأيام؟

يبذل كل جيل قصارى جهده للتأكد من اختلافه عن الجيل الذى يسبقه (جيل الآباء). يحدث هذا في جميع أنحاء العالم يا أصدقائي، فعليكم أن تتعاملوا مع الأمر بأكبر قدر ممكن من الإيجابية.

ومع ذلك، فإذا كان الذي لا يناسب الطقس بالمرة، فلديك كل الحق في أن تقول: «أرى أنك لست مستعداً للذهاب إلى المدرسة بعد. فقد لاحظت أن درجة الحرارة بالخارج منخفضة للغاية، وأنت ترتدي سروالاً قصيراً»، ولا ضير من هذا، خاصة إذا ما كنت ستُقل طفلك إلى المدرسة، أو متى كان لديه مناعة ضعيفة.

وعند ذلك سيقول لك طفلك: «هيا، وإلا تأخرنا». فقل له، بهدوء: «سأُقلك عندما تكون جاهزاً».

في بعض الأحيان عليك أن تتصرف على هذا النحو، وفي أحيان أخرى عليك ألا تفعل. عليك أحياناً أن تدع طفلك يرتدي ثياباً خفيفة، في الجو البارد، حتى إذا ما شعر بتجمد أطرافه، ندم على ارتداء تلك الملابس، وتعلم الدرس، دون أن تلح عليه، أو أن تقف فوق رأسه.

#### السيناريو السابع:

ما اعتدت قوله: «كم مرة سأقول لك إن عليك أن تهتم بشؤونك الخاصة، أما أختك فبسعها أن تتخذ قراراتها بنفسها، وليس في حاجة إليك». أو «عليك أمر نفسك».

ما ستقوله وتفعله الآن: دع الأشقاء يصرفون أمرورهم معاً. إذا أبقيت نفسك خارج المعركة، وخير من ذلك أن تخرج من الغرفة؛ فستدهشك السرعة التي ستنتهي بها المعركة. والسبب في هذا هو أن طفلك الساعيَين للسيطرة، وجذب الانتباه، لم يعد لهما جمهور.

لقد كان من عادتي أن أقول لأطفالي، متى حدثت بينهم مناوشات: «فليجِدْ كلُّ قاربه». وعادةً ما كانت تلك المقوله تُنهي الجدال على وجه السرعة.

## السيناريو الثامن:

ما اعتدت قوله: ”لو أن مخك هذا لدى طائر، لتخبط يميناً ويساراً.“.  
أو ”ستكون سبب موتي!“.  
أو ”إنك تدفعني للجنون!“.

ما ستقوله وتفعله الآن: لقد حق عليك الاعتذار. لقد تجاوزت الحدود، وأظهرت نفسك في موقف الأحمق، وعليك الآن أن تقول ما تصح به قوله هذا، فقل: ”أنا آسف. ما كان ينبغي أن أقول ذلك. أرجوكسامحني على عدم احترامي لمشاعرك“، وصدقني حين أقول لك إن هذه الكلمات تهدم الحاجز، وتنتفتح لها القلوب، والعقول. إن الكلمات أثراً كبيراً، وهي إما أن تصيب في مقتل، وإما أن تُسكن قلباً جريحاً، فتروّ قبل أن تقولها.

## السيناريو التاسع:

ما اعتدت قوله: ”حسناً، ولكن هذه آخر مرة أُكلك فيها إلى المدرسة“.  
ما ستقوله وتفعله الآن: في الغالب ليست هذه هي المرة الأخيرة، فقد علمت ابنك أو ابنته بالفعل أن ما تقوله لا يعني شيئاً في الحقيقة، ف مجرد تكرارك لتلك الكلمات يثبت ذلك. ومرة أخرى أسألك: من العازف ومن القرد؟ من يدرب من؟

نحن من يدرب أطفالنا على ألا يستمعوا إلينا، وأن يضربوا بكلامنا عرض الحائط، فهم يعيشون معنا، ويعرفون أننا قد نثور ونغضب، ولكن الأمر يمر قبل انتهاء اليوم، ويكون بإمكان الأطفال أن يذهبوا إلى المبارزة التي أرادوا الذهاب إليها، فرفضنا أول الأمر، أو أيّاً كان ما أرادوه، فرفضنا، ثم تنازلنا عن موقفنا.

إذا كنت تستخدم لغة ”هذه هي المرة الأخيرة“، فستخدر أطفالك. وينطبق نفس الشيء نفسه على كلمة (لا) مع الأطفال الصغار. لا تقل لها كثيراً حتى إذا وصلوا إلى سن الرابعة فقدت معناها، وبدلًا من ذلك، احمل الصغير واصرف انتباهه بما يفعل ما تريده، وادهبه به إلى موضع آخر من المنزل، فهكذا يتعلم الأطفال ويدربون، بطريقة تعتمد على الفعل والتصرف، لا على المنع، وعندئذٍ

لن يكون هناك داعٍ لاستعمال كلمة (لا) إلا عندما يكون هناك حاجة حقيقة لها، وحينها يعرف ابنك النازع للسيطرة أنك جاد في قولها.

### السيناريو العاشر:

ما اعتدت أن تقوله: ”لا، لن تحصل على ثلاثة قطع من الشوكولاتة على الغداء، وإنما أصبت بالديدان، وفقدت أسنانك، وحينها سيكون عليّ أن آخذك إلى الطبيب“.

ما ستقوله وتفعله الآن: نظراً لأنك تهتم بما يأكله طفلك، وقد قرأت كثيراً من المقالات عن صحة الأطفال وتغذيتهم، تأخذ قطع الشوكولاتة الثلاثة من غدائها، وتقول بلهفة: ”حبيبي، أعرف أنها مغربية حقاً، ولكننا سنتركها لوقت آخر“. إن من الأبوة الجيدة أن تبقى مت Hickma في عواطفك، وألا تبالغ في تصرفاتك، وأن تتحرى المصلحة، وأن يكون رد فعلك استجابة قائمة على التصرف، وأن تجتهد لتغيير السلوك الذي لا ترضي عنه.

### السيناريو الحادي عشر:

ما اعتدت قوله: ”لَكَمْ أُنْتَظِرُ عُودَةَ أَبِيكَ إِلَىَ الْمَنْزَلِ، عَنْدَمَا يَسْمَعُ كُلَّ كَلْمَةٍ قَلْتَهَا لِتُوكِ! لَنْ أَحْسِدَكَ عَلَىَ الْمَوْقِفِ الَّذِي تَضُعُ نَفْسَكَ فِيهِ“.  
أو ”أَفْكُرْ فِيْ حِرْمَانِكَ مِنَ الْذَّهَابِ إِلَىَ حَفْلَةِ التَّخْرُجِ“.  
أو ”لَا تَتَحَدَّثُ مَعَ أَمْكَ بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ!“.

ما ستقوله وتفعله الآن: لا يخدع الأطفال بالتهديدات والتحذيرات بسهولة، وكلما تكررت، راحت تفقد معناها. أنت مسؤولة عن كل كلمة تقولها. يقول المرء طيلة الوقت: ”إنك تدفعني للجنون“، لكن الحقيقة هي أنه هو من يختار أن يُجنّ. أنت من يتحري التفوه بتلك الكلمات المؤلمة.

إذا دخلت إلى غرفة قلبها أطفالك رأساً على عقب، غرفة أنت اشتريت أثاثها حديثاً، فمن الجيد والصحي أن تقول: ”إنني غاضب جداً ومنزعج لرؤيتك الغرفة على هذا الحال“. لاحظ أن هذا تعبير صادق، فأنت غاضب، ومنزعج

حًقا. تُظهر استياءك، لأن أطفالك قد اختاروا تدمير الغرفة، ولكنك تقول هذه الحقيقة بهدوء، وتقولها مرة واحدة، ثم تمضي لشأنك.

إليك مبدأ مهم تحتاج إلى معرفته: بقولك إنك غاضب ومستاء، تضع الجمر الساخن على رؤوس أطفالك، فهم لا يحبون أن يروا آباءهم غاضبين أو مستائين، وقليل من الآباء من يفهم هذا، ولكنها طريقة عظيمة من طرق التأديب. ولو كان لدى أطفالك ذرة من الأخلاق أو الاحترام، فسيدخلون سريعاً إلى الغرفة، ويصلحون ما أفسدوا منها.

إن قول الحقيقة بحب، وبصوت هادئ يُجدي أيمماً جدوى في التعامل مع قضايا الانضباط. أما ترك المسؤولية، بقولك: ”لَكَمْ أنتظر عودة أبيك إلى المنزل“، فهو علامة على الضعف. إذا حدث تصرف خاطئ في ورديتك، فعليك أنت أن تتعامل معه. لا تضعي زوجك في هذا الموقف المحفوف بالمخاطر، يجعله يتعامل مع ما لم يشهده بعينيه، فيكون كالقاضي الأعمى. ليس هذا ظلماً فحسب، بل يسيء إلى كلِّ منكمَا، ويُضعف سلطتكِ كأم.

## السيناريو الثاني عشر:

ما اعتدت قوله: ”لماذا تركت الباب مفتوحاً؟ هل ندفء الحي بأكمله؟“. أو ”هل تعتقد أن المال ينمو على الأشجار؟“.

ما ستقوله وتفعله الآن: عليك أن تدرك أن ما تقوله محبط. بدلاً من ذلك، قل: ”كاثرين، هَلْ تغلقين الباب الأمامي؟ يبدو أن أحدنا تركه مفتوحاً“. فإذا كانت كاثرين هي من تركته مفتوحة، فسيكون ردّها على الأرجح: ”آسفة يا أبي“. وهذا ما سيقوله أغلب الأطفال في الغالب، حتى هؤلاء منهم الذين تحركهم القوة، متى حدث تعامل معهم على هذا النحو. فهذا القول منك يركز على العمل، لا على الفاعل. أما إن ظللت توبخه على خطئه، فلا جدوى من ذلك، بل سيؤثر هذا في علاقتكمَا أيمماً تأثير، وسيقلب طفلك عليك.

## السيناريو الثالث عشر:

ما اعتدت قوله: ”غير سحتك هذه، وإنما غيرتها لك.“.

ما ستقوله وتفعله الآن: قد تقول: ”أرى من نظرة عينيك أنك لست سعيداً بما طلبت منك فعله“. هذا البيان يفتح الباب لبعض النقاش بدلاً من أن يؤدي إلى أن نهين بعضنا بعضاً، فهو قول يُظهر احترامك لرأي طفلك وأفكاره، ويسمح لك بلحظة تعليمية: ”هناك بعض الأشياء التي نطلب منك فعلها كل يوم وكل أسبوع في هذا المنزل، ونحن نفعل ذلك لسبب ما، فأنت عضو في هذه العائلة، وتستفيد من جميع وسائل الراحة التي توفرها هذه العائلة.“.

## السيناريو الرابع عشر:

ما كنت تقولينه: ”لم تزل القمامنة في مكانها، ولن تخرج نفسها، إنه دورك“.

أو ”أنتما جديران ببعضكمما بعضاً“ (حين يتعارك أخوان).  
”لا أدرى لم أنجبنا أطفالاً، ليتنا أنجبنا شيئاً أكثر نفعاً!“.

ما ستقوله وتفعله الآن: لقد وجب عليك الاعتذار، فأنت تهين أطفالك.  
بدلاً من ذلك، جرب أن تقول: (جرب أنت...!).

## السيناريو الخامس عشر:

..... ما اعتدت قوله:

..... ما ستقوله وتفعله الآن:

## السيناريو السادس عشر

..... ما اعتدت قوله:

..... ما ستقوله وتفعله الآن:

أترى سهولة الأمر؟ ها أنت توشك أن تكون خبيراً!

## **العودة إلى الأهداف القابعة خلف سوء السلوك:**

هل تذكر الأهداف الأربع لسوء السلوك من الفصل التاسع؟ إن مشاعرك أيها الأب، دليل جيد لتوجيهك إلى الهدف الذي يسعى طفلك لتحقيقه بسوء سلوكه، ولكن إذا تمكنت من إيجاد استجابة إيجابية بدلاً من التفكير في معاقبة طفلك على ما فعله لتوه، فستنزع فتيل هذا الهدف الذي هو تحصيل الاهتمام والقوة. إن العقوبة لا تعلم الطفل شيئاً، أما التأديب فيعلمه أن يكون عضواً مساهماً في عائلتك ومجتمعك.

ولقد أدى عالم النفس لاري نيسان في مقالته "الأهداف الأربع الخاطئة لسوء سلوك الأطفال" عملاً رائعاً في تكييف المفاهيم من كتاب رودولف دريكورز "الأطفال: التحدي"، وهذا أنا أعدل هذه الأفكار من لاري.

### **السعى خلف انتباه غير مبرر:**

عم يعبر سلوك طفلك؟ "لا قيمة لي ما لم أُبُقِّ أبي مشغولاً بي".

فيكون لسان حال رد فعلك العاطفي: "يا لك من مزعج! إنك لشوكة في الحلق".

وكل نتيجة لذلك يكون فعلك هو: أن تتجاهل السلوك.

فكيف يتفاعل طفلك مع ردودك وتداريرك الخاطئة: إنه يزيد من حدة سلوكه.

ما يجب عليك فعله بدلاً من ذلك: امنح طفلك الاهتمام الواجب (أي التشجيع، وليس المدح) في وقت لا يكون فيه يسعى نحو تحصيل اهتمامك أو انتباحك.

### **السعى خلف قوة غير مبررة:**

عم يعبر سلوك طفلك؟ "لا قيمة لي في هذا العالم إلا بأن أُريكم أنني السيد هنا، أو عندما أجبركم على فعل شيء ما" أو "لا قيمة لي في هذا العالم ما لم أُركم أنكم عاجزون عن إجباري على أي شيء".

رد فعلك العاطفي: أن تشعر بـ

• الغضب: هذا الطفل يزعجني حقاً.

• أنه يتحداك: أود أن أوبخه على هذا الأمر.

- الإحباط: ليت بإمكانني أن أشحن هذا الطفل إلى مكان آخر!
- الانهزام: ما هذا المأزق! يبدو أنه من مهرب هنا.
- الانتقام: سأُريك من هو السيد، أيها الجرذ الصغير.
- التصعيد: سأجعلك بائساً لتصرفك على هذا النحو معى، أتستعرض علىَ قوتك!

ما تفعله نتيجةً لذلك (لتكونَ رد الفعل العاطفيّ هذا): هو أن تزيد من استعراض القوة من جانبك، وتصعد الأمور.

فكيف يتفاعل طفلك مع ردودك وتدابيرك الخاطئة؟ إنه يزيد من استعراض القوة.

ما يجب عليك فعله بدلاً من ذلك:

- الإنصات أولاً.

- توفير خيار بديل في كل مرة.
- التفاوض على حدود معقولة من الوقت والتصرف (3).
- وإليك كيفية فعل الأمر: يقول ابنك: «إنك تكرهني!».

وحيينها يقول معظم الآباء: «لماذا تقول ذلك يا حبيبي؟!»، ويصابون جميعاً بالصدمة، ويشعرون بالإساءة.

أما الاستجابة الجيدة، فشيء من هذا القبيل: «إذا كنت تريد أن تصدق ذلك، فهذا شأنك، أما أنا فأعلم أن هذا ليس صحيحاً!».

فلم تعد هذه استجابة جيدة؟ لأنك تُقر بقوّة ابنك («أعلم أنك شخص قوي الإرادة»)، وأنت تقر بمشاعره («أتفهم استياءك، وغضبك. أتفهم ذلك، ولكن هذا هو الحال»).

إن المشاعر أمر لا مفر منه؛ لا يمكنك إنكارها أو التلاعيب بها، فلا تحكر على مشاعر طفلك، ودعه يُخرجها للعلن، ثم قل الحقيقة بحب وهدوء.

وأضمن لك أن طفلك الباحث عن الاهتمام والمدفوع بالقوة سيتغير متى كنت على استعداد لتخصيص بعض الوقت والجهد للتغيير من نفسك. لذا سَلْ نفسك عما تفعله عادةً في المواقف الصعبة مع ابنك أو ابنتك. ثم سلها: ماذا سأفعل أو سأقول بشكل مختلف؟ إن التغيير يمكن في اتخاذ قرار بأن تتصرف على نحو مختلف.

### ما يمكّنك عمله:

- أدرك أهداف طفلك.
- ادرس نقاط استفزاز طفلك حتى تتجنب إثارتها.
- سُلِّم بمشاعر طفلك، ثم قل الحقيقة بحب وهدوء.

### إعادة تشبيك (ضبط) سلوكك كأب:

بمجرد أن تحاول إعادة تشبيك سلوك ابنك القوي، فإنك تعيد تشبيك سلوكك أنت أيضاً. مما يحدث بينك وبين طفلك الآن سوف يستمر في التجدد ما لم تفعل أمراً مختلفاً.

هل يتشارج طفلك ذو السنوات الأربع مع أخته ذات السنوات الستة طيلة الوقت؟ هل هذا هو السيناريو الذي يجري حينها: يبكي، فتهرع لمساعدته، وتعاتب أخته؟

إن هذا التصرف منك يمنحك طفلك ذا السنوات الأربع، الذي يبحث عن الاهتمام والقوة ما يريد، تماماً. مما الذي يتبعه عليك أن تفعله على نحو مختلف لإيقاف سلوكه هذا؟

• انسحب من المعركة:

في المرة التالية التي يأتيك فيها راكضاً، يبكي مما قالت له أخته أو فعلته، تقول له: ”حبيبي، إن لديك مشكلة مع أختك، وأنت في حاجة إلى التحدث معها بهذا الشأن“، ثم... تستدير وتخرج من الغرفة. حينئذ سيضطر الأخوان إلى تسوية المشكلة، لأنك لم تعد حكماً بينهما.

أما إن لم تتصرف، فسيصبح طفلك ذو السنوات الأربع أحد هؤلاء البالغين الذين يشكون من موظف آخر في غرفة الاستراحة، ثم يهربون إلى رئيسهم في العمل ليشوا به. يعرف الراشدون الأصحاء كيف يتعاملون مع ما ينشأ من مشكلات في علاقاتهم مع الآخرين، أما الراشدون غير الأصحاء فيجدون الشكوى أكثر سهولة، ومتى وجهاً عادوا أدراجهم سريعاً، فهم لا يشعرون بالأمان في قراره أنفسهم.

عندما تعيد تشبيك سلوكك الخاص، فإنك تغير النتيجة المتوقعة. إذا انسحبت من حرب بين شقيقين، فإنك بهذا تقر بأنها معركتهما، لا معركتك. لن يكُف معظم الأطفال عن التذمر متى علموا أنهم بتذمرهم هذا يجبرون أباهم الضخم أن يقف في صفهم ضد أخيهم الأكبر.

لا تنَسَ أبداً أنك مصدر الطاقة الأصلية، ولكن عليك أن تعي أن هذا لا يعني أن لديك حلّاً لكل مشكلة، تُخرجه من جيبك متى أحببت، فهذا خداع سرعان ما سيدركه أطفالك، لكن اعلم أن الإجابة اللينة الرقيقة تحقق الكثير: ”حبيبي، ربما أكون مخطئاً، لكن هل يمكنني أن أقول إن إهانتك لأختك لما يشعرك بالرضا عن نفسك؟ أليست هناك طريقة أفضل للتعامل مع الأمر؟ أليس هناك أمر طيب يمكنك أن تقوله عن نفسك الآن؟ كحقيقة أنك تبلي بلاء حسناً في المدرسة، وتعمل بجد لتعلم قواعد كرة القدم؟ فلماذا لا تُكُف عن مقارنة نفسك بأختك؟“.

## • تعرّف على نقاط استفزازك الساخنة:

”دكتور ليمان، أنا أتسم بالهدوء في معظم الأوقات“، كان هذا ما قالته لي إحدى الأمهات من عهد قريب متابعةً: ”ولكن طفلي لا يكُف عن استفزازي، إلى أن أنفجر“، ولا غرابة في هذا، فهذا حال تسعه وتسعين بالمئة من البشر. هناك بعض العبارات، والسلوكيات التي تثير أعصابنا، لا شك في هذا، لكن هل يعني هذا أن ”تنفجر“؟

عليك في تلك المواقف ألا تنسى أنك أنت الأب، فجد سبيلاً لتحديد ردود أفعالك. فكر ملياً في كيفية استجابتك حتى قبل حدوث تلك المواقف الساخنة. ولو أن لديك خطةً مدروسة بتمعن لما يشيع في منزلك من تصرفات وردود أفعال، فستبحث عن الفرصة لتنفيذها، ولن تتفاجأ عندما تندلع شرارة تلك المواقف لتشعل أجواء منزلك. هل ما يثير حنقك هي نظرة الازدراء تلك، أم قولها لك: ”مستحيل أن أفعل هذا!!“، أم عقد ابنك لذراعيه على صدره وكأنه يتحداك، أم قوله: ”لكن أمري...“؟ هل تلك الأمور هي ما يجعلك تكيلين لطفلك كل تلك الإساءات؟

الحل بسيط: ضع خطتك الآن، قبل أن تندلع تلك التصرفات والأقوال.

• عليك أيضاً أن تدرك أن بعض الأمور تستحق أن تتأهب لها، وأن تستنفر كل طاقتك، وبعضها لا يستحق:

عندما يقول ابنك المدفوع بالسلطة شيئاً غبياً، وهو لا بد فاعل، فإن لاستجابتك علاقة كبيرة بما سيجري بعد ذلك، فبدلاً من قولك له: ”إن هذا (ما تقول) أغبى شيء سمعته“، تمالك نفسك، وانظر إليه مباشرةً وقل: ”أخبرني بالمزيد عن هذا الأمر.“.

هل تتذكر جلوسك على الأرجوحة في صغرك؟ لقد تحدثنا بالفعل أيهاالأب، عن كونك نقطة التوازن على تلك الأرجوحة، لكن فكر في المبدأ الذي تُبني عليه الأرجوحة ذاتها. إنها علاقة بين شخصين، يعلو أحدهما عندما ينخفض الآخر. إن الأمر نفسه ينطبق على "القوة" في أي علاقة. إذا أصبح الشخص (أ) قوياً، ثم حاول دفع الشخص (ب) إلى أسفل ونجاح، فإن مستوى قوة (أ) يرتفع، حينها يكون رد الفعل الغريزي للشخص (ب)، الذي أُجبر على الانخفاض، هو أن يفعل ما يجب أن يفعله الأطفال في الحي الذي أسكنه؛ أن ينتظر حتى لحظة حرجة، ثم يقفز عن الأرجوحة، ليهوي الطفل الآخر على الأرض.

ولكن ماذا لو أنك وضعت قدميك على الأرض عند طرف تلك الأرجوحة، وحاولت أن تعادل الحركة بدلاً من ذلك؟

في كلتا الحالتين، تفعل فعلًا ما، ولكن هناك فعل له نتائج سلبية (فالشخص الآخر يهوي بشدة على مؤخرته متالماً، وأنت يُصرَخ في وجهك)، والآخر له نتائج إيجابية ومهدئة (لديكما دقة للاستمتاع بالسماء الزرقاء فوقكما).

على سبيل المثال: لنفترض أن طفلك القوية تصفع الباب، وتلقى بكتبها على طاولة المطبخ، وهي تهدر: "لقد فاض بي الكيل من جيسيكا".

لا يغيب عنك أنها هي وجيسيكا صديقتان منذ ثلاث سنوات، وأن علاقتهما بها لحظات حلوة، ولحظات مُرة، شأن أي علاقة. في حال كتلك يهرع معظم الآباء للاطمئنان على طفلهم، ويسألونه عما يضايقه. أما أنت فكن أباً ذكيًا، واترك طفلك يهدأ قليلاً. إن تركها تصفع الباب، وتقضي بعض الوقت بمفردها أمر طيب لكِ منكما، وعاجلاً أم آجلاً ستعرف ما بها، ولكن بعد أن تستوعب هي ما جرى.

أما إذا وقفت على رأسها، وظلت تطرح الأسئلة، فاستعد لعبارات من قبيل: "لن تفهم أبدًا ما أمر به...", أو "لم تتطفل عليّ هكذا؟"، ولهذا ستكون أي استجابة منك بمنزلة إعلان للحرب، فابنتك في حالة نفسية مهيبة لهذا، وهي تريد أن تتشاجر مع أي شخص، وإن كنت قريبًا منها، فأنت تسهل عليها الأمر.

الحقيقة هي أن ابنتك تعاني الآن من ألم كبير، لأنها غاضبة، وقد تكون في حاجة إلى مساعدتك، ولكن ليس في تلك اللحظة ذاتها؛ ليس قبل أن تهدأ، وتكون قادرة على التحدث بشكل عقلانيٌّ متزن، أو سماع أي شيء قد ترغب في قوله لها.

أما إذا بدأت في استجوابها كقاضٍ، وإمطارها بالأسئلة، فستُطبق فمهما، وستزداد حدة سلوكها المدفوع بالقوة.

إذا حافظت على هدوئك، فستُدْهش مما تكتشفه، وبما أنك لا تضغط عليها، فستجدتها تأتي إليك لتخبرك بما جرى، لحاجتها إلى ذلك.

إنه قانون فيزيائيٌّ: إذا كان هناك حركة في اتجاه ما، فلا بد أن يكون هناك حركة في اتجاه آخر.

إذا خفَضت من حدة استجابتك، فلن يكون هناك من داعٍ أمام طفك ليزيد من حدة تصرفه.

### أفكار قوية ناجعة:

لا يكُفُّ ابني ذو الأحد عشر عاماً عن مضايقة أخته غير الشقيقة ذات الثلاثة عشر عاماً، ولا تكُفُّ هي عن مواجهته بالمثل، فأصبح المنزل منذ زواجنا قبل عامين ساحة حرب على الدوام، لا تعرف الهدوء إلا بعد أن يصفع كلُّ باب غرفته، ويمضي إلى فراشه متذمراً لساعة على الأقل.

ثم حدث أن سمعتك زوجتي في المذيع تتحدث عن ترتيب الميلاد، وكيفية التعامل مع التنافس بين الأشقاء، فكان أن أدركنا للمرة الأولى، أن لدينا بكرتين يتنافسان على المركز الأول. لا عجب إذن في أنهما لا يكفان عن الشجار! وعندما اتبعنا بنصيحتك، فابتعدنا عن الشجار، تحسنت الأمور كثيراً. في المرة الأولى، كان ما لقيناه منهما هو ردود من قبيل: "لكن يا أمي، هو من...", و"لكن يا أبي، هي التي...", لكننا علمنا منك أنهما كانوا يتلاعبان بنا، ويستخدمان كلَاً منا ضد الآخر.

تركنا لهما الغرفة، فتبعانا حيث كنا، كما قلت أنت، وواصلنا الشجار. وحينها نظرت أنا وزوجتي إلى بعضنا بعضاً نظرة ذات مغزى، ثم أخذنا

مفاتيح السيارة، وانطلقتنا إلى الخارج، نستمتع بوقتنا، حتى إننا تناولنا كوبين من القهوة، وعندما عدنا، كانت لورا تساعد صمويل في أداء واجبه، وهما يتناولان الفشار. لقد أفلحت نصيحتك.

مات، بينسيفانيا

### نقاط القوة:

- أعد ضبط محادثات الصباحية المعتادة.
- اعرف نقاط استفزاز طفلك، وكذلك نقاط استفزازك.
- انسحب من المعركة.
- خفّض من استجابتك، حتى لا يصعد طفلك من حدة تصرفه.

# 16

## إعادة توجيه دفقات الطاقة

كيف تشجع الأهداف الإيجابية، وتُري طفلك أن بإمكانه أن يستغل نزعته نحو القوة فيما يفيد؟

لقد وسموه بالغباء، والتوانى، وبأنه يعاني من أحلام اليقظة، وكان مدرسه لا يكُف عن توبيخه.

”ألبرت، عليك أن تنتبه... ألبرت... إن لم تنتبه فسأستدعي أمك.“.  
وبعد خمس دقائق: ”ألبرت، هات ورقتك إلى مكتبي الآن. يبدو أنك تشخبط“. يأخذ المدرس الورقة من ألبرت ليقول: ”هل يمكنك أن تفسر لي هذه الـ إـي“ الكبيرة؟ وما الذي تفعله تلك الـ إـم“ والـ سـي“ الصغيرتان؟ وهذه الـ (2)؟ لقد طفح الكيل! سأستدعي أبويكاليوم، فأنت غير منتبه بالمرة!“. فهل لم يكن منتبهاً حقاً؟ الحقيقة أن العبقري ألبرت آينشتاين كان يستخدم قوته وإصراره للتغلب على منتقديه، وإمدادنا بأحد أهم الاكتشافات العلمية.

وهناك أيضاً ذلك الرجل النحيف العبقري، غريب الأطوار الذي خسر ستة عشر انتخاباً قبل انتخابه رئيساً للولايات المتحدة، لكنه حافظ على صلابته، لأنَّه أراد استخدام قوته وتصميمه لـ تغيير بلاده، وخدمة من حوله. وإن وضع

يدك في جيبك، وأخرجت ورقة من فئة خمسة دولارات، فستجد دليلاً ملماوساً على أنَّ أبراهم لينكولن قد أبلَى في حياته بلاءً حسناً.

وهناك كذلك ذلك الطفل الذي اعتاد الجلوس في مؤخرة غرفة في جامعة بافالو، وأخذ امتحانات السادس، وتدخين نصف علبة من السجائر، وهو يقول لنفسه إنه لأمر رائع أن يسمح القائمون على الجامعة للطلبة بالتدخين في قاعة الدرس. وهذا الرجل نفسه لم يتمكن حتى من الالتحاق بالمدرسة الليلية بالجامعة، رغم أنها مصممة لمن لم يتمكنوا من الالتحاق بجامعة عادية بسبب ضعف أدائهم. كان اسم ذلك الرجل هو كيفن ليمان.

وراء كلِّ من هؤلاء الأطفال في مرحلة نومهم كان هناك آباء أحدثوا فرقاً؛ آباءً أمنوا بموهاب طفلهم وقدراته، كما أمنوا أن سلوك طفلهم المدفوع بالقوه يمكن أن يتحوّل إلى إصرار إيجابيٌّ يكون له تأثير إيجابيٌّ في كلِّ من حولهم.

### يعتمد الأمر على طريقة تحديد هذه الشرارات:

لا يمكن إنجاز شيء ذي قيمة في الحياة بسهولة، وهذه حقيقة تنطبق على إعادة توجيه طفلك القويٌّ. وبما أنني كنت في يوم من الأيام طفلًا يسعى خلف الانتباه وتحركه القوة، فإني حقيقاً بأنَّ أخبرك بذلك. ورغم ذلك فالخطة بسيطة، وقد أمدك هذا الكتاب بخريطة الطريق لتحقيق تلك الغاية.

ومع ذلك، فإنَّ ما يحدث بعد ذلك يرجع إليك. ما أسهل الركون إلى الراحة؛ إلى ما اعتدت فعله من قبل، ولكنك إنْ فعلت ذلك مع طفلك القويٌّ، فإنك تتقدّر خطوتين إلى الوراء.

إنَّ الأمر يشبه إلى حدٍ ما نهرًا يحاول شق طريقه في قناة جديدة بشجاعة وإصرار، فيلقى مقاومة شديدة، بما في ذلك الجدران الحجرية الصلبة المنتصبة على جانبي النهر.

ولكن إذا أعددت توجيهه اندفاعات قوة طفلك إلى دوافع إيجابية، فسوف تحرز تقدماً يومياً. وبحلول الوقت الذي يستعد فيه هذا الطفل للالتحاق بالجامعة، أو يجد وظيفة، أو يشرع في شق حياته العملية، فستجد لسان حالك يقول: ” رائع، لقد أفلح الأمر، وكان جديراً بكل جهد بذل فيه.“.

إن الطريقة التي تتعامل بها مع الشرارات التي يرمي بها طفلك القوي في طريقك لتحييد أثرها لجديرة بأن تُحدث اختلافاً كبيراً. عندما عدت إلى المنزل وأنا في التاسعة عشرة لأعلن أنني قد خطبت فتاة أعرفها معرفة سطحية (ليست حبيبي ساندي)، لم أكن أملك فلساً، وكانت أبعد ما يمكن عن القدرة على تحمل مسؤوليات الزواج، لكن أمي لم تأبه للأمر، وكان كل ما فعلته هو أن طلبت بهدوء أن أناولها طبق الفاصوليا الخضراء وهي تتناول العشاء. هل أصيّبت بالذعر في نفسها؟ ربما، ولكن هل أظهرت ذلك؟ لا، لعلني أقيمت بكثير من المفاجآت غير السارة في طريقها، حتى إنها لم تعد قادرة على الالهاش من أي شيء أفعله!

قد تبدو إعادة توجيه طفلك المدفوع بالقوة مهمة شاقة. فقد أصابك ذلك الطفل بالأرق ليالي كثيرة، حتى إنك كنت تتحقق إلى السقف طيلة الليل، تقول لنفسك: "لماذا؟ لماذا يا ربِ؟ لماذا أنا؟ ما الذي جرى هنا؟".

لكن تخيل ما يمكن لطفلك، بكل تلك القوة والإصرار لديه، أن يحقق في العالم ذات يوم إن ثابتت معه، وعلمه التالي:

• معالجة المعتقدات الأساسية والأفكار الحياتية التي تكمن خلف تصرفات الطفل.

• تشجيع طفلك على استخدام قدراته الطبيعية.

• التركيز على الحلول التي تعلم المسؤولية، بدلاً من اللجوء للعقاب.

• إظهار تقديرك لمساهمات طفلك في أسرته.

• تحويل محرك القوة ذلك إلى تصميم يعينه على الدفاع عن الصواب في مجموعة أقرانه.

وهكذا قد يصبح طفلك ألبرت آينشتاين أو أبراهم لنكولن في يوم من الأيام.

### ما يحتاجه الأطفال الساعون لجذب الاهتمام: المشاركة

ما من أحد إلا ويريد أن ينتمي إلى مجموعة، وطفلك يتوق إلى الانتماء إلى عائلتك، وإن بدا الأمر خلاف ذلك. والانتماء طريق ذات اتجاهين، وهو لا يعني أن تشجع طفلك فحسب، بإخباره بحبك له، ولكنه يعني أيضاً أن يكون لديك

توقعات إيجابية له، فبصفته جزءاً من عائلتك، فهو يحمل اسمك، ولهذا فهو يمثل عائلتك، ولأن طفلك جزء من تلك المجموعة، التي هي عائلتك، فعليه أن يفي بأساسيات محددة.

يحتاج جميع الأطفال إلى أن يحظوا بالدعم العاطفي، وأن يتمكنوا من المشاركة لكي ينموا نمواً صحيحاً، لكنك اخترت هذا الكتاب، لأن لديك طفلاً قوياً يقض مضجعك، ولأنك تتساءل عن الاتجاه الذي يسير فيه كلُّ منكما. وفي مرحلة من المراحل، فاتتك بعض الفرص، فلم تستغلها في إعادة توجيهه. وقد حان الوقت لتغيير ذلك.

### ما يحتاجه الأطفال المدفوعون بالقوة: الاستقلال

ما من أحد إلا ويريد أن يشعر بأهميته، فكلنا يريد أن يساهم على نحو ذي معنى. رغم أن الأطفال، بغض النظر عن أعمارهم، يبدو أنهم يركرون على الأخذ من أبوיהם، إلا أنهم أيضاً يتوقون للإعطاء في علاقاتهم، فإذا وجدت طريقة تمكنتهم بها من المساعدة والعطاء لك، ولعائلتك، ولآخرين، فسيغيرون معتقداتهم الخاصة بشأن أنفسهم.

وهذا لأن الجميع يريد أن يشعر بقيمة.

### إعادة توجيه الطفل الساعي خلف القوة:

لو أنك تدرك حقيقة أن أطفالك مختلفون، ولا يمكن معاملتهم بنفس الطريقة، فأنت بالفعل في طريقك لإعادة توجيه طفلك الساعي خلف القوة. فمثلاً: امنح طفلك البكر امتيازات لا يحصل عليها الطفل الثاني، وامنح المولود الثاني امتيازات ومكانة لا يحصل عليها المولود الثالث. فهل يعني هذا أن أطفالك ليسوا متساوين؟ لا، لكن لكل منهم دور مختلف في الأسرة، تماماً كما أن لك دوراً مختلفاً بصفتك الأب. إن معاملة أطفالك بشكل مختلف ترسل لهم رسالة مفادها: «إن أبي وأمي لا يتعاملان معنا بنفس الطريقة، لأننا مختلفون، فهمت». إذا اجتهد الآباء ليتمكنوا من معاملة جميع الأطفال بنفس الطريقة، فلن يشعر أيٌ من الأطفال بالتمييز أو التقدير، وسوف يكبرون وهم ينظرون إلى المكافأة على أنها حق لهم، وإلى أنفسهم على أنهم متساوون اجتماعياً مع آبائهم.

كما أنهم سيستأوفون من معاملة أحد الأبوين للأخر الأكبر بشكل مختلف، ويقولون: ”كيف يتمنى له أن يسهر لوقت متأخر، وأن يذهب إلى هذا الفيلم، بينما لا يُسمح لي بهذا؟!“.

هل تبدو هذه كمحادثة مألوفة في بيتك؟ إن طفلك الذي يتمتم بهذه الكلمات لا شك أنه يشعر بالضيق. إذا حاولت إسكات هذا الصوت بالقوة، كأن تقول مثلاً: ”يمكنه فعل هذا، لأنني أنا من سمحت له“، فسوف تزيد من سعيه نحو القوة.

في عائلة ليمان، كنت أجيّب دائمًا بقليل من الفكاهة أولاً: ”أوه عزيزي، ألم تصلك المذكرة التي أرسلتها الأسبوع الماضي؟ تلك التي نقول فيها إننا نحبه أكثر منك؟!“.

يوضح الوالد الذكي الحقائق فيقول: ”لأنه في السادسة عشرة، وأنت في الرابعة عشرة. أعرف أنك لا تعتقد أن عامين يشكلان فرقاً كبيراً، ولكنه كبير. عندما تصل إلى السادسة عشرة، سنسمح لك بأمور نسمح لها بها الآن. الصبر فضيلة عظيمة (ويبيتسم، وهو يتبع) أعلم أنك قد نفذ صبرك، أو تعرف، إن أباك أيضًا لم يكن يتسم بالصبر، لكنني أتحسن في هذا المضمار منذ أن جئت أنت وأخوك إلى دنياي، فأنتما تعلمانني الكثير. كل ما عليك الآن هو أن تعرف هذا، وبإمكانك التعامل مع الأمر، وستتواصل الحياة، ولسوف تكون هناك أيام أفضل“.

ومهما تفعل، إياك أن تكون أباً متذبذبًا، يتخذ القرار ولكنه يعود ليرضخ أمام نحيب طفله القوي وتذمره. إن الأطفال الأقوباء قادرون على اكتشاف الكبار المتذبذبين من مسافة بعيدة. إذا كنت تريد تثبيط طفل قوي (عن تصرفه الخاطئ)، فأملأه أن هناك فرصة ولو ضئيلة للتغير الأمور. وحينئذ ستتجده يعمل ليل نهار لتحصيل تلك الفرصة. ولذا فلتتخذ القرار، ثم إياك أن تتراجع.

وإذا استمر طفلك في الجدال معك (ولا تننس أن الشجار عمل ثنائياً)، فهو إذن طفل قوي للغاية، ولا يعني هذا سوى أن عليك أن تظهر المزيد من التمسك بأسلحتك / قراراتك.

”عليَّ أن أعترف لك باحترامي لك، يا بني، فأنت ذو عزيمة وإصرار. إنك لتذكرني بنفسي عندما كنت في سنك. لقد قدمت حجَّةً وجيهةً تبين قدرتك على فعل هذا الأمر...“.

ما هذا الذي تفعله الآن؟ إنك تلقي لطفلك بمكافأة مقابل المحاولة التي فعلها، إلا أنك ستعيد توجيه سلوكه القوي، بقولك:

”لقد كانت محاولة رائعة. ربما نجحت لو أنها كانت في منزل آخر ليس لديه نفس القيم التي نؤمن بها. أما هنا، فلن تجدي شيئاً. لو أن لي أن أمنحك درجةً لطبيعتك القوية وكيفية انقضاضك على المشكلة -المشكلة التي هي أنا؛ والدك- فعلىَّ أن أعترف لك بأنني كنت سأمنحك الدرجة النهائية. ذات يوم ستدرك أن نقاط القوة هذه التي تظهرها، بما فيها قدرتك على بناء قضية محكمة، قد تجدي إذا ما وجهتها في المسار الصحيح.“.

لو كان بإمكانك تحويل سعيه إلى جذب الانتباه إلى عزيمة تساعدك على البروز بين أقرانه، لا يُرضيك هذا؟ فكر في الأمر. هذا الطفل الذي يستطيع أن يقول يوماً: ”لا، شكرًا“، ويلتزم بها، عندما يُعرض عليه أن يجرِّب الكوكيابين؟ أن يقف حينها أمام أقرانه صلباً لا يتراجع، تماماً كما يفعل معك الآن؟ ذلك الطفل الذي لا يهمه أن تبدو زمرة أصدقائه رائعة، وكل ما يهمه هو أن ينطلق كالسهم في المسار الذي يختاره ويراه صحيحاً؟

يسعى كل طفل إلى الاهتمام، ومعرفة دوره في الأسرة. يحب الإخوة أن يتميزوا على بعضهم بعضاً، ولذلك فكلما تمكنت من التأكيد على تفرد كل طفل، أصبح الأمر أفضل. اسمح لطفلك الأكبر أن يسهر بعض الوقت، من 15 إلى 20 دقيقة، بعد موعد طفلك الثاني، واعلم أن الحصول على بعض الامتيازات أمر بالغ الأهمية بالنسبة إلى المولود الأول الذي يتحمل الكثير من المسؤولية. وامنح طفلك الثاني ساعة إضافية، كل أسبوع، يلعب فيها ألعاب الكمبيوتر مع أحد أصدقائه، فأنت تعرف أن الأصدقاء مهمون للغاية عند الطفل الأوسط. أما صغير العائلة، فخذه إلى أحد المطاعم، وأحضر له البيتزا التي يعشقها، أو حفنة من حلواه المفضلة، وسترى قدر سعادته.

إن هدفك كأب هو تحويل طفلك الباحث عن الاهتمام إلى طفل يلفت الانتباه بشكل طبيعيٌّ لتفرد شخصيته؛ طفل لا تتذبذب تصرفاته حسب مجموعة

الأقران التي يقضى وقتها معهم، ويستغل سلوكه الساعي للفت الانتباه لجعل الآخرين يشعرون بأنه محل ترحيب وتقدير. ولربما يكون ذلك الطفل الباحث عن الاهتمام هو من يصبح ذات يوم صحفيًا يكتشف مرضًا مجتمعيًا، بل ويسعى إلى علاجه.

### ما يمكنك عمله:

- التزم بالخطة.
- احتفل مع نفسك بالانتصارات التي تُظهر أنك تحرز تقدماً.
- امْضِ في سبيلك خطوة بخطوة، ولا تحاول أن تتسلق الجبل بخطوة واحدة.
- لا تتوقع أن تحصل على أي نتيجة بشكل فوريٌّ.
- عليك أن تدرك أن هناك أياماً ستتراجع فيها خطوتين إلى الوراء لتخطو ثلاثة إلى الأمام.

خاصةً لأباء المراهقين (وإن كان ينطبق أيضاً على الأطفال الأصغر سنًا). لماذا يتصرف المراهقون بالطريقة التي يتصرفون بها؟ لأنه كما ذكرنا سابقاً، كل سلوك ينبع عن هدف ويسعى لتحقيقه.

لقد عمل موقع Tree House (<http://www.treehouseyouth.org>) عملاً رائعاً لتحديد أهداف سوء السلوك لدى المراهقين، حيث قدم أمثلة، وخطوات يمكنك اتخاذها لتشجيع الأهداف والمعتقدات الإيجابية لدى المراهقين، ولكنه أيضاً قدم نموذجاً رائعاً يمكن استخدامه مع الأطفال من جميع الأعمار، لأنه سيساعدك على تعلم طرح أسئلة مهمة جداً على نفسك:

- عندما يتصرف طفلي بطريقة معينة تدفعني للجنون، فما الذي أفعله عادةً؟
- كيف يستجيب طفلي عادةً لتصرفي؟
- ما الهدف الذي يحققه سوء السلوك لطفلي؟

• ما هو الوجه الآخر لهذا الهدف؟ (بمعنى آخر: ما الذي يمكننا معاً العمل من أجله لتوفير بيئة أكثر إيجابية، ليس فقط لطفلٍ ولِي، ولكن لكل فرد من أفراد العائلة؟).

وهنالك كتب أخرى قد يجدها آباء المراهقين مفيدة بشكل كبير، وهي: *Have a New Teenager by Friday* و *Running the Rapids*.

## أحلامك أم أحلام طفلك؟

هل سبق لك أن قلت لطفلك: ”يمكنك أن تصبح ما شئت، وأن تفعل ما شئت في الحياة؟“.

يبدو هذا جيداً، لكنه يشير أيضاً إلى أنه يمكننا اختيار ما نريد فعله في الحياة. إن لدينا جميعاً حدوداً، وهذا جزء من كوننا بشراً، فالبعض منا محدود جسدياً، والبعض الآخر محدود عقلياً، أو عاطفياً، أو اجتماعياً. ولذلك يجب أن تكون التوقعات واقعية.

ولا تنكر أن لديك توقعات/طموحات لأطفالك. كلنا هذا الرجل، فكثيرٌ منا يُسقط أحلامه التي لم تتحقق على أطفاله بسبب الأمور السلبية التي حلّت بنا في الحياة، أو لما نشعر بأننا خسرناه خلالها. في فيلم *A Cinderella Story*، تحاصر التوقعات كلتا الشخصيتين الرئيسيتين. فسام (التي تلعب دورها هيلاري دوف) محاصرة في أن تكون خادمة لزوجة أبيها، لأنها تريد تحقيق حلمها بالذهاب إلى برينستون. أما أوستن فمحاصر بتوقعات والده بأنه سوف يحصل على منحة كرة القدم تعينه على الدراسة، وبعد ذلك بعد الكلية يعود لمساعدة والده في إدارة أعماله. نقطة الانهيار في الفيلم هي عندما يغادر أوستن ملعب كرة القدم.

فيقول له والده: ”إنك تتخلى عن حلمك“، ليرد عليه أوستن، وهو يحدق إلى عينيه مباشرةً:

”لا، يا أبي، إنما أتخلى عن حلمك أنت.“.

هل تحاول أن تعيش حلمك من خلال طفلك؟ إذا كان الأمر كذلك، فعليك أن تدرك أن كل شخص يختلف عن الآخر، وأن طفلك يستحق أن يعيش حياته الخاصة، لا أن يعيشها حسبما تحلم به أنت أيها الأب.

ولذلك فإنه أمر بالغ الأهمية للأباء أن يدركوا أن لكل طفل نزوعاً نحو هدف معين، وهو ما يجعله يجيد فعل أمور معينة، ولا يجيد بعض الأمور الأخرى بنفس القدر (إن تمكن من فعلها بها ابتداءً).

اعتقدت أن أخبر طلاب الجامعة أن مفتاح النجاح في الحياة هو العثور على ذلك الشيء (المجال) الأوحد الذي يبرعون في فعله، ثم تحسين أدائهم فيه، لكن يجب أن يكون الحلم حلم طفلك، لا حلمك أنت.

إن التوقعات العالية، وغير الواقعية، مآلها إلى أن تهزم طفلك. وحينئذ سيحاول جاهداً أن يجذب الانتباه السلبي (السلوك الساعي خلف جذب الانتباه)، أو إزعاجك ومواجهتك، أو مجرد تجاهلك (السلوك المدفع بالقوة)، أو سوف ينتقل إلى مرحلة الانتقام ("سأجعلك تدفع ثمن ذلك")، ثم ينتقل إلى مرحلة "لا أبالني" ("لا يهم ما أقول أو أعتقد، فسوف تفعل ما تريده على كل حال، فمن يهتم بالحياة على أي حال؟").

عندما يكون الطفل صغيراً جداً، فإنه لا يعرف ما الذي يهمه حقاً، وهذه هي المرحلة التي يستكشف فيها الخيارات المختلفة، ولكن واحدةً فوووحدة. ورغم ذلك، يتبعن عليك أن تلاحظ مواهبه الطبيعية أولاً. فمثلاً: ابتك هذا الذي يقضى ساعات طويلة في العبث بأقلام التلوين قد لا يكون من الأنساب أن تشركه في لعبة البيسبول، ولربما يلائمه بشكل أكبر أن تُشركه في نشاط فنيٍ للأطفال.

وعندما يكبر طفلك ويدخل المدرسة، اسمح لاهتماماته أن تتطور في ذهنه، وبدلًا من دفع طفلك للانضمام إلى نشاط معين، قل له: "يا للروعة! إن هناك الكثير من الأنشطة التي يمكنك المشاركة فيها بما أنك أصبحت في المدرسة. هل هناك ما تهتم به بشكل خاص؟ إذا كان الأمر كذلك، فأي الأنشطة تحب؟".

وباستجابتك هذه تقول لطفلك أمرين:

الأول: إن المشاركة أو عدمها قراره الخاص. ولاحظ أنك بقولك هذا لا تدفعه إلى ممارسة الأنشطة بشكل مفرط. وأعلم أن بعض الأطفال يحتاجون إلى الكثير من الوقت للهدوء والتأمل، في حين أن البعض الآخر كائنات اجتماعية من أول يوم. والقاعدة التي ألتزمها لصالح جميع أفراد الأسرة، هي نشاط واحد لكل طفل، في كل فصل دراسيٍّ.

الثاني: إذا قرر طفلك المشاركة، فبإمكانه اختيار النشاط الذي يهتم به، بدلاً من توجيه اهتمامه نحو نشاط ترى أنت أن عليه أن يفعله.

وإذا ما اختار طفلك نشاطاً ما، فيجب أن تأتي المسؤولية وتحديد الأهداف والتوقعات من الطفل نفسه، وليس من قبلك، لكنك أيها الأب الذكي، ستضع حدوداً لعدد الاهتمامات التي يمكن لطفلك أن يسعى إلى تلبيتها في وقت واحد.

### ما يمكنك عمله:

#### • شجع طفلك على استكشاف الأنشطة التي تثير اهتمامه:

ويجب أن تحدد أنماط اهتمام طفلك الأنشطة التي تشارك فيها، فلا تجعلها أيتها الأم تختار البالىه لمجرد أنك فعلت ذلك، فربما تفضل التزلج على الألواح، وتشمىز من فكرة ارتداء فستان البالىه الوردى. وعبارة هادئة كـ «لقد بدا لي أنك تستمتعين حقاً بتجريب هذه الآلة الموسيقية»، يمكن أن تساعد طفلك في تحديد اهتماماته بشكل أدق.

• اذكر أمام طفلك عرضاً للمجالات التي ترى أنه يحسن فيها، مثلاً: «رأيت عينيك تلمعان عند الكلام عن مخاطبة الجماهير. أو تعرف أنكمنذ صغرك، كنت دائماً ما تحب إلقاء الخطب؟ حتى إنك كنت تكتب خطيباً لدُمَّاك، ثم تلقيها عليها بأصوات مختلفة، لتمثل حيواناتك كافة. يبدو أنك موهوب حقاً في إلقاء الخطب».

#### • دع اهتمامات الطفل تقوده، لا اهتماماتك:

إن القدرة على تشجيع الأطفال على مواصلة التحسن في مجال يبدو جلياً أنهم يتمتعون فيه بموهبة كبيرة يكاد يكون فناً. وعبارات مثل: «لقد سبحت بشكل رائع هذا العام، وأعلم أنك ستحقق في هذا المجال إنجازاً كبيراً في العام المقبل. لِكَمْ أنا فخورة لكوني أمك!»، عبارات مثل هذه تمارس ضغطاً ظالماً على طفلك، وبما أن طفلك يسعى خلف القوة، فإن أول ما سيفعله هو أن يزم عينيه، ويفكر، ولسان حاله: «حقاً؟ فلن أمارس السباحة على الإطلاق في العام المقبل». كما أن هذا النوع من العبارات يمكن فهمه على هذا النحو: «أنا أقدرك كثيراً، لأنك حققت إنجازاً».

لكن.. هل حقاً هذا هو ما ت يريد أن تقوله لطفلك؟ إنك لن تحبه، ولن تقدرّه، ولن ترضي عنه إلا عندما يحقق الإنجازات؟

عبارات مثل: "يبدو حقاً أنك تستمتع بالسباحة هذا العام. ما أعجب هذه الموهبة التي منحك الله إياها!"، عبارات دافئة ومشجعة، وتركز على استمتاع الطفل بالنشاط الذي يؤديه، وتعطيه ثناءً مستحقاً، فيبتس طفلك، ويشعر بتشجيعك له.

وبناءً على ذلك، فماذا تقول في المرة القادمة التي تذهب فيها ابنتك ذات ثمانى سنوات للاستكشاف في الغابة، فتعود ومعها جمجمة لغزال؟

"هذا مقرز جداً! لا بد أنها ملائكة بالحشرات. أخرجيها من المنزل على الفور!"، أم: "ما هذا؟ أين وجنته؟ لم أكن لأتخيل أبداً أنك ستتجدين غزالاً هناك. ترى كم عمر هذه الجمجمة؟ إذا كنتِ ترغبين في تنظيفها حتى نتمكن من إلقاء نظرة أفضل، فيمكنك استخدام حوض المرأب. وخذى فرشاة الأسنان هذه، وبعضاً من ذلك الصابون المضاد للبكتيريا!".

كل ما يتطلبه الأمر هو أن تتعدي حتى 10 قبل أن تتكلمي، وأن تفكري فيما يهم على المدى الطويل؛ وهذه هي علاقتك بطفلك.

### نجم العرض:

لنفترض أن لديك أربعة أطفال، لكلٍ منهم نشاط واحد في كل فصل دراسيٌ. يتطلب هذا الكثير من قيادة سيارتك، ولذلك يجب أن يكون لديك توقعات واقعية، ليس لأطفالك فحسب، ولكن لنفسك كأب أيضاً. ما هو الثمن الذي ستدفعه مقابل لعب طفلك لكرة القدم في عطلة نهاية الأسبوع، أو لأن يكون في فريق المدينة أو فريق يسافر، أو ليحضر دروس السباحة، أو ليأخذ دروس ركوب الخيل، أو للمنافسة في الرقص؟

إذا كان أحد أطفالك يلعب كرة القدم، والآخرون لا يفعلون، فليس بإمكانك أن ترك أطفالك الآخرين - الذين تتراوح أعمارهم بين 3 و 8 و 9 سنوات - وحدهم في المنزل، أليس كذلك؟ فكم يمكنك أن تبذل من وقتك وجهدك لهذا النشاط وحده؟

والآن هناك استثناءات، كالأطفال في الصفين؛ السابع والثامن- على سبيل المثال-: الذين لديهم إمكانات كبيرة في الرياضة أو في الموسيقى. يذهب هؤلاء الأطفال إلى معسكرات كرة السلة، وقد يكون لديهم دروس خصوصية فردية، كما قد يذهبون أيضاً إلى مدرسة خاصة بعيداً عن المنزل للاستفادة من التدريس والمنافسة القوية على ذلك المستوى العالمي. إذا كان هذا شيئاً يريده طفلك، وكان على استعداد للعمل بجد، فعليك أن تمد طفلك القويًّا هذا بكل الدعم، وأن تفعل كل ما في وسعك، دون أن تجعل بقية الأسرة تضحي، ولكن لا تفعل هذا إلا إذا كان هذا هو حلمه، لا حلمك أنت.

لكن الطفل العادي لن ينتهي به الأمر في الدوري الأميركي للمحترفين (السلة)، حيث يربح الملايين، ويرتدي بدلة تعدل خمسة آلاف دولار أو ربطه عنق بألف دولار، ومحاولة جعل طفل واحد من أطفال العائلة بمنزلة نجم العرض لن يؤدي إلا إلى استياء الآخرين وتنافسهم معه. إذا انصب كل الاهتمام على طفل واحد، فلن يسع الآخرين سوى أن يروا أنهم يعاملون بشكل ظالم، وحينئذ يتحول سلوك جذب الانتباه من الحد الطبيعيًّا إلى الحد الزائد، وإذا تجاهل طلب الانتباه، يصبح الطفل ساعياً إلى القوة.

الأطفال الساعون وراء القوة ليسوا فقط من يحصلون على الانتباه، بل هم من يجبرونك على الانتباه إليهم. يمكنهم أن يصبحوا نجوم عائلتك، فلا تدع تصرفاتهم الغريبة تلقي بظلالها على سائر الأطفال في منزلك. وبديلًا من ذلك، عليك أن تُقر بالميول الفريدة لكل طفل من أطفالك، وأن تدعم وتشجع كل واحد منهم في مجال موهبته.

### تحويل اندفاعات القوة إلى دوافع إيجابية:

ليس نقل الطفل من دفقات القوة إلى الحواجز الإيجابية أمراً سهلاً، لكنه بسيط.

يتصرف ابنك بشكل فيه قدر من التحدى، فماذا تفعل؟ لا تعامله بالمثل، ولا تجادل.

لكن بعد أربع ساعات، وعندما يطلب منك أن تُقله إلى مكان ما، فماذا تقول؟ “لا أشعر برغبة في اصطحابك إلى أي مكان اليوم”， تقولها بشكل مباشر صريح، ولكن بنبرة هادئة.

وعندما تحافظ على هذا النمط، يبدأ طفلك في رؤية أن هذا اليوم يوم لا يحصل فيه على ما يريد. وعاجلاً أم آجلاً سيدرك طفلك أن الأمر لا يُجدي، خاصة أنك تعلم الآن أن سلوكه الساعي لجذب الانتباه، وكذلك سلوكه الباحث عن القوة؛ ليس له هدف سوى جعلك تستسلم، وتلبى له رغباته.

لن يمر طويل وقت قبل أن يختار مساراً آخر. وقد يكون هذا المسار الجديد محاولة لرفع مستوى اللعب، وأن يصبح أكثر قوة وعناداً. وإذا كان الأمر كذلك، فهذا سبب أدعى لأن تلتزم خطتك، وألا تستسلم، وبمرور الوقت سيرى أنه إذا اختار مساراً مختلفاً؛ أن يتعاون معك، فستجري الأمور على نحو أفضل.

كثير من هؤلاء الأطفال الساعين خلف القوة لم يخبرهم أحد أن لديهم مهارات قط، وأنه يمكنهم تحقيق أمور رائعة في الحياة إذا ما حاولوا ذلك. ولا تننس أن لديهم بالفعل من القوة والإصرار ما يمكنهم من إنجاز الكثير.

لقد كنت أحصل على درجات بالغة السوء في المدرسة، فرأيت أن مهاراتي لا تزيد على درجاتي، وظننت أنني لا أملك أي مهارات. إلى أن جاء اليوم الذي أخبرني فيه ذلك المعلم أنني أستطيع استخدام مهاراتي لهدف إيجابي، وحينها قلت لنفسي: ”مهارات؟ أنا لدى مهارات؟“، ويرجع ذلك إلى أن الأطفال الساعين خلف القوةأطفال لا يملكون ثقة كبيرة في أنفسهم، وشعار حياتهم هو: ”لا قيمة لي ما لم أكن على القمة، عندما أكون في دائرة الضوء“.

### تختنق مع طفلك:

من بين جميع الأشخاص عليك أنت أن تكون مع طفلك في نفس الخندق، قريباً منه، لصيقاً به. لا يمكنني أن أحصي عدد الأطفال والراهقين الذين تحدثت معهم على مر السنين فقالوا: ”لا يمكنني التحدث مع أمي أو أبي عن هذا الأمر إطلاقاً، لأنهم لن يفهموني“. من المهم أن تتعمق في رأس طفلك تعمقاً يعينك على أن تفهم شعاره في الحياة، الذي ينطلق منه في كل

تصرفاته. إن طفلك في حاجة إلى مدرب من الحياة الحقيقية، وليس هناك من هو أفضل منك لفعل هذا الدور، فأنت من يعرف ميول طفله، ومواهبه، وقدراته، وبإمكانك حتى بقضاء بعض دقائق معه كل يوم، أن تشجع أهدافه الإيجابية ونظرته الصحيحة إلى نفسه.

ولن يفكر في تدوين أهداف حياته سوى طفل ناضج، فلم لا تحتفظ بدفتر صغير تقييد به طفلك، وتسجل به ما يلي:

• الموهوب الناشئة.

• أحداث بارزة.

• المرات التي تراها تصنع فيها أموراً طيبة.

• الطرق الفريدة التي يساهم بها في عائلتك.

• تفاصيل أخرى مشجعة.

ثم امنح دفتر الملاحظات هذا لطفلك مفاجأةً له في عيد ميلاده، أو في أي مناسبة خاصة أخرى، وأكاد أجزم أنه سيحب أن تشرع في إعداد دفتر آخر للعام القادم، فابنك الساعي خلف القوة في حاجة إلى أن يعرف أنك تراه مميزاً، وأنه عضو مهم في العائلة، وأنك تؤمن به وبمواهبه، وأنك تعتقد حقاً أنه ما جاء إلى هذه الأرض إلا لسبب، لكي يقدم مساهمته الفريدة لهذا العالم؛ تلك المساهمة التي لن يفعلها أحد سواه.

قلب طيب:

أخبرتني أمُّ عرفتها لسنوات طويلة قصة مؤثرة عن ابنتها (كاتي). اليوم عندما أقللتُ ابنتي التي تتسم عادةً بالهدوء من المدرسة، كانت تبدو في غاية السعادة. ولم أكُد أبتعد عنها لرصف حتى صاحت قائلة:

• أمي، لقد كان هذا هو أفضل يوم في حياتي!

• حقاً؟ أحكى لي.

• انتَهَتْ بي معلمتي (كارين) جانباً، وقالت لي إنني أشبهها كثيراً عندما كانت في مثل سني. وقالت إنني لا أبالي كثيراً بما تقوله أو تفعله الفتيات ذوات الشعبية الكبيرة، وإنني أعامل الجميع على قدم المساواة،

وإن سائر الأطفال يحترمونني بسبب ذلك. كما قالت إنني أتصرف دائمًا على طبيعتي، وإنني ثابتة على مواقفي، وعبرت لي عن انبهارها بهذا.

وبالطبع، امتلأت فخرًا، فأي أم لا تفخر بابنة كذلك؟

لكن دموع الفرح انهمرت حًقا عندما وصلت ابنتي حديثها قائلة: “إن هذا يعني الكثير يا أمي، فالملوّنة كارين تشبهني”.

كاتي آسيوية، وملوّناتها أمريكيّة من أصل إفريقيّ، ولذا فهما اثنان من القلة القليلة غير القوقازية في مدرستها. كان زملاء كاتي يضايقونها بسبب اختلافها عنهم عندما كانت في الصف الأول والثاني، لكن كان لديها أبوان محبان علمانها كيف تدافع عن نفسها، وكيف تنظر إلى انتباه الآخرين لها من منظور إيجابيٍّ، كما علمانها كيفية جذب الانتباه بطريقة إيجابية، ومتى تلجم إلى المعلمين. وبحلول الصف الثالث، كانت كاتي قد اكتسبت احترام جميع المتنمرين في الفصل، فلم يعد أحد يتّمر عليها، بل إن أحدهم قال لها ذات مرة بإعجاب: “أنت أقوى فتاة عرفتها”， وقد كانت بالفعل قوية وصامدة؛ لا تستسلم، إلا أنها تفعل كل هذا بهدوء وباحترام.

لهذا السبب عنى تعليق الملوّنة لكاتي الكثير. كان بإمكانها أن تعامل من يتّمر عليها بمثل ما يعاملها، لكنها كانت تشجع بنظرائها، وتدير ظهرها لهم، وتمضي في سبيلها، فبرزت بين أقرانها كقائدة بالفطرة، ونالت احترام الجميع.

وكان لملوّنة كاتي (كارين) عادةً تتبعها، إذ تطلب من طلابها أن يأتوا بصفات ينعتون بها طفلاً في عيد ميلاده، وكانت أكثر الصفات التي وصفت بها كاتي هي: طيبة القلب، واستحقاق الثقة، والقيادة، وكونها صديقة للجميع. وكانت تحلى بهذه الصفات تمام التحلي، ولا تفرط في أيٍ منها.

وفي اليوم الذي أعقب انتخاء الملوّنة بكاثي جانبًا، كانت الفتيات ذوات الشعبيّة الكبيرة في فصل كاتي يتّبادلن النّيميمة بشأن فتاة أخرى أنت إلى الفصل مؤخرًا. توجهت كاتي إلى الفتاة الجديدة وقالت: ”مرحباً، أنا كاتي، وأنا أجلس على هذا المقعد، هل تودين أن تجلس إلى جواري؟“.

كانت لفترة صغيرة من كاتبي، إلا أنها عنـت الكثـير حـقاً لتـلك الفتـاة الجـديدة. كل هذا بـسبب فـتـاة ذات ”قلـب طـيب“.

عـندما كان أـيـّـ من أـطـفال ليـمـان (أـطـفالـي) الـخـمسـة يـدـافـع عن طـفـل يـضـايـقـ، كـنـت أـشـعـر بـشـعـور هـذـه الأمـ. ولـذـا فـمـتـى وـجـدـتـ طـفـلـاً من أـطـفالـكـ يـعـاـمـلـ الآـخـرـينـ بـلـطـفـ، فـعـلـيـكـ أـنـ تـشـجـعـيـ فـيـهـ هـذـهـ الطـبـيـةـ، بـأـنـ تـقـولـيـ لـهـ /ـلـهـ، مـثـلاـ: ”أـنـاـ مـحـظـوـظـةـ جـداـ، لـأـنـ لـدـيـ اـبـنـةـ مـثـلـكـ، تـهـمـ بـالـآـخـرـينـ، وـتـدـافـعـ عـنـهـمـ. لـقـدـ أـخـبـرـتـنـيـ مـعـلـمـتـكـ بـمـاـ حـدـثـ الـيـوـمـ. وـأـرـانـيـ هـذـاـ كـمـ أـنـتـ قـوـيـةـ. إـنـيـ حـقاـ لـفـخـورـةـ بـكـ!“.

قد تـعلـوـ طـفـلـتـكـ حـمـرـةـ الـخـجلـ، وـتـشـعـرـ بـبـعـضـ الإـحـرـاجـ، لـكـنـهاـ تـقـولـ فـيـ نـفـسـهـاـ: ”رـائـعـ، فـأـنـاـ لـمـ أـفـعـلـ إـلـاـ مـاـ جـالـ بـخـاطـرـيـ حـيـنـهـاـ، وـلـقـدـ تـفـهـمـتـ أـمـيـ مـاـ فـعـلـتـهـ. مـاـ أـجـمـلـ أـنـ تـلـاحـظـ مـعـلـمـتـيـ الـأـمـ، وـأـنـ تـذـكـرـهـ لـأـمـيـ. هـمـمـ! إـنـ هـنـاكـ فـتـاةـ أـخـرـىـ تـبـدوـ حـزـيـنـةـ بـعـضـ الشـيـءـ، رـبـمـاـ عـلـيـ أـنـ أـطـلـبـ مـنـهـاـ غـدـاـ أـنـ تـتـنـاـوـلـ غـدـاءـهـاـ مـعـيـ.“.

هل تـرـيـنـ كـمـ هـيـ ذـكـيـةـ.. طـفـلـتـكـ؟!

حـافـظـيـ عـلـىـ شـرـارـةـ طـفـلـتـكـ مـتـقـدـةـ فـيـ اـتـجـاهـ إـيجـابـيـ، وـسـوـفـ تـسـتـخـدـمـ قـوـتهاـ لـصـالـحـ الـآـخـرـينـ.

### أـفـكـارـ قـوـيـةـ نـاجـعـةـ:

ديـفـيدـ طـفـلـيـ الثـانـيـ، وـهـوـ كـذـلـكـ صـغـيرـ العـائـلـةـ، وـلـطـالـمـاـ كـانـ مـصـدرـ إـزعـاجـ كـبـيرـ، وـلـمـ يـكـنـ بـوـسـعـيـ يـوـمـاـ أـنـ تـمـ مـحـادـثـةـ دـوـنـ أـنـ يـقـاطـعـنـيـ.

وـعـنـدـمـاـ بـلـغـ الثـامـنـةـ، سـاعـتـ الـأـمـورـ بـشـكـلـ كـبـيرـ. وـنـذـاتـ مـرـةـ، بـيـنـمـاـ أـتـحدـثـ معـ أـبـيـ، وـقـفـ دـيـفـيدـ بـبـيـنـنـاـ وـقـالـ: ”جـدـيـ، سـأـشـعـلـ النـارـ فـيـ حـظـيرـتـكـ!“؛ وـقـعـتـ كـلـمـاتـهـ كـالـصـاعـقـةـ عـلـىـ أـبـيـ، وـفـغـرـتـ فـمـيـ. تـوقـفتـ الـمـحـادـثـةـ بـيـنـنـاـ، وـلـمـ يـدـرـ أـيـّـ. مـنـاـ مـاـ يـقـولـ، وـلـكـنـ الـطـفـلـ تـمـكـنـ حـقاـ مـنـ جـذـبـ اـنـتـباـهـنـاـ.

وـبـعـدـ شـهـرـ، دـعـتـنـيـ أـمـيـ إـلـىـ إـحـدـىـ نـدـواتـكـ. وـفـيـ ذـلـكـ الـيـوـمـ أـدـرـكـتـ أـنـنـيـ مـنـ جـعـلـ دـيـفـيدـ يـنـتـقـلـ مـنـ مـرـحـلـةـ السـعـيـ إـلـىـ جـذـبـ الـاـنـتـبـاهـ إـلـىـ مـرـحـلـةـ السـعـيـ خـلـفـ الـقـوـةـ. إـنـهـ الـمـولـودـ الثـانـيـ التـقـليـدـيـ الـذـيـ تـتـحدـثـ عـنـهـ، فـأـخـوـهـ الـأـكـبـرـ يـفـوقـهـ فـيـ كـلـ شـيـءـ تـقـرـيـبـاـ، وـلـذـاـ قـرـرـ أـنـ يـسـلـكـ الـطـرـيـقـ الـمـعـاـكـسـةـ تـمـاماـ.

بعد يومين من عودتي إلى المنزل، تحدثت مع ديفيد وقلت: "لعلني مخطئه، لكنني أعتقد أن هذه هي الأسباب التي تجعلك تفعل ما تفعله"، وذكرت أمامه ما تعلمته. وعندما اعترف ديفيد بأنه لم يشعر بالسعادة قط، حصلت على مرادي، وأفکر الآن أنا وزوجي في الطرق التي يمكننا بها تشجيع ديفيد ودفعه في اتجاه إيجابيٌّ، بدلاً من تشجيعه على جذب الانتباه السلبيٌّ. نعلم أن الأمر لن يكون سهلاً، ولكن يكفياناً أن لدينا للمرة الأولى خطة عمل لمعالجة الأمر.

تيريزا، أريزونا

### نقاط القوة:

- كل إنسان يريد أن يشعر بالانتماء.
- كل إنسان يريد أن يشعر بأهميته.
- لكل إنسان قدرات طبيعية، ويمكنه المساهمة.
- يمكن تشجيع الجميع على الخير، باستخدام الحافز المناسب.



## الخاتمة

### يمكنك تحقيق هدفك

لا تنسَ أهمية اللهو والمرح، فالعائلة التي تلهو معاً،  
تبقى متمسكةً.

بعض العائلات لا تلهو. أما نحن، آل ليمان، فنحاول أن نحظى بالمتعة في أي مكان. فمثلاً: إذا ما دخلنا إلى أحد المطاعم، فليس غريباً أن نصفق للنادل، وأن نمزح معه بمجرد قدومه إلى طاولتنا، بل ونتعرف عليه سريعاً، ونسأله عما يفعل في أوقات فراغه، وعما يريد أن يصبح بعد خمس سنوات.

وهذا لأننا نعلم جميعاً أن لدينا خياراً في الحياة، فبوسعنا أن نختار أن نصب اهتمامنا على ذواتنا، أو أن يكون خيارنا أن نشرك الآخرين في حياتنا، وأن نحاول أن نصنع فارقاً في حياواتهم.

إن كسرت الحواجز التي تضعها بينك وبين الناس، فستكتشف أنهم مثلك؛ بشر، يريدون -بغض النظر عن أعمارهم- أن يشعروا بالانتماء، وأن يشعروا أن الآخرين يريدونهم، ويحتاجون إليهم، ويقدرونهم. كما أننا جميعاً في حاجة إلى المرح واللهو.

هل تريد عشاء عائلياً ماتعاً؟

إذا كنت ترغب في الاستمتاع ببعض المرح العائلي الرائع، وكذلك التعمق في عقول أطفالك وقلوبهم، دون أن يلاحظوا فعلك هذا، فيمكنك استخدام إحدى حيل (أللدر).

لقد آمن أللدر أنه فور رؤيته لإنسان، ومعرفة ترتيب ميلاده وسؤاله عن ذكريات طفولته المبكرة، فإن بإمكانه أن يتنبأ بمنظور هذا الإنسان للحياة. لو أنك طلبت من الأشقاء الثلاثة الذين يعيشون في منزلك أن يعلقوا على حدث ما، فستجد أن كل واحد منهم يقول قوله مختلفاً، وكلُّ منا يميل إلى رؤية الحياة من خلال نظراته الخاصة، وهي نظارات تختلف باختلاف النظرة العامة التي كونها كلُّ منا للحياة.

لذا جرب هذا في عشاء عائلتك القادر. قل: ”أو تعرفون أيها الأطفال، لقد كنت أفكِر في إحدى ذكرياتي الأولى...“، قل هذا ثم احكِها لهم، وبعد ذلك قل: ”فما هي أولى ذكرياتك يا جوش؟ وأنت يا أماندا؟ وأنت يا نيك؟“.

في حالة طفلك الأول، يمكنني أن أضمن لك أن إحدى هذه الذكريات الأولى ستكون سلبية، كسقوطه من على دراجة أو سلم، وكسر ذراعه. كما أن الذكريات الأولى لهذا الابن البكر هي ذكريات تتصل بالإنجازات، كحصوله على درجة مرتفعة، أو تمكنه من حل أحد الألغاز. ويشير هذا إلى أن المواليد الأول -حتى في سن مبكرة- يكونون عرضة للتفكير في السلبيات أولاً، فهم يأخذون الحياة بجدية أكبر من إخوتهم. كما أن حاجتهم إلى الإنجاز أكبر.

لماذا لا يستطيع المولود الأول أن يكتفي بالتفكير في الإيجابيات؟ لأن طبيعة البكر هي أنه يقضي وقتاً طويلاً من حياته تحت نظر والديه، يصحح له كلُّ منها أفعاله.

فهو من قيل له: ”لا يهمني ما فعلوه، فأنت الأكبر، وأتوقع منك أن تفعل الصواب“، أو ”لا تقل لي ذلك، فأنت في الثالثة عشرة، وأخوك لم يزل في التاسعة، كنت أحسبك أكثر تحملًا للمسؤولية“، فالأبكار، وهم يسردون ذكرياتهم، لا يطرقون إلا المعايير العليا التي ما دام طلب منهم أن يمتثلوها. أما الأطفال المتوسطون، فإن ذكرياتهم عادةً ما تتعلق بأصدقائهم، أكثر مما تتعلق بأفراد الأسرة غالباً. ومرجع هذا هو أن المولود الأوسط غالباً ما يكون الطفل غير الملحوظ، حيث يكون البكر وصغير العائلة هما نجوم العائلة لأسباب مختلفة. ولذلك تكون ذكرياتهم الأكثر شيوعاً هي التفاوض على شيء ما، أو الاضطرار إلى ارتداء فستان حفلة التخرج الخاص بأختها

الكبرى، لأنه لم يزل يبدو جديداً، وأن أبويها لم يرغبا في إنفاق 400 دولار أخرى على فستان جديد.

كما أن الذكريات الأخرى للأبناء المتوسطين ستتعلق بالتمرد، أو باللحظات التي أُعلن تفردهم فيها. وغالباً ما يكونون هم من يتذكرون قول الأم: "هذا هو ستي夫، ابني البكر، وهذه صغيرتي جينيفير، أما تلك فهي جين". إن الطفل الأوسط عالق حقاً في المنتصف، ولهذا فإن من الحكمة أن يخصص الآباء مزيداً من الوقت يقضونه مع الطفل الأوسط وحدهم، بعيداً عن الأشقاء الآخرين. أما صغار العائلة، فسيتذكرون أعياد الميلاد، والمفاجآت، والهدايا، والمناسبات الخاصة، ويرجع ذلك إلى أن هذه الأشياء تنسجم مع منظور حياتهم. فالجميع يألفونهم ويحبونهم، ولا يشغل بهم شيء سوى مكان الحفلة القادمة، كما أن أبوיהם لم يدققا كثيراً في تصرفات هؤلاء الصغار، إذ كان التعب والإرهاق قد نال منهما كل منا بمجيء الطفل الثالث، كما أن وجود طفلين آخرين قد حال كثيراً بين احتكاك الأبوين بهم. وغالباً ما أفلت هذا الصغير من جريدة أفعاله في مناوشات العائلة، فهو ليس إلا طفلاً صغيراً، لا يعرف أفضل مما فعله.

والأباء لديهم راشدون يقتدون بهم من أول لحظة في حياتهم، وهؤلاء هم الآباء. وفي العائلات التي يكون بها طفلان أو أكثر، يتتأثر كل طفل بالطفل / الأطفال الذين يسبقونه أكثر مما يتتأثر بالأبوين.

### كل الأمور الجيدة، والسيئة كذلك، مآلها إلى الانتهاء:

كما أباء قد نفرق في الصراعات اليومية خلف الاهتمام والقوة والسيطرة إلى أن نتساءل: "هل سيأتي يوم، وينتهي كل هذا؟!".

وأضمن لك أن هذه المرحلة من الأبوة ستنتهي بسرعة أكبر مما تخيل، فسوف يكبر طفلك القوي، وكل شيء علمته إليه سيصبح جزءاً مما يحمله معه في رحلته نحو مرحلة البلوغ.

وعندما تصبح الأمور في بيتك مجدها حقاً، فبإمكانك دوماً أن تخفف حدتها باللهو والمرح. وكما يقولون إن تفاحة كل يوم تُغريك عن الطبيب، فإن جرعة من المرح واللهو تعينك على إبقاء عائلتك معاً في حالة متمسكة. ولا

تنسَ أن أطفالك أطفال قبل كل شيء، وهم في حاجة إلى المرح واللهو، بشكل دائم. وكذلك أنت.

ومع ذلك، يتصرف الكثير منا كمأمور سجن يحمل عصا كبيرة، ويقول: ”عليك أن تفعل هذا، وإلا...“، لكن عليك -أيها الأب- أن تنظر إلى نفسك كصانع للعلاقات، واعلم أن توفير المرح واللهو أساسٌ في تكوين أي علاقة. حتى زوجتي ساندي -التي هي أكثر جدية مني- أحياناً ما تقول لي: ”ليمي، عليك أن تحظى ببعض المرح، فالامر في غاية البساطة“، وهي دائمًا على حق عندما تقول ذلك، ( فهي أكبر أخواتها على كل حال).

إن لكل فرد في عش عائلتك هدفًا كبيرًا خلق من أجله. ستمضي حياتك بشكل سهل وسلس مع بعضهم، كشراب حلو مستساغ، لا يعكر صفوكم، ومع بعضهم سيكون الحال مملوءًا بالمفاجآت، والمتابعة.

ذات مرة ذكرني ابن عمِي بحفل زفاف حضرناه في صغرنا، فراح الجميع يلقون بالأرز، بينما رحت ألقى بالحصى.

لكن الناس يتغيرون حقًا، ويمكن إعادة تشكيل الأطفال الساعين خلف القوة ليصبحوا مؤثرين أقوياء، يساعدون الآخرين. وعندما تلقيت جائزة في سنوات بلوغِي من مدرستي الثانوية، تكرييمًا لكوني منمن صنعوا فارقًا في حياة الآخرين، حضر حفل الجائزة بعض هؤلاء الأقارب الذين كانوا ضيفوا في ذلك العرس، لأنهم لم يكونوا ليصدقوا الأمر ما لم يروه بأعينهم، فهم يعرفون تاريخي المضطرب قبل هذا اليوم.

انظر حولك.. في كل عائلة هناك شخص مثلي، توقع الجميع له مستقبلاً سيئاً، أو تافهاً، لأنه طفل مزعج، فإذا به يصبح إنساناً آخر؛ إنساناً ذا شأن.

إن التغيير ليس ممكناً وحسب، ولكنه مرّجح إلى حد كبير لهؤلاء الأطفال الأقوياء. كل ما يتطلبه الأمر هو شخص مثلك يؤمن بهم، ويساعدُهم على تحويل سلوكهم الخاطئ من السعي وراء الانتباه أو القوة إلى عزم وإصرار يجعلهم لا يرضون أن يتولوا أمراً إلا أنجزوه.

وبعد هذا ستتجدهم ينطلقون في حياتهم إلى أبعد مما يمكنك أن تتصور.

شاهدُهم فحسب!

## **نقاط القوة العشرة الأكثر أهمية:**

1. كل أسرة لديها طفل يسعى للقوة.
2. تأتي القوة في أشكال مختلفة.
3. الجينات، والبيئة، وترتيب المولد مؤثرات قوية.
4. يضع كل طفل لنفسه سيناريو للحياة.
5. يسعى جميع الأطفال للحصول على الاهتمام سلباً أو إيجاباً.
6. لا يسيء الأطفال السلوك إلا إذا حرفت تلك الإساءة هدفها.
7. عليك أن تكسب تعاونهم.
8. أعد تشبيك استراتيجيات الأبوة.
9. حول القوة السلبية إلى حواجز إيجابية.
10. إنهم لا يهتمون بما تعرف إلا أن عرفوا أنك تهتم.



## شكراً وتقدير

إلى محررتني: رامونا كريمر تاكر؛ الأم الفطنة لكايللا متعددة المواهب، ومصدر الإلهام القويّ العازم على صنع فارق في هذا العالم.

إلى محررة ”ريفيل“: لوني هال دوبوونت، التي تؤمن بهذا المؤلف، وتشجع نزعته الفردية، حتى عندما تكون أكثر تطرفاً مما اتفق عليه.

إلى محررة مشروعني: جيسيكا إنجلش، الذي يناسب لقبها الجديد دقة مهاراتها.

مكتبة الطفل

[t.me/book4kid](https://t.me/book4kid)

إهدى قنوات

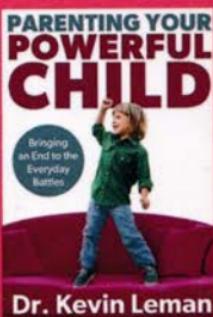
مكتبة

# كيف تُربِّي طفلك القوي

هل يمتلك طفلك قوة يصعب التعامل معها؟!

في كلّ عائلة طفل قويّ، عنيد، لا يقدر على مواجهته الجميع، لأنّ شخصيته أقوى من بقية الأطفال. هذا الكتاب لك إن كان طفلك يستخدم قوته في التعامل مع الأمور: سواء القوة الظاهرة في سلوكيات مثل العند أو الغضب أو الإزعاج، أو تلك الناعمة التي تمكّنه من التلاعب بك بسهولة والحصول على كل ما يرغب به.

حان الوقت لتعيد النظر في طريقتك في التربية والسبيل التي تتبعها في التعامل مع أطفالك، حيث يأتي هذا الكتاب ليساعدك في تقويم سلوكيات طفلك بحيث يصبح أكثر اتزاناً وتفانياً للتوجيه.. ولتحقيق حلمك وحلم كل أبو وأم في العالم بخلق بيئة أسرية يسودها الهدوء ويجمع بين أفرادها لغة الحوار.



ليس علماً للصواريخ، الأمر يتوقف فقط على معرفتك بطرق تحويل تلك القوة إلى طاقة إيجابية، وهذا ما ستتعلمه هنا في خطوات واضحة وعملية.

غلاف: عبد الرحمن الصواف



- ✉ aseeralkotb.com
- ✉ contact@aseeralkotb.com
- ✉ AseerAlkotb
- ✉ AseerAlkotb
- ✉ AseerAlkotb